

إصدارات
مركز البصيرة للبحوث والتطوير الإعلامي



مقومات التجديد والوسطية في الخطاب الإسلامي ومهاراته

د. طه أحمد الزيدي



دار النفائس
للنشر والتوزيع - الأردن





إصدارات
مركز البصيرة للبحوث والتطوير الإعلامي

مقومات التجديد والوسطية
في الخطاب الإسلامي ومهاراته

د. طه أحمد الزيدي



يقول الله تعالى:

﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ .. ﴾

[الإسراء:٥٣]

ويقول ﷺ:

«إنّ الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها».

رواه أبو داود (ح٢٩١)

والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٢٢) وصححه

الإهداء

إلى من تجلى فيهم قول الله تعالى:

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤].

شيوخي من العلماء والدعاة المصلحين الأعلام

وأساتذتي رواد الإعلام الإسلامي

وزملائي خطباء المنابر وأساتذة الإعلام الإسلامي

وإخواني وأبنائي طلبة كليات الدعوة والإعلام الإسلامي

لسعيهم الجاد في بناء صرح دعوي وإعلامي

يليق برسالتنا الإسلامية العالمية

مُقَدِّمَة

الحمد لله الرحيم الرحمن، الذي خلق الإنسان علمه البيان، والصلاة والسلام على من أوتي جوامع الكلم وبلاغة اللسان، نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان... أما بعد:

فمنذ منتصف العقد الأخير من القرن الماضي، الذي شهد انطلاقة عدد من الفضائيات العربية والغربية، التي أعطت مساحة لتقبل الرأي الآخر، وأكثر المتابعين يؤشرون على وجود أزمة في الخطاب الإسلامي، تتجلى جلها بضعف الحضور المتميز له وإن وجد فإنه لا يوازي حجم الرسالة الإسلامية التي يتبناها أو التحديات التي تواجهها، أو إنه غير مقنع لأسباب بعضها يتعلق بالخطاب نفسه (لتمسكه إما بالإفراط والغلو أو التفريط والتسويف) وبعضها يتعلق بمن يقوم بتبليغه وإيصاله إلى الناس، يقول الدكتور عبد القادر طاش: وحتى عندما أتيحت لنا الآن بعض الفرص في خوض غمار مجالات حوارية، سواء في الطفرة التي حصلت في بعض قنواتنا الفضائية، والتي فتحت المجال لشيء من الآراء المتعددة، أو في بعض المنابر الأخرى، وجدنا أننا لن نستطيع أن نقدم خطاباً حوارياً متوازناً، ولا شك أن علينا ألا نيأس من أن نعيد ترتيب أوضاعنا في هذا الميدان.

وقبل أن نبدأ بتنظيم خطابنا وترتيب أدواته، نود التأكيد على بعض مسائل الخطاب الإسلامي ومنها:

- أن خطابنا الإسلامي (الإعلامي والدعوي) خطاب عقيدة، وهذا مقرر على ألسنة الأنبياء جميعاً: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الأعراف:٦٥].

وفي السنة النبوية عن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بعثني رَسُول الله ﷺ فقال: إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله.

ويقول الدكتور محيي الدين عبد الحليم: فالمنهج الرئيس لصياغة منهاج إسلامي للعمل الإعلامي هو القرآن الكريم وسنة رسول الله ﷺ، ومنهما تتشكل مرجعية هذا العمل وضوابطه، وهي مرجعية لا تتعدل ولا تتبدل، ولا يعتريها التغيير بفعل عوامل الزمان والمكان، لأنها تستمد نصوصها من الكتاب والسنة، هدفها واضح، وأساليبها محكومة بالقواعد التي تحددها الشريعة الإسلامية.

• وصراعنا الحضاري صراع عقيدة بالنسبة لنا ولهم ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢١٧﴾ [البقرة:٢١٧].

﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ١٢٠﴾ [البقرة:١٢٠].

يقول الرئيس الامريكي الأسبق نيكسون: إننا لا نخشى الضربة النووية، ولكننا نخشى الإسلام والحرب العقائدية، ووقف مندوب أمريكا في هيئة الأمم المتحدة وقال: إن الصراع الحقيقي في الشرق ليس بين العرب واليهود، إنما الصراع الحقيقي هو ما بين حضارة الإسلام وحضارة الغرب، فإذا استطعنا أن نزيح حضارة الإسلام عن ميدان الصراع هان علينا تصفية القضية.

ويرى المفكر الأمريكي فوكوياما (صاحب نظرية نهاية التاريخ): أنّ التاريخ انتهى، وأن تطور البشرية في المجال الفكري والتنظيمي (يقصد بهما الفكر الليبرالي والتنظيم الديمقراطي) قد وصل إلى أقصى مداه، وأن العقبة والتحدي الذي يواجه الفكر الليبرالي هو الحضارة الإسلامية.

ويقرر المفكر هانتنجتون (صاحب نظرية صِدام الحضارات): أن المشكلة لا تكمن في الأصولية الإسلامية إنما تكمن في الإسلام نفسه، لأنه يرفض التغريب، ويرى الحل في اندماجه وقبوله بالتغريب، وإلا فالبديل هو الصدام.

• وطبيعة هذا الصراع وأداته إعلامية يقول الله تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [التوبة:٣٢]،...فلم يقل الخبير الحكيم: بأيديهم، وهي مظنة القوة والبطش، ولم يقل: بعقولهم، وهي مظنة قوة التخطيط والتدبير، ولم يقل: بأموالهم، وهي مظنة إعداد العدة، -مع تأكيدنا لأهمية ذلك كله- وإنما قال: بأفواههم، أي: بألسنتهم، وهي مظنة الإعلام والإخبار، فالمعركة إذن إعلامية اتصالية، والصراع صراع أفكار ومعلوماتية، والحرب حرب نفسية، والقوة قوة دعائية.

• والآخرون وظفوا الإعلام في صراعهم معنا، ليس في حروبهم المباشرة فحسب، وإنما في غزوهم الفكري، وعدوانهم الثقافي، وصراعهم الحضاري، وحربهم النفسية، (إذا كان المال قوتنا الاولى فلتكن الصحافة قوتنا الثانية) بل وظفوا التشويش لصرف الناس عن الحق الذي ندعو إليه في وسائلنا الدعوية والإعلامية، وقد حذرنا القرآن من التشويش الإعلامي الذي يمارسه علينا الاخرون: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [فصلت:٢٦].

• لقد توسعت الرقعة الجغرافية لجمهور المخاطبين، وإن هنالك منافساً في الساحة الدعوية نفسها، إذ لم يعد الخطاب الإسلامي مقتصراً على المنبر سواء في المسجد أو في الكليات الإسلامية، وإنما أصبحت وسائل الإعلام من أوسع وأشد الأدوات تأثيراً في الرأي العام، ولذا ينبغي مواكبة التطور لتبقى للمسجد ريادته في الدعوة الإصلاحية للمجتمع، وللكليات الإسلامية ألقها في البناء المعرفي في تشكيل الشخصية الإسلامية المبدعة، ولوسائل الإعلام قوتها في تقديم الخطاب الإسلامي لأبناء المجتمع وللعالم تحقيقاً لعالمية الرسالة الإسلامية.

ومن هنا تأتي أهمية دراسة مقومات تجديد الخطاب الإسلامي ووسطيته، في هذا العصر الذي يطلق عليه عصر الإعلام والمعلوماتية، وهو مطلب مشروع كما سنبين، ومع ذلك فإن تنوع مصادر الدعوات إلى تجديد الخطاب الديني- الإسلامي بشكل خاص -يدعوننا الى الانتباه والحذر، لا سيما أن الأصوات تعالت بعد الحرب التي تشنها أمريكا ضد العالم الإسلامي تحت ذريعة الحرب على الارهاب، وما صاحبه من تجفيف منابع التدين، وتغيير مناهج التعليم، ونشر الفوضى الخلاقة بزعمهم في دول العالم الإسلامي.

ومن تلك الدعوات ما خرج به مؤتمر الثقافة العربية، الذي نظمه المجلس الأعلى للثقافة المصري في مدينة القاهرة في تموز ٢٠٠٣، وشارك فيه ١٥٠ مثقفاً عربياً (٦٠ من الدول العربية و٩٠ من مصر)، ليس فيهم من علماء الأزهر، والأشد غرابة ليس فيهم واحد من علماء التكنولوجيا أيضاً، وبعد مناقشات لتجديد الخطاب الديني توصلوا إلى الآتي:

- أجمع مثقفون عرب على تحميل الخطاب الديني مسؤولية التخلف العربي في مجال العلم والتكنولوجيا خصوصاً.

- أكد المثقفون ضرورة إعادة النظر في المسلمات كلها، فلا يمكن لنا أن نجدد المعرفة إذا انطلقنا من المسلمات؛ مما يتطلب إعادة النظر في الدين معرفياً.

- رفض شعار «أسلمة العلم» كانطلاقة لرفض الوصاية الدينية على العلوم، كأسس للانطلاق نحو المستقبل.

- ضرورة إعادة تربية النشء، وترسيخ مفاهيم قيمية جديدة، وتحميل المؤسسات التعليمية مسؤولية تغيير مفاهيم النشء، أسوة بما حصل في البلدان التي قامت بالإصلاح الديني في أوروبا والصين واليابان.

• تبني مصطلح «العلمانية المؤمنة» لحل التعارض القائم بين الدين والتقدم، وذلك عن طريق الفصل بين الدين والدولة، وإن إيمان هذه العلمانية يتمثل في تقدمها تصوراً غير معاد للدين، وأن رجال الدين المتنورين يتحملون هذه المسؤولية.

وصرح الرئيس الأمريكي بوش أنّ أمريكا تقود حملة «تجديد الخطاب الديني» بكل قوة، وشكلت لجنة في الكونجرس الأمريكي تسمى لجنة تطوير الخطاب الديني، وكان من ثمارها المرة ما قامت به مؤسسة راند الأمريكية، وهرع القادة الغربيون إلى المناداة بضرورة التجديد، فتولت فرنسا رعاية هذا التجديد، وصدر (إعلان باريس حول سبل تجديد الخطاب الديني) في ١١ و١٢ من شهر آب (أغسطس) من العام ٢٠٠٣، وكان المدعون كما يقول الدكتور فهمي هويدي: وجدتهم ٢٩ شخصاً دعوا من ثمانية أقطار عربية، ٨٥٪ منهم ممن يعادي الخطاب الإسلامي بل الإسلام نفسه (أحدهم اعترض ذات مرة على ذكر اسم الله في مستهل بيان صدر عن مؤتمر عقد في صنعاء، وآخر ألقى محاضرة في جامعة برلين الحرة بألمانيا شكك فيها في أن الوحي مصدر القرآن الكريم.

ويفترض المؤلف أن المعالجة تكون بتجديد الخطاب الإسلامي من خلال التمسك بأصول الخطاب في المرجعية العليا للمسلمين المتمثلة بكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، وباعتماد منهج الوسطية في بناء ملامحه في أثناء تقديمه عبر القنوات السياسية والوسائل الدعوية والإعلامية.

(إضاءة: خطابنا يكون من الوحي إلى العصر مع مراعاة لسان قومنا في كل زمن ومصر)

اهمية الدراسة والحاجة إليها:

إن أهمية الدراسة تأتي من أهمية الخطاب الإسلامي ودوره الحضاري في التعارف والتعايش والدعوة والإصلاح والتنمية، ومن أهمية الإعلام ودوره المؤثر في المجتمعات، فقد أصبحت وسائل الإعلام مصدراً مهماً من مصادر المعلومات،

وموجّهاً قوياً لسلوك كثير من أفراد الجمهور، وتنامي دورها في التأثير وفي تشكيل الرأي العام والقدرة على الإقناع والتغيير، ومع تقدم المجتمعات وتحضرها، يزداد تعقدها واندماج وسائل الإعلام فيها، حتى أصبحت وسائل الإعلام جزءاً لا يتجزأ من المجتمع، لاسيما في الأزمات والأحداث الساخنة، وأصبحت معلومات وسائل الإعلام، وتحليلاتها ذات أهمية كبيرة وقيمة متزايدة في المجتمعات وفي تنميتها، ومما ساعد على الإقبال المتزايد على وسائل الإعلام النقل المباشر والحي للأحداث، وسهولة وصول المتلقي إليها.

وأخيراً تتجلى أهمية الدراسة في تناولها لمنهج الوسطية التي قررتها الشريعة الإسلامية، وتبناها النبي ﷺ منهجاً عملياً، ولم يعد خافياً على أحد ضرورتها في معالجة الأزمات الحادة التي تعتري الأمة الإسلامية بشكل عام، وخطابها الإعلامي بشكل خاص.

أهداف الدراسة:

يهدف الباحث في هذه الدراسة إلى تحقيق عدد من الأهداف الرئيسة التي نسعى من خلال الوصول إليها، معالجة جانب مهم من الارتقاء بالخطاب الإسلامي المعاصر من خلال بناء رسالته ومحتواه وإجراءاته على مقومات التجديد والوسطية المنضبطة بالشريعة ومقاصدها العامة، ولعل من أبرز أهداف هذه الدراسة:

- التعريف بمفاهيم الخطاب الإسلامي والتجديد والوسطية.
- تحديد أهم أصول تجديد الخطاب الإسلامي في ظل المصدرين العظيمين (كتاب الله وسنة نبيه ﷺ).
- بيان ملامح الوسطية في الخطاب الإسلامي، مع عقد مقارنة بين الوسطية التي اعتمدها النبي ﷺ في خطابه، وما عليه الخطاب الإسلامي المعاصر، وسبل الارتقاء به إلى منزلة الوسطية.

- تفصيل مقومات إدارة الخطاب الإسلامي، المتعلقة بالقائم بالخطاب وموضوع الخطاب ورسالته، والنظرة إلى الآخر، من خلال أنموذجين مهمين للخطاب الإسلامي المعاصر، وهما: الخطب المنبرية والحوارات الإعلامية، مع التركيز على مهارات الأداء الخطابي في هذين الأنموذجين.
- التوصل إلى توصيات علمية وعملية يمكن من خلالها المساهمة في معالجة خطابنا الإعلامي أو الحد من الفوضى في تقديم الخطاب الإعلامي أو تقليل أثرها في مجتمعاتنا، من خلال الإفادة من إحياء مفهومي التجديد والوسطية في خطابنا الإسلامي المنبري والإعلامي.

مجال الدراسة:

سيتم التركيز على عرض نبذة تأصيلية عن مفهومي التجديد والوسطية في الإسلام، كما نستعرض المسائل العلمية التي دونها فقهاء الشريعة وفقهاء الإعلام الإسلامي في مؤلفاتهم، المتعلقة بأصول الخطاب الإسلامي وملامحه في الخطبة ووسائل الإعلام؛ وسنقف عند المدونات الإعلامية التي عالجت التأصيل الشرعي لأبرز قضايا الخطاب الإسلامي المنبري والإعلامي.

فمصادر التشريع ولاسيما الكتاب والسنة النبوية والمؤلفات في الخطاب والإعلام الإسلامي، هي مجال دراستنا التي نسعى من خلال الإبحار في نصوصها الوصول إلى تحقيق الاهداف المرسومة لها.

منهج الدراسة وإجراءاتها:

إنَّ طبيعة الظاهرة التي ندرسها ونسعى إلى الوصول إلى حلول لمعالجة مشكلاتها أو تقليل تأثيرها، استلزم اتباع أكثر من منهج علمي في البحث يتلاءم مع طبيعة هذه الدراسة، فكان المنهجان المتبعان هما التأصيلي والوصفي؛ فالمنهج التأصيلي يؤدي إلى اكتشاف حقائق ومعلومات بشأن ظاهرة التجديد والوسطية في الخطاب الإسلامي في عصر النبوة، وتحليلها وتقويمها للخروج باستنتاجات تساعد

على فهم الظاهرة[1] وعلى تأصيلها، في حين يرتبط مفهوم البحث الوصفي بدراسة واقع الأحداث والظواهر والمواقف والآراء وتحليلها، وتفسيرها لغرض الوصول إلى استنتاجات مفيدة، إما لتصحيح هذا الواقع، أو تحديثه، أو استكماله، أو تطويره، وهذه الاستنتاجات تمثل « فهماً للحاضر، يستهدف توجيه المستقبل»[2].

واقتضى منهج الدراسة القيام أيضاً بمسح واستقراء للنصوص الشرعية ولأهم الآراء والأحكام التي وردت في مصادر التشريع والمراجع العلمية المعتمدة وتأصيلها وتحليلها لتحديد مقومات التجديد والوسطية في الخطاب الإسلامي، ومدى تأثيرها على الأداء الخطابي والإعلامي، ليقدم خطاباً إسلامياً منضبطاً يسهم في دعوة الناس إلى الخير وإصلاحهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويساعد في معالجة الأزمات التي تعيشها الأمة، ويقدم الصورة الحضارية للرسالة الإسلامية الإنسانية للعالم أجمع، ومن ثم الإفادة مما سبق في تجديد الخطاب الإسلامي الذي يلتزم الأصول والثوابت الشرعية، ويتلاءم مع طبيعة المجتمعات الإسلامية المعاصرة، والواقع الذي تعيشه، متخذين من الخطب المنبرية والحوارات الإعلامية أنموذجين لبناء تلك المعاني وتضمينها لما لهما من دور مؤثر في استقطاب الجماهير، وصناعة الرأي العام وتشكيله وتوجيهه.

وجاءت الدراسة في مبحث تمهيدي تضمن الإطار المنهجي للدراسة، وخمسة فصول هي:

الفصل الأول: تحديد المفاهيم، واستعرضنا فيه المصطلحات الثلاثة الرئيسة التي بنيت عليها الدراسة وهي؛ الخطاب الإسلامي، والتجديد، والوسطية.

---

(١) معجم مصطلحات الدعوة والإعلام الإسلامي، للمؤلف، ص ٢١٠.

(٢) البحث الإعلامي، د. السيد أحمد مصطفى ص ٢٨.

الفصل الثاني: أصول الخطاب الإسلامي، التي تعد مبادئ التجديد للخطاب الإسلامي انطلاقاً من تصور المرجعية العليا (الكتاب والسنة).

الفصل الثالث: الوسطية في الخطاب الإسلامي.

الفصل الرابع: مقومات إدارة الخطاب الإسلامي.

الفصل الخامس: نماذج معاصرة للخطاب الإسلامي وهما: الخطبة المنبرية، والخطاب في الحوارات الإعلامية.

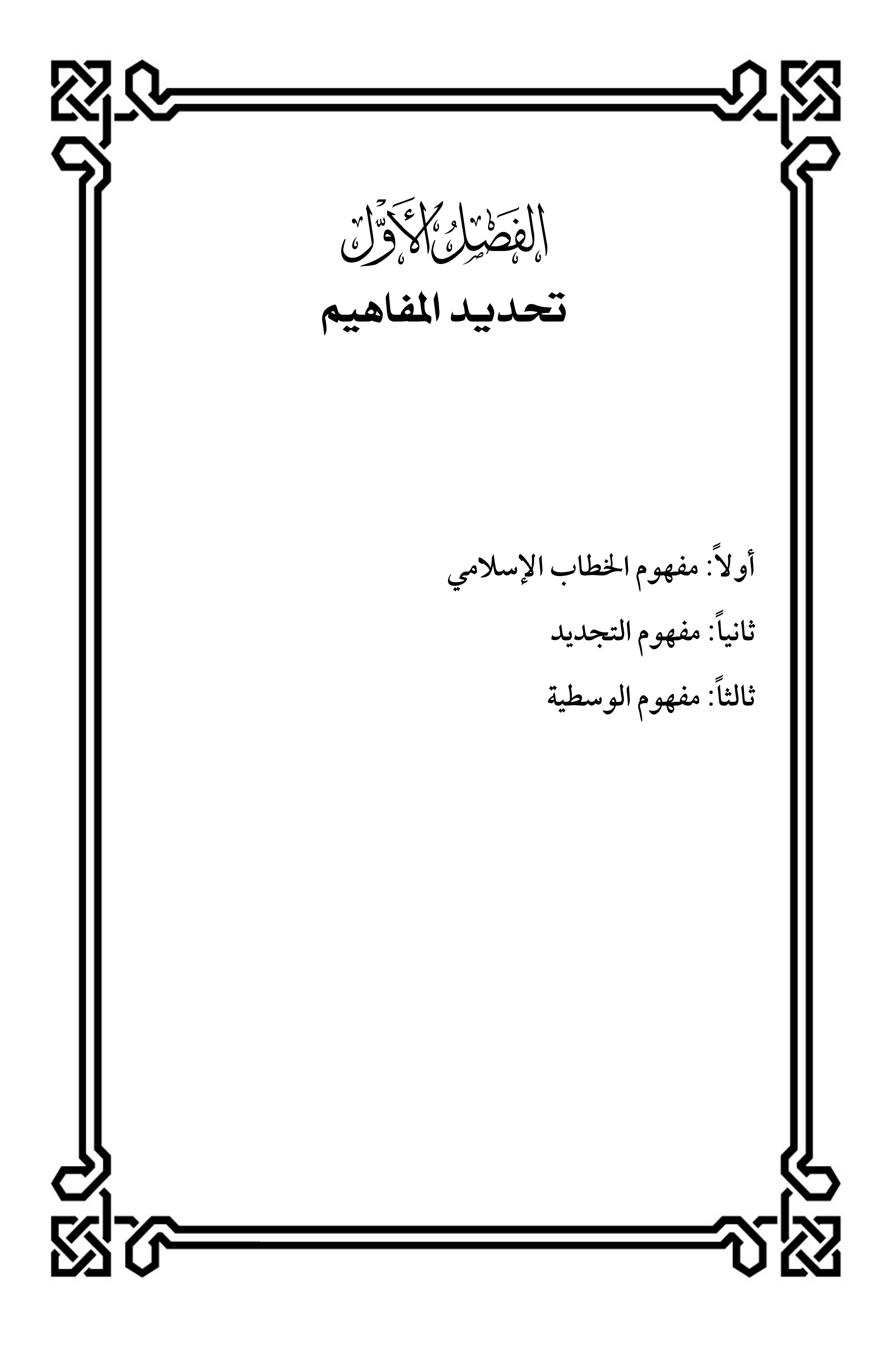
وانتهت الدراسة إلى نتائج وتوصيات تضمنتها الخاتمة.

إن أغلب مادة الكتاب مؤلفة من بحوث علمية شارك بها المؤلف في مؤتمرات علمية داخل العراق وخارجه، وبعضها قدمت في ندوات علمية نظمتها مديريات الوقف السني في نينوى وسامراء، وديوان الوسطية والاعتدال، ومنها مادة قدمت في دورات وورش عمل نظمها مركز البصيرة للبحوث والتطوير الإعلامي في ديوان الوقف السني والمجمع الفقهي العراقي لكبار العلماء للدعوة والإفتاء، وجاء جمعها في كتاب بناء على توصية عدد من الفضلاء فجزاهم الله خيراً، وهذا الجمع كان له تأثير في تباين صيغة ذكر المصادر في الهوامش، وصرفتنا أحداث العراق عن إعادة ترتيبها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

طه الزيدي

بغداد السلام ١٤٣٤/ ٢٠١٣



الفَصْلُ الأَوَّلُ

تحديد المفاهيم

أولاً: مفهوم الخطاب الإسلامي

ثانياً: مفهوم التجديد

ثالثاً: مفهوم الوسطية

الفصل الأول

تحديد المفاهيم

سنحاول في هذا الفصل التعريف بأهم المصطلحات والمفاهيم الواردة في هذه الدراسة وتأصيلها، وهي الخطاب الإسلامي والتجديد والوسطية.

اولا: مفهوم الخطاب الإسلامي :

مفهوم مركب من لفظين، الخطاب والإسلام.

والخطاب والمخاطبة لغةً: الكلام أو مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً، وهما يتخاطبان[(١)]، وهو يدل على توجيه الكلام لمن يفهمه، وهو مصدر خاطب، أي (كَلَّمه وحادثه ووجه إليه كلاماً)[(٢)].

وقد وردت لفظة الخطاب بصيغة المصدر في ثلاث آيات من القرآن الكريم وهي قوله تعالى: ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [ص:٢٠]، وقوله تبارك وتعالى: ﴿ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ ﴾ [ص:٢٣]، وقوله تعالى: ﴿ رَّبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَـٰنِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ ﴾ [النبأ:٣٧].

فـ (فصل الخطاب) أي أنعمنا عليه بالبيان الشافي في كل قصد، وهي الكلام المفهوم والقدرة على المحاورة والخطب، (وعزّني في الخطاب) أي: غلبني في الجدل، أو غلبني في الجدل وقهرني، أي: بقدرته البيانية، ﴿ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ ﴾ [النبأ:٣٧]

---

(١) لسان العرب باب خطب، المعجم الوسيط ص ٢٤٣.

(٢) المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، القاهرة، بيروت: دار المروج، ١٩٩٠، مادة خطب.

أي: لا يقدر أحد على المخاطبة خوفاً منه، ولا يقدر أحد على الابتداء بمخاطبته إلا بإذنه، ولا يملكون كلاماً، ولا يقدر أحد من خلقه على خطابه يوم القيامة، إلا من أذن له منهم وقال صواباً[1].

وفي ضوء التفسير القرآني نجد أن معنى الخطاب يراد به الكلام الكافي المؤثر في نظمه وصياغته، الشافي والصائب في محتواه ومادته، الوافي والمقنع في مقاصده وغايته.

واصطلاحاً يعرف الآمدي الخطاب بأنه: «اللفظ المتواضع عليه، المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه»[2]، ويعرفه التهانوي بقوله: «الكلام اللفظي أو الكلام النفسي الموجه نحو الغير للإفهام»[3]. سواء أكان الافهام في الحال أم في المستقبل[4].

وأما مفهومه عند أهل اللغة واللسانيات فإنه يعني بشكل عام: «نظام تعبير مقنن ومضبوط»[5]، وهذا النظام في جوهره يعد بناء فكرياً يحمل وجهة نظر وقد تمت صياغته في بناء استدلالي[6].

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير، ج٤، ط١، ص٥٣.و ٢٠٢، وتفسير الجلالين.

(٢) الإحكام في أصول الأحكام، سيف الدين بن الحسن الآمدي، بيروت، دار الكتب العلمية، ص١٣٦.

(٣) كشاف اصطلاحات الفنون، محمد علي التهانوي، تحقيق لطفي عبد البديع، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٧٢، ص١٧٥.

(٤) معجم مصطلحات الدعوة والإعلام الإسلامي، للمؤلف، عمان، دار النفائس، ط١/ ٢٠١٠، ص١١٦.

(٥) حفريات المعرفة، ميشيل فوكو، ترجمة سالم يقوت، الدار البيضاء، المركز الثقافي، ط٢/ ١٩٨٧ ص٣٤.

(٦) د. محمد عابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر، بيروت: دار الطليعة، ط٢/ ١٩٨٢، ص١٢٨.

والخطاب عند الإعلاميين هو: طرق وأساليب عرض منظومة الأفكار والتصورات والتحليل عبر وسائل الإعلام، سواء عبرت عن سياسة المؤسسة الإعلامية أو المشاركين في مادتها وبرامجها، او هي المنظومة نفسها[1].

ويمثل عند علماء الاجتماع: كل الأشياء التي تكون العالم الاجتماعي بما في ذلك هوياتنا، أو بعبارة أخرى الخطاب هو: واقعنا الاجتماعي وإدراكنا لهويتنا، أي أنه بدون خطاب لا يوجد واقع اجتماعي، وبدون فهم الخطاب لا يمكن أن نفهم واقعنا أو تجاربنا أو أنفسنا، ومن خلال منهجية تحليل الخطاب نستطيع تفسير الواقع الاجتماعي[2]، ولذا فهو ليس مجموعة أقوال بل تصورات وأحداث أيضاً متصلة بعضها ببعض.

وأما مفهوم أو مصطلح الخطاب الإسلامي فيطلق على معانٍ عدة، يتداولها المتخصصون في العلوم الإسلامية والسياسة والإعلام، وتؤكد أغلبها على أنّ الخطاب هو منظومة من الأفكار المبنية على تصورات تشكلت عبر تراكم معرفي نابع للواقع بكل مكوناته العقدية والثقافية والاجتماعية، المرتبطة بالعمق الحضاري للمجتمع، والتطور الفكري والوعي بمتطلبات المجتمع نحو الإصلاح والتغيير والبناء التنموي، ومنه فإن بعض الباحثين يعرف الخطاب الإسلامي بأنه «مجموعة الأفكار والتصورات المنظمة والمرتبطة منطقيًّا والمتعلقة بتحليل الواقع الإسلامي وتحديد طرق معالجته والتأثير فيه»[3]، هذا من حيث المضمون.

---

(١) معجم مصطلحات الدعوة والإعلام الإسلامي، م س، ص ١١٦.

(٢) د. محمد شومان، تحليل الخطاب الإعلامي (أطر نظرية ونماذج تطبيقية)، ص٥-٢٦.

(٣) ينظر: الخطاب السياسي الإسلامي(رؤية نقدية): د. سعد الدين العثماني، مجلة البيان، العدد [١٠٠] ذو الحجة ١٤١٦ / مايو ١٩٩٦، ص٦٢.

وأما من حيث التعبير فهو: طرق ووسائل تبليغ منظومة الأفكار والتصورات الإسلامية، والتعبير عن الرأي الشرعي[١].

ويعد القرآن الكريم مصدر الخطاب الإسلامي بكل أشكاله وصوره، ولقد تنوع القرآن الكريم في الخطاب والتدرج في أخذ الناس بأحكام الدين شيئاً فشيئاً فكان خطابه في مكة المكرمة، غير خطابه في المدينة المنورة من حيث النداء والمضمون والفاصلة القرآنية والإتباع والأنموذج والشاهد والمثل وبيان أصل النشأة والحديث عن المصير، وهذا التنوع شمل الخطاب النبوي أو الحديث النبوي أيضاً الذي رافق مراحل الدعوة ومضمونها، وتدرج معها تدرجاً واكب الأحداث والوقائع فيها بصورة عامة[٢].

كما نجد أن الخطاب القرآني تنوعت أساليبه وتعددت، بحسب الأغراض، وبحسب محل الخطاب وموضوعه، والقرآن كونه عربي الخطاب وإنساني الرسالة فلابد لأي خطاب يتأسى به من مطابقة الكلام بمقتضى الحال، وبالتالي إدراك الحال أو محل الخطاب أو طبيعة المخاطب ومشكلاته وتاريخه وعقيدته، فيأتي الخطاب موافقاً لمقتضى الحال[٣].

ومن المفهوم آنف الذكر نجد أن الخطاب الإسلامي يرتبط ارتباطاً قوياً بثلاثة أمور:

١- المبادئ والمفاهيم التي يحملها القائمون بالخطاب والمنظومة التي تنتجه.

---

(١) الخطاب الإسلامي في عصر الإعلام والمعلوماتية، لمجموعة من الباحثين ص٧٠.

(٢) من مرتكزات الخطاب الدعوي في التبليغ والتطبيق، عبد الله الزبير عبد الرحمن، قطر، سلسلة كتاب الأمة ط١/ ١٩٩٧، ص ٢٢.

(٣) دعوة الجماهير... مكونات الخطاب وسائل التسديد، عبد الله الزبير عبد الرحمن، قطر، سلسلة كتاب الأمة، ط١/ ٢٠٠٠، ص ٩.

٢- التصورات التي يشكلونها ويقتنعون بها عن الواقع من حولهم وطرق التأثير فيه.

٣- الرغبة بل الحاجة إلى التأثير على الآخرين، بمراعاة إشباعاتهم واحتياجاتهم، بما يخلق علاقات قوة تقود إلى استخدام استراتيجيات متعددة، وبوجه خاص الإقناع والاجتذاب، والتي توظف فيها مختلف الوقائع السياسية والثقافية والاجتماعية للدعاة والإعلاميين، ومختلف التصورات الاجتماعية القائمة، التي تشترط بشكل ما الخطاب، فالصورة التي يريد القائم بالخطاب إبرازها إزاء منافسه، وإقامة علاقة بينه وبين الجمهور الواسع مرتبطة بهذه الوقائع الملموسة، فلا ينبغي تجاهلها أو إغفالها.

(إضاءة: لا تنطلق بخطابك من مفاهيم مشوهة أو مشوشة أو مبتورة فضلاً عن جفاف في منظومة المفاهيم لأنك ستفسد من حيث تظن الإصلاح والتغيير، وستنفر من حيث تظن التبشير)

ثانيا: مفهوم التجديد:

الجديد لغة نقيض القديم، وجدد الشيء يجدده صيَّره جديداً، فالتجديد جعل القديم جديداً، بإعادته ورده إلى ما كان عليه أول الأمر[1].

يقول الله تعالى: ﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ ﴾ [ق:١٥]، ويقول سبحانه: ﴿ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴾ [السجدة:١٠]، فهنا الجديد بمعنى البعث بعد الموت، وإعادة الناس أحياء وردهم الى ما كانوا عليه قبل الموت، قال الطبري: منكرين قدرة الله على إعادتهم خلقاً جديداً بعد فنائهم بلائهم[2]، قال ابن كثير (تفسير ابن كثير ٧/ ٣٩٧): والمعنى: أن ابتداء الخلق

(١) لسان العرب مادة جدد.

(٢) تفسير الطبري: ١٣/ ٩٠١.

لم يعجزنا والإعادة أسهل منه، وفي الحديث القدسي: «يقول الله تعالى: كَذَّبَني ابن آدم، يقول: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته». رواه البخاري ح (٤٩٧٤).

ويقول ﷺ: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها» [١]، ومن معانيه: إظهار كل سُنَّةٍ وإخفاء كل بدعة.

ويقول الإمام السيوطي (ت٩١١هـ) في الجامع الصغير: المراد بتجديد الدين، تجديد هدايته، وبيان حقيقته وأحقيته، ونفي ما يعرض لأهله من البدع والغلو فيه، أو الفتور في إقامته، ومراعاة مصالح الخلق، وسنن الاجتماع والعمران في شريعته.

ويعرفه الفقيه شمس الدين بن أبي بكر العلقمي الشافعي **(ت٩٦٩هـ)** بأنه: إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة والأمر بمقتضاهما [٢]، فالمجدد عنده: يجدد ما اندرس من أحكام الشريعة، وما ذهب من معالم السنن، وخفي من العلوم الظاهرة والباطنة، ويضيف عبد الرؤوف المناوي (ت١٠٣١هـ): أي يبين السنة من البدعة، ويكثر العلم، وينصر أهله، ويكسر أهل البدعة ويذلهم [٣].

ويعرفه شمس الحق العظيم آبادي (ت١٨٥٨م): إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة، والأمر بمقتضاهما، وإماتة ما ظهر من البدع والمحدثات [٤].

---

(١) رواه أبو داود (ح٢٩١) والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٢٢) وصححه، والبيهقي في معرفة السنن (١/ ١٣٧)، وقال السيوطي في مرقاة الصعود على سنن أبي داود (١٨٩): اتفق الحفاظ على أنه حديث صحيح، وقال الزين العراقي: سنده صحيح، وقال السخاوي في المقاصد الحسنة (١٢١): سنده صحيح، ورجاله كلهم ثقات، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٥٩٩)، وقال: والسند صحيح ورجاله ثقات، رجال مسلم.

(٢) ينظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي ١/ ١٤.

(٣) فيض القدير، للمناوي ٢/ ٣٥٧.

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود، ١١/ ٣٩١.

والشيء إذا مرت عليه أحوال حتى صار قديماً فإنما يأتيه التغير والاختلاف عما كان عليه أول أمره من أحد ثلاثة أوجه:

- إما أن تطمس بعض معالمه، حتى لا يتضح لمن ينظر إليه.
- وإما أن يقتطع منه شيء فتنقص بذلك مكوناته.
- وإما أن يضاف إليه ويزاد فيه، حتى تختلف صورته[1].

والتجديد يكون بإظهار ما طمس منه واندثر، وإعادة ما نزع منه وبتر، وإزالة ما أضيف وأحدث فيه وابتكر. إنه عودة تامة ونقية إلى الأصول، فالتجديد من الأمور التي لا بد أن تنضبط بضوابط صحيحة وواضحة ومتكاملة وإلا كان تخريباً أو تحريفاً ولم يكن بأي حال تجديداً.

ومن هنا فالتجديد المقصود المنشود ليس تغييراً في حقائق الدين الثابتة القطعية لتلائم أوضاع الناس وأهواءهم، ولكنه تغيير للمفهومات المترسبة في أذهان الناس عن الدين، ورسم للصورة الصحيحة الواضحة، ثم هو بعد ذلك تعديل لأوضاع الناس وسلوكهم حسبما يقتضيه هذا الدين[2].

يقول أبو الأعلى المودودي: والتجديد في حقيقته: هو تنقية الإسلام من كل جزء من أجزاء الجاهلية، ثم العمل على إحيائه خالصاً محضاً على قدر الإمكان[3].

ويحدد د. يوسف القرضاوي المفهوم العام بقوله: إن التجديد لشيء ما: هو محاولة العودة به إلى ما كان عليه يوم نشأ وظهر، بحيث يبدو مع قدمه كأنه جديد، وذلك بتقوية ما وَهَى منه، وترميم ما بلي، ورتق ما انفتق، حتى يعود أقرب ما يكون إلى صورته الأولى؛ فالتجديد ليس معناه تغيير طبيعة القديم، أو الاستعاضة عنه

---

(١) ينظر مفهوم تجديد الدين لبسطامي محمد سعيد، ص ١٤، وتجديد الخطاب الديني لمحمد بن شاكر الشريف، ص ١١.

(٢) التجديد في الإسلام، إصدارات المنتدى الإسلامي، ط٤/ ٢٠٠١، ص ٤٨.

(٣) موجز تجديد الدين وإحياؤه، للمودودي ص ٢٥.

بشيء آخر مستحدث مبتكر، ثم يضيف: ولا يعني تجديده إظهار طبعة جديدة منه، بل يعني العودة به إلى حيث كان في عهد الرسول ﷺ وصحابته، ومن تبعهم بإحسان[1].

ويراه د. عمر عبيد حسنة: الفهم الجديد القويم للنص، فهما يهدي المسلم لمعالجة مشكلاته وقضايا واقعه في كل عصر يعيشه، معالجة نابعة من هدي الوحي[2].

ويعرف د.عدنان أمامة، تجديد الدين: بإحياء وبعث ما اندرس منه، وتخليصه من البدع والمحدثات، وتنزيله على واقع الحياة ومستجداتها[3].

وأما تجديد الخطاب الإسلامي فيمكن تعريفه بأنه: اعتماد أصوله وتمثل قيمه المعتبرة في الكتاب والسنة، والسعي إلى تقديمه ونشره، للارتقاء بواقع الناس، مع توظيف التطورات التقنية في وسائل الاتصال وأساليب الخطاب المعاصرة، وتجديد الخطاب يكون في المضمون والرسالة وفي طريقة التعبير والآلة.

أنواع التجديد في الخطاب الإسلامي:

على ضوء ما سبق وباستقراء دعوات التجديد التي تشهدها الساحة الإسلامية يمكن أن نحدد ثلاث صور لدعاوى التجديد[4] وهي:

---

(١) من أجل صحوة راشدة تجدد الدين وتنهض بالدنيا، د. يوسف القرضاوي، ص ٢٨.

(٢) الاجتهاد للتجديد سبيل الوراثة الحضارية، د. عمر عبيد حسنة، ص ٢٠.

(٣) التجديد في الفكر الإسلامي، د. عدنان محمد أمامة، ص ١٩.

(٤) بعض الباحثين يعدها أطواراً تمثل موجات فكرية متسلسلة زمنياً وهي أربعة: طور البداية وطور التغريب وطور العصرانية وطور العولمة، ينظر تجديد الخطاب الديني للشريف، ص ٥٩ وما بعدها، ونحن نراها صوراً لأنه في الحقبة الزمنية الواحدة تظهر أكثر من صورة بل قد تجتمع كلها في عصر واحد كما في أيامنا هذه.

١ - الصورة الأصيلة لتجديد الخطاب الإسلامي :

وحقيقتها حفظ الدين على صورته النقية من خلال العودة إلى الكتاب والسنة، لفهم واقعنا بجوانبه كافة، والتعامل معه على أفضل وجه وأكمله، والاستعانة على ذلك بفهم سلفنا الصالح، من المفسرين والمحدثين والفقهاء والنحويين والمؤرخين، مع الاستفادة من التجارب المعاصرة المنضبطة والنافعة، وتوظيف التقنيات والمبتكرات ونظريات الاتصال الجماهيري التي تقوي أساليب الخطاب وتجعله أكثر تأثيراً واستيعاباً وإقناعاً.

ومن لوازمه دعوة الناس إلى الحق، وإحياء العلم الشرعي ونشره، وإظهار الشرائع التي طمست، وإزالة ما علق بالدين ما ليس منه من بدع وأخطاء وتصورات مضللة، ومعالجة المستجدات والحوادث بالاجتهاد الجماعي بعد التشاور، وهذه الصورة من التجديد هي المشروعة.

وتتجلى فوائد هذه الصورة في:

- حفظ الدين وعرضه وتقديمه إلى الناس بصورته النقية البيضاء، وإزالة ما علق به من البدع والخرافات والأباطيل.
- يساعد على تحقيق وحدة الأمة وتحصيل الأخوة واجتماع الكلمة، لأنه عودة إلى أصوله ومنابعه، واعتصام به، وهو سبيل الاجتماع ونبذ الفرقة ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران:١٠٣].
- عامل قوة للأمة وسبيل عودتها للريادة والقيادة، لأنه يلزمها القيام بمهمتها في هداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وما يتطلب ذلك من توظيف كل الإمكانيات المتاحة من تطور تقني.
- عامل ارتقاء وإثراء للنشاط العلمي والثقافي والعمراني، لما في التجديد من إعمال للعقل في النظر بالقضايا المستجدة والنازلة بالأمة على وفق النصوص

الشرعية، فهو دعوة لإحكام صلتها من جديد بسنن الآفاق والأنفس والهداية، وللاجتهاد المتواصل.

- توظيف التقنيات الحديثة في وسائل الخطاب والاتصال، تقوية لنشره وعرضه مما يعزز عالمية الخطاب الإسلامي.

٢- الصورة التحريفية لتجديد الخطاب:

وأصلها تحريف معاني بعض النصوص الشرعية لتتوافق مع مقتضيات العصر، مما يؤدي إلى تعطيل بعض الأحكام وحتى بعض شعائره، والذين يقومون بذلك يطلق بعضهم عليهم العصرانيون، وعلى حركتهم العصرانية، وهي تهدف إلى تحديث الفكر الديني، وتفسيره تفسيراً علمياً أو عقلياً، والتوفيق بين التراث والآراء العصرية، والأفكار الجديدة في الفلسفة والتاريخ والسياسة والاجتماع والعلوم[١].

وبعض المفكرين تكون العصرانية منهجاً له في مواقفه وآرائه جميعاً، وبعضهم تكون العصرانية في بعض مواقفه وآرائه.

وتتجلى آثار هذه الصورة في:

- تعطيل بعض الأحكام الشرعية.
- إشاعة الفتن والاضطرابات، وإثارة النعرات بين أبناء المجتمع الواحد وبين الشعوب والدول الإسلامية.
- تنحية العلماء الربانيين عن موقع الريادة والقيادة العلمية، وإناطتها بالمبتدعين والضالين.

---

(١) ينظر المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة ص ٥٣٢، نقلا عن تجديد الدين للدكتور أحمد بن محمد اللهيب، ص ١٣.

- تمثل خطوة في الانهزامية والتبعية للآخرين، ومجاراة لرؤيتهم وثقافتهم بدعوى التقارب والتعايش والمواكبة للتطور.
- المبالغة فيها تمثل الدرجة الأولى في سلم الصورة التخريبية من التجديد.

٣- الصورة التخريبية لتجديد الخطاب :

وهي أخطر من الصورة السابقة، وأكثرها شيوعاً ودعماً من الدول الغربية والعربية المعادية للشريعة الإسلامية، ولذا سنتوسع في البحث فيها لندرك جميعاً خطورتها وتغلغلها في مجتمعاتنا.

وتجديد الخطاب الديني عند أصحابها هو تغيير وتبديل في محتوى ومضمون الخطاب فضلاً عن أساليبه وطرق التعبير عنه، وأصله إجراء التغيير كلما احتيج إليه في أصول الدين وفروعه، لتتوافق مع تغيرات قيم هذا العصر ومعطياته ومنطلقاته المستمدة من الثقافة الغربية المعاصرة التي هي نتاج تفكير بشري محض، ليس للوحي المعصوم أثر فيه، فضلاً عن خليط رديء من تحريفات الأديان والملل الاخرى(١).

وقد تعرض القرآن الكريم بتوسع لهذه الصورة من أدعياء التجديد، يقول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًاۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْاْ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾ [التوبة:١٠٧-١١٠] فالمسجد منبر الخطاب الديني، وهذه الدعوة ظاهرها

---

(١) تجديد الخطاب الديني للشريف ص ٣٧.

دعوة للخير وذكر لله، ولكن حقيقتها كفر بالله وبرسوله وتفريق للمؤمنين وإضرار، وإرصاد لحركة الازدهار الإسلامي، وتجميع للمحاربين لله ولرسوله وللمؤمنين.

ومنها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾﴾ [النساء:٦٠-٦٣]، يقول ابن تيمية رحمه الله في تفسيرها: وفي هذه الآيات أنواع من العبر، من الدلالة على ضلال من يحاكم إلى غير الكتاب والسنّة، وعلى نفاقه وإن زعم أنه يريد التوفيق بين الأدلة الشرعية، وبين ما يسميه هو عقليات من الأمور المأخوذة عن بعض الطواغيت من المشركين وأهل الكتاب وغير ذلك من أنواع الاعتبار[1]... ويضيف في موضع آخر: فإن هؤلاء إذا دعوا إلى ما أنزل الله من الكتاب وإلى الرسول -إلى سنته- أعرضوا عن ذلك، وهم يقولون: إنا قَصَدْنا الإحسانَ علماً وعملاً بهذه الطريقة التي سلكناها، والتوفيق بين الدلائل العقلية والنقلية[2]، ويقول ابن كثير: هذا إنكار من الله، عز وجل، على من يدعي الإيمان بما أنزل الله على رسوله وعلى الأنبياء الأقدمين، وهو مع ذلك يريد التحاكم في فصل الخصومات إلى غير كتاب الله وسنة رسوله، ويضيف: ثم يعتذرون إليك ويحلفون: ما أردنا بذهابنا إلى غيرك، وتحاكمنا إلى عداك إلا الإحسان والتوفيق، أي: المداراة والمصانعة، لا

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣/ ٣١٣.

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٥/ ٦.

اعتقاداً منا صحة تلك الحكومة[1]. ومجددو العصر بزعمهم فاقوا أسلافهم إذ أعلنوا اعتقادهم بما ذهبوا إليه لا مصانعة للغرب.

ويوضح النبي ﷺ صورة هذا الخطاب من خلال بيان مهمة من ينقي الخطاب الإسلامي من أشكال هذا الخطاب المنحرف بقوله ﷺ: «يحمل هذا العلم من كل خَلَفٍ عدولُه؛ ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»[2].

ويقول الشيخ محمد الغزالي مهاجماً أصحاب هذا الاتجاه: وكل محاولة للبتر أو الإضافة أو التحوير هي خروج عن الإسلام، وافتراء على الله، وافتيات على الناس، وتهجّم على الحق بغير علم، وليس يقبل من أحد بتّة أن يقول: هذا نص فات أوانه، أو هذا حكم انقضت أيامه، أو أن الحياة بلغت طوراً يقتضي ترك كذا من الأحكام، أو التجاوز عن كذا من الشرائع، فهي محاولات لهدم الإسلام وإعادة الجاهلية... ثمّ يقول: فلنعلم أن تجديد الدين لا يعني ارتكاب شيء من هذه المحاولات المنكورة، ولم يفهم أحد من العلماء الأولين أو الآخرين أن تجديد الدين يعني: تسويغ البدع ومطاوعة الرغبات، وإتاحة العبث بالنصوص والأصول لكل متهجم[3].

ومن أبرز ملامح هذا الخطاب:

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٣٤٦ -٣٤٧.

(٢) أخرجه ابن عبد البر في التمهيد (١/ ٥٩) وغيره، وجمع طرقه ابن القيم في كتابه مفتاح دار السعادة ص ١٧٨، وصححه الألباني بمجموع طرقه في تحقيقه لكتاب مشكاة المصابيح (١/ ٥٣) برقم ٥١.

(٣) كيف نفهم الإسلام، محمد الغزالي، ص١٨٣، ويأخذ بعضهم على الشيخ أنه وقع في شيء مما حذر منه، وخالف لما شرطه هنا للتجديد الصحيح، ولذا يعده بعضهم ضمن العصرانيين، ينظر التجديد في الفكر الإسلامي لعدنان أمامة ص ١٩، او يعد ضمن أصحاب الصورة الثانية التي سنذكرها.

- **تقديم العقل**: وجعله معياراً للصواب والخطأ، وتقديره تقديراً كبيراً حتى يتجاوز به حده فيعارضون به الشرع، فاذا دل العقل عندهم على شيء كان هو المقدم، وما خالف العقل عندهم حقه التأخير، ولو كان من نصوص الشريعة الصحيحة الصريحة[1].

- **الإدعاء بأنّ نصوص الشريعة تراثية** وفي ظلها وقع دعاة التجديد التخريبي في أربع اشكاليات كبيرة:

الأولى: إنّ نصوص الوحي هي جزء من التراث، وتخضع بذلك للأخذ والترك وحتى النقد، ومعلوم أن الوحي ليس من التراث لأنه معصوم من الخطأ، والتراث هو النتاج العلمي والثقافي، وهو عبارة عن تفاعل اجتهادات السلف مع نصوص الوحي وفيها الصواب وفيها الخطأ.

والثانية: القول بتاريخية النصوص الشرعية، وإن التاريخ حاكم على النص وما يستنبط منه، فالنص لا يعطي كل معانيه إلا في ضوء التجربة التاريخية التي عاشها، وهو عندهم في الأغلب خاص بتلك الفترة التي عاشها ونزل فيها، وهكذا تحمل تفسيرات وشروحات النصوص وما ينتج عنها من أحكام، فهي دعوة لتعطيل بعض الأحكام وحتى العقائد احتكاماً إلى التاريخ، ومنها قضية الخلافة وطبيعة الدولة وصفة نظامها، وجهادها، وحجاب المرأة وولايتها السياسية، وإقامة الحدود وحرمة الربا.

والثالثة: جعل الوقائع التاريخية بمدلولاتها المختلفة منافسة لنصوص الوحي، أو تحد من عطاءاتها، وتحجمها[2]، ومن المتفق عليه عند الفقهاء أن الوقائع التاريخية لا تعد لوحدها دليلاً يحتج به.

---

(١) تجديد الخطاب الديني للشريف ص ٤٨.

(٢) تجديد الخطاب الإسلامي الرؤى والمضامين، د. عبد الكريم البكار ص١٢.

والرابعة: وهي أشدها الدعوة إلى نبذ التراث برمته ومنه نصوص الوحي، والانطلاقة في هذا العالم الجديد بالدساتير والقوانين التي يضعها أبناء هذا العصر المنفتحين على الحضارة الغربية، وما بلغته من تطور مادي.

• **اجتزاء النصوص وبترها سواء في الإثبات أو الاستنباط**: وهذا يفتح الباب على مصراعيه أمام هؤلاء الأدعياء في قطع النصوص من سياقها، أو الاستدلال بنص عام جاء مخصصاً في موضع آخر أو مطلق قُيِّدَ في نص آخر، وكل ذلك محكوم بالأهواء لا بأصول الاستنباط التي أجمع عليها الأصوليون من السابقين واللاحقين.

• **التغريب** وصورته عدم قبول شيء مما جاء في الكتاب والسنة، إذا كان لا يتوافق مع ما توصلوا إليه سواء في الفكر أو العلم، وهو امتداد وتقليد وتبعية عمياء لما صار إليه أهل الغرب من نبذهم ما جاء في العهدين القديم والجديد، وقد يعذر الغرب لما قامت عندهم من الأدلة والبراهين على تحريفهما، فأصبح من غير المقبول أن يتركوا ما يرونه الحق والصواب إلى ما يعلمون أنه محرف غير مستجمع للحقيقة ولذا يقول بعضهم: إن الأناجيل في صورتها الحالية تشتمل على مجموعة من الأساطير والخرافات، ولهذا لا يمكن أن تكون هي كلمات الله المقدسة[1].

ولكن لا عذر أبداً لمن اتبعهم على ذلك من المسلمين العصرانيين الذين يقول النبي ﷺ في حقهم: «لَيَحْمِلَنَّ شرارُ هذه الأمة على سَنَن الذين خلوا من قبلهم أهلِ الكتاب حذو القُذَّة بالقذة»[2]، والمراد متابعتهم متابعة تامة، وذلك للأسباب الآتية:

- إنّ الله تعالى حفظ كتابه من التحريف والتبديل ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر:٩] كما أنه سبحانه أقر وقوع التحريف بشتى صوره في الكتب

(١) العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب، محمد حامد الناصر ص١٩٠.

(٢) رواه أحمد في المسند ح (١٦٥١٢).

المقدسة السابقة ومنها التوراة والإنجيل من قبل علمائهم، قال الله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾ [المائدة:٤١].

- إنّ الكتاب والسنة تضمنت دعوة للتحديث والتجديد، وإنها عملية متواصلة ومستمرة إلى يوم القيامة، وهنالك شواهد وأمثلة عن قادة تلك العملية.

- إنّ الشواهد والتجارب التي سلكها بعض علماء الغرب في مقارنة ما جاء في القرآن، وما توصل اليه العلم التجريبي فضلاً عن الفكر الإنساني تؤدي إلى التوافق إلى حد التطابق بين الحقيقة القرآنية والحقيقة العلمية، فكان سببا في إسلام أكثرهم ومنهم الدكتور موريس بوكاي[١].

إنّ الخطاب التجديدي الذي يدعو إليه العصرانيون إن هو إلا خطاب تحريفي تخريبي، خطاب يقوم على تخريب العقيدة، وتحريف الشريعة لتجاري المفاهيم الثقافية والعلمية، والحالة الاجتماعية السائدة في المجتمعات الغربية التي تعلي من قيم العصر ومعطياته وإن كانت منحطة متدنية[٢].

ومن آثار هذه الصورة من الخطاب:

- تبديل الدين بإخضاعه وهو وضع إلهي إلى عقل الإنسان وتفكيره، مما يجعل الدين عرضة للتغيير والتبديل المستمر، وهذا بدوره يؤدي مع مرور الزمن إلى

(١) له مؤلفات في هذا الباب منها: العلم والتوراة والإنجيل والقرآن، وما أصل الإنسان..إجابات العلم والتوراة والإنجيل والقرآن.

(٢) تجديد الخطاب الديني للشريف ص ٦٩.

ضياع الدين كلية، كما حدث مع الذين من قبلنا اليهود والنصارى، وعند ذلك يدرس الإسلام، وتعود البشرية إلى الجاهلية مرة أخرى[1].

- سلخ الجيل الجديد عن رموزه الاصيلة من الخلفاء والقادة والعلماء، وإعمال القطيعة بينهما، وربطهم برموز مبتورة لا تحمل من الإسلام إلا الاسم، ومن الشرع إلا الرسم.

- تقوية الحركات الهدامة وتصدرها لقيادة الدول والمجتمعات الإسلامية، وشيوع أفكارها التي تقوض الإسلام شيئاً فشيء.

- التدرج بالمفاصلة بين حاضر الأمة وماضيها، وبذلك تفقد مستقبلها، وهذا على مستوى التطبيق، وأما في التنظير فقد وقعت هذه المفاصلة في خطابات وكتابات رؤوسها وأنصارها، لتصبح أمة بلا هوية ولا تاريخ وأخيراً بلا دين.

- تفتيت المجتمع الإسلامي وتمزيقه وإضعاف دوله لتكون غير قادرة على المواجهة بكل صورها، وإماتة روح الدفع والجهاد.

نماذج من خطاب التجديد التخريبي:

يرى الكاتب الصحفي أحمد عبد المعطي حجازي أن التجديد في الخطاب يكون بتغيير المضمون أو الفكرة الدينية[2]؛ ويذهب الدكتور نصر حامد أبو زيد (الذي حكمت عليه محاكم مصر بالردة) إلى أن المقصود بالتجديد في الخطاب الديني ليس هو تجديد اللغة، وإنما المقصود الفكر الديني في عمقه المعرفي، وجوهر التقدم والتجديد يكون بالانقلاب والخروج على المسلمات وهدم الثوابت، ويطالب بحرية البحث في التراث كله بحيث لا يكون في التراث بزعمه شيء من قرآن وسنة وعقيدة وشريعة وأحكام بمعزل عن التساؤل والنقد والنقاش الحر، ويؤيد القول

(١) تجديد الخطاب الديني للشريف ص ٣٨.

(٢) جريدة الأهرام المصرية عددها في ٢٣/ ٧/ ٢٠٠٣.

بأن الفكرة التي تكون كافرة محرمة في وقت ما تصبح هي حاضنة التطور والتغير في وقت آخر، ويذكر أن الحفاظ على الهوية وحماية القيم هي مقولات زائفة، كما يذكر أن في الدفاع عن الدين والهوية انحيازاً الى صفوف دعاة التجمد، وهو يقرر أن محمداً أخفق في دعوته في مكة، ويكذب ويقول: «هذه حقيقة تاريخية معروفة» والقرآن عنده بمنزلة الموسيقى[1]، ومحمد ﷺ لم يخفق في مكة، بل إن فضلاء صحابته وقادة الأمة من بعده هم ممن آمن به في مكة.

ويرى د. جمال البنا الذي يطلقون عليه صفة (المفكر الإسلامي) أن مشروع التجديد إذا أراد النجاح فعليه العودة إلى القرآن مباشرة دون الاعتماد على شيء من أقوال المفسرين (السابقين والمعاصرين)، وعدم قبول السنة حتى لو كانت مروية في الصحيحين، إلا إذا كانت موجودة في القرآن، وعدم الالتزام بالأحكام الفقهية التي وردت عن أئمة المذاهب الأربعة أو غيرهم؛ ويقول عن مشروعه هذا «ولا نرى في الحقيقة سواه، إذا أردنا النهضة بالإسلام»، ومن عجيب مواقفه أنه في الوقت الذي يهدر فيه التراث العلمي للأمة الإسلامية جميعه وإلغاء جهود علماء الأمة من عصر الصحابة وحتى يومنا، فإنه يفتح الباب أمام الناس جميعاً باختلاف مستوياتهم لدخول باب الفهم والاستنباط، وهذا الأمر بلا شك مدعاة للفوضى والاختلاف، ويقول إن الخلافة الراشدة انتهت مع طعن عمر بن الخطاب، وإن عثمان تأثر بالرواسب الأموية، وخالف سنة الشيخين، ولما حاول علي بن أبي طالب اعادة الأمر على ما كان عليه استحال ذلك، وكان يجب أن يقتل دون صاحبيه، لأنه أراد أن يقف في سبيل التطور»، فهذا المفكر والمجدد يرى أن عثمان وعلياً رضي الله عنهما ليسا من الخلفاء الراشدين، فالأول لأنه ترك سنة الشيخين، والثاني لأنه أراد العودة إليها، ويؤيد الخوارج في قتلهم علي رضي الله عنه، لأنه وقف بوجه التطور، وقد قاموا بما يجب

---

(١) ينظر مقال تجديد الخطاب الديني ضرورة معرفية وليس استجابة لاستحقاقات ١١ ايلول منشور على الانترنت في ١٥/ ٥/ ٢٠٠٣، وينظر كتاب تجديد الخطاب الديني ص ١١٥و ١١٦.

فعله عند المجدد. ويرى أن حجاب المرأة فرض على الإسلام، ولم يفرضه الإسلام، وإن الإسلام الذي يتعبد به المسلمون اليوم ليس هو إسلام القرآن والرسول، ولكنه إسلام الفقهاء والمحدثين والمفسرين الذين وضعوه خلال ألف وأربعمائة عام، وأن هذا الإسلام يختلف عن إسلام القرآن والرسول، وهذه دعوة لتضليل الأمة كلها، بل تكفيرها لأن ما تتعبد به اليوم ليس إسلام القرآن والرسول.

ويقول: «إن الإسلام قريب جداً من العلمانية، لأنه مثلها يدعو إلى الفصل بين الدين والدولة... وإن الإسلام شيء والدولة شيء آخر... وأن دولة المدينة التي حكمها الرسول، والخلفاء الراشدون لا يمكن أن تعد نموذجاً يعمل المسلمون لاستعادته، لأن دولة المدينة لم تستكمل كل مقومات الدولة»، ودعا إلى حذف مادة دين الدولة الإسلام من الدستور، فالدولة عنده مجتمع مسلمين لا تكون إسلامية ولا علمانية، ولكن مدنية[1].

(إضاءة: تجديد الخطاب عملية إصلاحية محافظة، وليس عملية منحرفة مبتورة أو تخريبية مسعورة)

ثالثا: مفهوم الوسطية:

لفظة وسط وما شابهها من مشتقات أخرى كواسط، وأوسط، ووسيط، ووسطى، وواسطة ووساطة تطلق في اللغة على معنيين:

المعنى الأول بديهي وعام، يقصد به مجرد التوسط بين شيئين مطلقاً معنوياً كان أو حسياً؛ كقولهم: فلان يقوم بدور الوسيط أو الوساطة بين خصمين، ويرى اللغويون أن الوسْط بالسكون ظرف بمعنى بين، ولا يراد به إلا مجرد التوسط بين

---

(١) ينظر موقعه الخاص دعوة الإحياء الإسلامي، وشبكة النبأ المعلوماتية بتاريخ ١٢/ ٥/ ١٤٣٤، وتجديد الخطاب الديني ص ١٢٣-١٢٤.

أمرين، أما الوسَط بالفتح فيراد به شيء أهم وأسمى من مجرد التوسط بمعنى المعتدل من كل شيء[1].

والمعنى الثاني للفظة وسط فهو المعنى الخاص، حيث يراد به في لغة العرب الأعدل والأفضل والأحسن والأخْيَر. ومن ذلك قولهم: فلان وَسَط قومه، أي: من أحسن القوم وأخير الناس. وقولهم عن رسول الله ﷺ إنه كان من أوسط قومه نسباً وشرفاً، أي: أنه من أخير الناس وأفضلهم وأعدلهم، والأوسط يأتي في معنى الأقرب إلى الاعتدال والقصد، والأبعد عن الغلوّ في الجودة والرداءة ونحوهما[2]؛ والمعنى الأخير هو الأقرب إلى طبيعة هذه الدراسة.

الوسطية في الشرع والاصطلاح: وردت الوسطية في القرآن الكريم في أكثر من آية وفي السنة في أكثر من حديث لتدل على معان عدة أبرزها: العدل والخيرية والتوسط بين الإفراط والتفريط.

قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة:١٤٣]، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُجَاءُ بِنُوحٍ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، يَا رَبِّ، فَتُسْأَلُ أُمَّتُهُ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا جَاءَنَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيَقُولُ: مَنْ شُهُودُكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَيُجَاءُ بِكُمْ فَتَشْهَدُونَ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ الله ﷺ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾، قَالَ: عَدْلاً ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾»[3].

---

(١) القاموس المحيط باب الطاء قسم الواو ص ٨٩٣، والمعجم الوسيط ص ١٠٣١.

(٢) معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، نشر الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ١٩٩٦م، ٦/ ٢٤٨.

(٣) رواه البخاري، باب قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة:١٤٣]، رقم: ٦٨٠٣.

يقول الحافظ ابن كثير: والوسط هنا الخيار والأجود، ولما جعل الله هذه الأمة وسطاً خصها بأكمل الشرائع وأقوم المناهج وأوضح المذاهب[١].

ويقول السعدي في تفسيرها: أي: عدلاً خياراً، وما عدا الوسط، فأطراف داخلة تحت الخطر، فجعل الله هذه الأمة، وسطاً في كل أمور الدين، وسطاً في الأنبياء، بين من غلا فيهم، كالنصارى، وبين من جفاهم، كاليهود، بأن آمنوا بهم كلهم على الوجه اللائق بذلك، ووسطاً في الشريعة، لا تشديدات اليهود وآصارهم، ولا تهاون النصارى،... ويضيف: فلهذه الأمة من الدين أكمله، ومن الأخلاق أجلها، ومن الأعمال أفضلها؛ ووهبهم الله من العلم والحلم، والعدل والإحسان، ما لم يهبه لأمة سواهم، فلذلك كانوا ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ كاملين، ليكونوا ﴿شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ بسبب عدالتهم وحكمهم بالقسط، يحكمون على الناس من سائر أهل الأديان، ولا يحكم عليهم غيرهم، فما شهدت له هذه الأمة بالقبول، فهو مقبول، وما شهدت له بالرد، فهو مردود[٢].

ويقول سيد قطب: وإنها للأمة الوسط بكل معاني الوسط، سواء من الوساطة بمعنى الحسن والفضل، أو من الوسط بمعنى الاعتدال والقصد، أو من الوسط بمعناه المادي الحسي..

(أُمَّةً وَسَطاً).. في التصور والاعتقاد... لا تغلو في التجرد الروحي ولا في الارتكاس المادي. إنما تتبع الفطرة الممثلة في روح متلبس بجسد، أو جسد تتلبس به روح. وتعطي لهذا الكيان المزدوج الطاقات حقه المتكامل من كل زاد، وتعمل لترقية الحياة ورفعها في الوقت الذي تعمل فيه على حفظ الحياة وامتدادها، وتطلق

---

(١) تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، ١/ ١٨١، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ /١٩٨٨م، دار الحديث، القاهرة.

(٢) تفسير السعدي ص٧٠.

كل نشاط في عالم الأشواق وعالم النوازع، بلا تفريط ولا إفراط، في قصد وتناسق واعتدال.

(أُمَّةً وَسَطاً).. في التفكير والشعور... لا تجمد على ما علمت وتغلق منافذ التجربة والمعرفة... ولا تتبع كذلك كل ناعق، وتقلد تقليد القردة المضحك... إنما تستمسك بما لديها من تصورات ومناهج وأصول ثم تنظر في كل نتاج للفكر والتجريب وشعارها الدائم: الحقيقة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذها، في تثبت ويقين.

(أُمَّةً وَسَطاً).. في التنظيم والتنسيق... لا تدع الحياة كلها للمشاعر، والضمائر، ولا تدعها كذلك للتشريع والتأديب. إنما ترفع ضمائر البشر بالتوجيه والتهذيب، وتكفل نظام المجتمع بالتشريع والتأديب وتزاوج بين هذه وتلك، فلا تكل الناس إلى سوط السلطان، ولا تكلهم كذلك إلى وحي الوجدان..

ولكن مزاج من هذا وذاك.

(أُمَّةً وَسَطاً).. في الارتباطات والعلاقات.. لا تلغي شخصية الفرد ومقوماته، ولا تلاشي شخصيته في شخصية الجماعة أو الدولة، ولا تطلقه كذلك فرداً أثراً جشعاً لا هم له إلا ذاته.. إنما تطلق من الدوافع والطاقات ما يؤدي إلى الحركة والنماء وتطلق من النوازع والخصائص ما يحقق شخصية الفرد وكيانه.

ثم تضع من الكوابح ما يقف دون الغلو، ومن المنشطات ما يثير رغبة الفرد في خدمة الجماعة، وتقرر من التكاليف والواجبات ما يجعل الفرد خادماً للجماعة، والجماعة كافلة للفرد في تناسق واتساق[1].

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب ١/ ١٣١.

ومنها قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [القلم:٢٨]، أي: أمثلهم تفكيراً، وأصوبهم رأياً، وأشرفهم قدراً، وأمثلهم وأعدلهم وأعقلهم[١]، وأحسنهم طريقة[٢].

وأما في السنة النبوية، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كنا عند النبي ﷺ، فخط خطاً، وخط خطين عن يمينه، وخط خطين عن يساره، ثم وضع يده على الخط الأوسط، فقال: «هذه سبيل الله»، ثم تلا قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [الأنعام:١٥٣].

ومن خلال ما سبق يتَّضح لنا أن كلمة (وسط)، تستعمل في معانٍ عدَّة أهمّها[٣]:

١- بمعنى الخيار والأفضل والعدل.

٢- قد ترد لما بين شيئين فاضلين.

٣- وتستعمل لما كان بين شرّين وهو خير.

٤- وقد تُطلق على ما كان بين شيئين حسًّا، كوسط الطّريق، ووسط العصا.

٥- وتستعمل لما كان بين الجيّد والرديء، والخير والشَّرّ، وهذا المعنى قد يكون مقبولاً لغةً، ولكن هنالك من يتحفظ على هذا المعنى من الناحية الشرعية، فلا يلزم لكل ما يعتبر وسطاً في الاصطلاح أن يكون له طرفان، فالعدل وسط ولا

---

(١) تفسير القرطبي ١٨/ ٢٤٤.

(٢) تفسير السعدي ص٨٨٠.

(٣) ينظر: الوسطية في ضوء القرآن الكريم، د.ناصر بن سليمان العمر، الرياض، دار الوطن، ط١/ ١٩٩٣، ص ٣٩. والوسطية في القرآن الكريم، د. علي محمد الصلابي، بيروت، دار المعرفة، ط١/ ٢٠٠٥، ص ٣٧-٣٨.

يقابله إلا الظلم، والصدق وسط ولا يقابله إلا الكذب[1]، ومن هنا لا ينبغي أن يتبادر إلى الذهن على أي نحو أن الوسطية تعني مستوى من مستويات التوفيق بين قواعد ومبادئ وقيم ومثل نزولاً على مقتضى من المقتضيات، أو أنها ضرب من (التقريب) بين ما تَبَايَنَ واختلف من التشريعات والأحكام، فهذا الفهم للوسطية يجافي حقيقتها ويتعارض مع خصوصيتها.

وللتوفيق في ذلك ذهب الدكتور ناصر العمر ووافقه عليه الدكتور الصلابي إلى أن مصطلح الوسطية لا يصح إطلاقه إلا إذا توفرت فيه صفتان:

- الخيرية: أو ما يدل عليها كالأفضل والأعدل أو العدل.
- البينية: سواء أكانت حسية أو معنوية.

فإذا جاء أحد الوصفين دون الآخر فلا يكون داخلاً في مصطلح الوسطية، فكل وسطية تلازمها الخيرية، فلا وسطية بدون خيرية، ولا عكس فلا بد مع الخيرية البينية حتى تكون وسطاً[2].

وعلى ضوء ذلك تأتي الوسطية مقابل:

- **الغلو والإفراط**: وهو مجاوزة الحد. قال تعالى: ﴿لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ﴾ [النساء:١٧١،المائدة:٧٧]، ونهى الرسول ﷺ عن التنطع بقوله: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ» قَالَهَا ثَلَاثًا[3]. ونهى عن الغلو بقوله ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَالغُلُوَّ فِي الدِّينِ فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الغُلُوُّ فِي الدِّينِ»[4]، وقال ﷺ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ

(١) الوسطية في الإسلام، محمد عبد اللطيف الفرفور، بيروت – دار النفائس، ط١/ ١٩٩٣، ص ٣٣.

(٢) ينظر: الوسطية في ضوء القرآن الكريم للعمر ص ٤١. والوسطية في القرآن الكريم، للصلابي ص٣٩.

(٣) رواه مسلم، باب هلك المتنطعون، رقم: (٤٨٢٣).

(٤) رواه ابن ماجة، باب قدر حصى الرمي، رقم: (٣٠٢٩)، وقال الشيخ الألباني: صحيح.

إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنْ الدُّلْجَةِ»[1].

- ومقابل التفريط والإسراف: وهو بمعنى التقصير[2].

وفي ظل التنكر لهذا المفهوم للوسطيَّة وحقيقتها ضلَّ كثيرون، وبيان ذلك[3]:

١- هناك من فهم أن الوسطيَّة تعني التَّنازل والتَّساهل، فإذا رأوا مسلمًا قد التزم الصّراط المستقيم، وسار على هدي النبوَّة، قالوا له: لماذا تُشدِّد على نفسك وعلى الآخرين ودين الله وسط؟ ولذلك نجد في واقعنا المعاصر أن أكثر الذين يُرمَون بالتَّطرف والغلوّ وأخيرًا بالأصوليَّة هم من الذين التزموا بالمنهج على وجهه الصَّحيح؛ ومن أسباب ذلك الجهل بحقيقة الوسطيَّة.

٢- وفي المقابل نجد فئة من المتحمِّسين المندفعين، يصفون أصحاب المنهج الحقّ، الذين لم يوافقوا هؤلاء على أفكارهم، ولم يسايروهم في حماسهم واندفاعهم يصفونهم بالتَّساهل والتَّهاون، وعدم الغيرة، بل وأحيانًا بالتَّنازل والمالأة.

ومنشأ ذلك -أيضًا- جهلهم بحقيقة الوسطيَّة، مع أنهم يدَّعونها، لكنهم لا يفهمونها على الوجه الصحيح، كما أنهم قد يغفلون عن مقياس الوسطية المتمثل بالشرع، وليس هوى الناس أو ما تعارف عليه الناس وألفوه في حياتهم.

٣- وهناك فئة ثالثة ليست من هؤلاء ولا أولئك، وهم حريصون على الالتزام بالمنهج الصحيح، ولكنَّهم يقعون في أخطاء أثناء ممارستهم للدعوة قولاً أو

(١) رواه مسلم، باب الدين يسر، رقم: (٣٨).

(٢) بحوث ندوة أثر القرآن الكريم في تحقيق الوسطية ودفع الغلو، مجموعة من الباحثين، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، ط٢، ١٤٢٥. موقع الإسلام، http://www.al-islam.com

(٣) الوسطية في ضوء القرآن الكريم للعمر، مصدر سابق، ص ٤٣.

فعلاً، وسبب هذا الأمر عدم تصورهم لمنهج الوسطيَّة تصورًا شاملاً، وقصرهم هذا المنهج على بعض آحاده.

التوازن والاعتدال:

أن الوسطية هي تحقيق لمبدأ التوازن الذي تقوم عليه سنة الله في خلقه، يقول تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر:٤٩]، أي بمقدار وبميزان، وعلى وفق نظام رباني ومشيئة آلهية، ولحكمة أرادها الله تعالى، يقول الله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الفرقان:٢]، أي: وفق تقدير مسبق وثوابت وسُنَن لا تبديل لها، وهذا التوازن الذي يعني في الوقت نفسه الاعتدال، والتكافؤ بين العناصر والمقومات والمكونات جميعاً والتكامل فيما بينها، هو القاعدة الثابتة للوسطية، فإذا انتفى هذا التوازن، فقدت الوسطية عنصرها الأساس، لأنها في هذه الحالة تميل مع الأهواء، فتصبح تفريطاً أو إفراطاً، وهما بابان من أبواب التطرف في أحد الاتجاهين الإيجابي أو السلبي، وإن كان لا خير في التطرف من حيث هو، وإن حسنت النوايا، لأنه شرٌّ كلّه وعاقبته وخيمة في جميع الأحوال[1].

والاعتدال: هو التزام المنهج العدل الأقوم، والحق الذي هو وسط بين الغلو والتنطع، وبين التفريط والتقصير، فالاعتدال والاستقامة وسط بين طرفين هما: الإفراط والتفريط.

فالاعتدال والوسطية منهج الحق ومنهج الأنبياء وأتباعهم، ويتمثل ذلك بالإسلام بعد مبعث النبي ﷺ وبالسنة، ومنهج السلف بعد ظهور الأهواء والافتراق، فأهل الوسطية هم العدول الأخيار في العقيدة والعبادة والأخلاق

---

(١) وسطية الإسلام وسماحته ودعوته للحوار؛ د. عبد العزيز بن عثمان التويجري ١ / ٢٤٢، ووسطية الإسلام وسماحته، للدكتور وهبة الزحيلي، النسخة الالكترونية: موقع الإسلام http://www.al-islam.com

والمواقف، ولا يتحقق الاعتدال في الاعتقاد والعمل والعلم والدعوة وغيرهما إلا بالتزام الكتاب والسنة وسبيل المؤمنين[1].

ومما سبق يمكن أن نعرف وسطية الخطاب الإسلامي بأنها: **التزام الخطاب بضوابط الشريعة ومقاصدها المبنية على التيسير والاعتدال والتوازن، سواء في الرسالة أو الأسلوب بعيداً عن التنطع والإفراط والتسويف والتفريط.**

(إضاءة: وسطية الخطاب إنصاف العدول بالتزام بالأصول ومعاملة الحق بالقبول)

(١) الوسطية في ضوء القرآن الكريم، للعمر، ص ٥٤.



الفصل الثاني

أصول الخطاب الإسلامي

أولاً: المبدئية

ثانياً: الواقعية

ثالثاً: التفاعلية

رابعاً: الاستمرارية والتواصلية

خامساً: البينة

سادساً: الموضوعية

سابعاً: الإيجابية

ثامناً: الوسطية

تاسعاً: التكاملية المتوازنة

عاشراً: مواكبة التطور والتجدد

الفصل الثاني

أصول الخطاب الإسلامي

من خلال التتبع للآيات القرآنية التي تعالج الخطاب ومتعلقاته وارتباطاته، وللخطوات المنهجية التي كان رسول الله ﷺ يعرض فيها دعوته، ويواجه المشكلات المحدقة بها، ويتفاعل بواسطتها مع الأحداث الجسام التي كانت تعترضه وتحول دون بنائه للأنموذج الاجتماعي البديل، يتأكد لدينا أن النجاح الكبير الذي حققه ﷺ في دعوته، يعود إلى طبيعة خطابه الذي دعا فيه إلى إحقاق مصالح الأمة ورعايتها، وتبيين وجوه الحق ومنهج الإصلاح والتغيير، وعمل على الإقناع بأسلوب الموعظة والحوار والمجادلة بالتي هي أحسن، لا بأسلوب الإكراه والزجر، وإذا ما حاولنا استخلاص الأصول الكبرى لمنهج هذا الخطاب[1]، والتي تعد من مقومات التجديد فإننا نجده ينبني على المقومات الآتية:

أولا: المبدئية:

وهي الأصل الأول من أصول الخطاب الإسلامي، ونقصد بالمبدئية هنا التزام القائم بالخطاب في سلوكه ومواقفه وعلاقاته بمقررات العقيدة وثوابتها، وجعلها فيصلاً بينه وبين الناس في الولاء والبراء، والإقدام والإحجام.

---

(١) أطلق على بعضها الدكتور إدريس بووانو المعالم في مقال له بعنوان الخطاب السياسي الإصلاحي النبوي، وقد اعتمدناها إجمالاً لا تفصيلاً، ينظر الخطاب الإسلامي في عصر الإعلام والمعلوماتية، مجموعة من الباحثين ص ٧٣.

وقدوتنا في ذلك رسول الله ﷺ فقد كان مبدئياً في خطابه ودعوته، ولعل السبب في التزامه بها يكمن في إدراكه ﷺ العميق لمشروع الدعوة في أهدافه ومنطلقاته ومضمونه، واقتناعه المكين به، وبقدراته على حل مشكلات الإنسانية جمعاء، هذا الوضوح للمشروع في ذهنه ﷺ، وهذه الثقة المطلقة في مصداقيته وأحقيته هي التي كانت وراء هذا الانشداد لمقرراته والاعتصام بثوابته، ووراء هذه المبدئية العالية التي شكلت المقوم الأساس الأول في خطابه، ومن هنا جاء التحذير الإلهي للنبي ﷺ في عدم مداهنة العدو على حساب العقيدة، قال الله تعالى: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [القلم:٨-٩]؛ وعلل سبحانه ذلك بقوله: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ [الأنعام:١١٦].

ومشى قادة قريش إِلَى عمه أَبِي طَالِبٍ، فَقَالُوا لَهُ: يَا أَبَا طَالِبٍ إنّ لَك سِنّاً وَشَرَفًا وَمَنْزِلَةً فِينَا، وَإِنّا قَدْ اسْتَنْهَيْنَاكَ مِنْ ابْنِ أَخِيك فَلَمْ تَنْهَهُ عَنّا، وَإِنّا وَاللهِ لَا نَصْبِرُ عَلَى هَذَا مِنْ شَتْمِ آبَائِنَا، وَتَسْفِيهِ أَحْلَامِنَا، وَعَيْبِ آلِهَتِنَا، حَتّى تَكُفّهُ عَنّا، أَوْ نُنَازِلَهُ وَإِيّاكَ فِي ذَلِكَ حَتّى يَهْلِكَ أَحَدُ الفريقين؛ (ثُمّ) انْصَرَفُوا عَنْهُ فَعَظُمَ عَلَى أَبِي طَالِبٍ فِرَاقُ قَوْمِهِ وَعَدَاوَتُهُمْ، وَلَمْ يَطِبْ نَفْسًا بِإسلام رَسُولِ الله ﷺ لَهُمْ وَلَا خِذْلانِهِ، فبَعَثَ إِلَى رَسُولِ اللهّ ﷺ فَقَالَ لَهُ: يَا ابْنَ أَخِي، إنّ قَوْمَك قَدْ جَاؤُونِي، فَقَالُوا لِي كَذَا وَكَذَا، لِلّذِي كَانُوا قَالُوا لَهُ، فَأَبْقِ عَلَيّ وَعَلَى نَفْسِك، وَلَا تُحَمّلْنِي مِنْ الأَمْرِ مَا لَا أُطِيقُ، قَالَ: فَظَنّ رَسُولُ الله ﷺ أَنّهُ قَدْ بَدَا لِعَمّهِ فِيهِ بَدَاءٌ أَنّهُ خَاذِلُهُ وَمُسْلِمُهُ، وَأَنّهُ قَدْ ضَعُفَ عَنْ نُصْرَتِهِ وَالقِيَامِ مَعَهُ. فَقَالَ رَسُول اللهّ ﷺ: «يَا عَمّ، وَالله لَوْ وَضَعُوا الشّمْسَ فِي يَمِينِي، وَالقَمَرَ فِي يَسَارِي عَلَى أَنْ أَتْرُكَ هَذَا الأَمْرَ حَتّى يُظْهِرَهُ الله، أَوْ أَهْلِكَ فِيهِ، مَا تَرَكْتُهُ»[1].

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٢٦٥-٢٦٦.

فتساقطت قريش حتى جاءت في عام الفتح ذليلة لتدخل في دين الله أفواجاً، أمام مبدئية النبي ﷺ الذي لم يداهن ولم يساوم.

ويؤكد علماء الاتصال والإعلام الإسلامي على أن القائم بالخطاب الإعلامي إذا كان لا علم له ولا إيمان له بمبادئه وأهدافه، فإن ضرره سيكون أكثر من نفعه، وإفساده أكثر من إصلاحه، وقد يدعو إلى ما فيه الضرر على نفسه وأمته، وسيتسم خطابه بالتناقض والغموض، مما يجعله غير جدير بثقة الناس واحترامهم، ومن ثم يصبح عديم الجدوى والفائدة، فالعلم بالمبادئ والإيمان بها ضرورة إعلامية بالنسبة للقائم بالخطاب الإسلامي، فلا بد له من العلم بالله والإيمان به وبأوامره ونواهيه، ولابد له من أن يكون على يقين تام بأن ما هداه الله إليه من الأمور للإيمان والعمل بها والدعوة إليها حق خالص، وما عداها باطل وضلال قطعا، ويتيقن عن علم وإيمان بأن أي تحول عن هذه المبادئ أو ميل إلى غيرها يعني اتباع الأهواء الباطلة التي فيها الضلال والضياع الأبدي.. لأن هذا المبدأ هو الأصل الذي ينبثق عنه كل فرع من فروع العمل الخطابي والإعلامي وتتعلق به كل النتائج[(١)].

(إضاءة: كن مبدئيا في خطابك تبلغ غايتك من غير تساقط)

ثانيا: الواقعية:

ونعني بها التعامل الموضوعي مع الواقع الإنساني في أبعاده الفطرية الثابتة، وما يطرأ عليها من أوضاع وملابسات لتكييفه تدريجياً مع سنن الله في الآفاق والأنفس، وترقيته إلى المستوى الاستخلافي المُمَكَن.

لقد كان خطاب النبي ﷺ واقعياً في كل خطواته، لا يهمل الواقع الإنساني، ولا يتعالى عليه، ولا يسقطه من حسابه، اتكالاً على كونه نبياً مؤيداً بالوحي،

---

(١) ينظر: الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية، مجموعة الباحثين، إصدارات الندوة العالمية للشباب الإسلامي ص ٣١، بتصرف يسير.

ومسدداً به، بل كان شديد العناية بمعرفته، والإحاطة بأوضاعه وملابساته التي كثيراً ما كيّف على ضوئها خطواته ومواقفه الإجرائية للإفادة منها في تحريك الأحداث بإيجابية نحو تحقيق مقاصد الدعوة وأهدافها.

فحينما بعث النبي ﷺ أبا بكر رضي الله عنه ليحج بالناس، بعث خلفه علياً رضي الله عنه ليعلن عن نقض النبي ﷺ للعقود مع المشركين، فكان الصديق يُعرِّف الناس مناسكهم؛ في وقوفهم وإفاضتهم ونحرهم، ونفرهم، ورميهم للجمرات...إلخ، وعليّ يخلفه في كل موقف من المواقف، فيقرأ على الناس صدراً من سورة براءة ثم ينادي في الناس بهذه الأمور الأربعة: لا يدخل الجنة إلا مؤمن، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فعهده إلى مدته، ولا يحج بعد العام مشرك، يعلق د. الصلابي على هذه المسألة بقوله: وقد كلف النبي ﷺ علياً بإعلان نقض العهود على مسامع المشركين في موسم الحج مراعاة لما تعارف عليه العرب بينهم في عقد العقود ونقضها، أن لا يتولى ذلك إلا سيد القبيلة أو رجل من رهطه، وهذا العرف ليس منافاة للإسلام[1]. وهكذا أخذ المشركون هذا الخطاب على محمل الجد فبلغ غايته وحقق هدفه.

(إضاءة: كن واقعياً في خطابك فينقاد لك الواقع بأهله)

ثالثا: التفاعلية:

ونقصد بها قدرة القائم بالخطاب على الاستفادة من الظروف والإمكانات المتاحة، والتفاعل الايجابي معها لإثارة الاهتمام بالدعوة ومواجهة المشكلات التي يثيرها الواقع في وجهها بكفاءة؛ وقد سهل الامر على النبي ﷺ في فاعلية خطابه وضوح أهداف دعوته، واقتناعه الراسخ بأنه يحمل خيراً كثيراً للإنسانية، ومرونته الكبيرة في التعامل مع الواقع الإنساني، وإحساسه العميق بالمسؤولية الملقاة على

(١) السيرة النبوية ص ٨٦٠.

عاتقه في تغييره ومعرفته المكينة بالمجتمع وقواه المختلفة، وعدم استنكافه من الاستفادة من كل ما هو متاح حوله.

وتتجلى التفاعلية في الخطاب الإسلامي من خلال اعتماد مبدأ الشورى، قال الله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٩)﴾ [آل عمران:١٥٩]، وقوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى:٣٨]، وقد اعتمدها النبي ﷺ في جميع أحواله، ففي غزوة بدر حينما أنزل النبي ﷺ صحابته منزلاً عند أدنى ماء من مياه بدر، جاءه الصحابي الحُبَاب بن المنذر وقال: يا رسول أرأيت هذا المنزل، أمنزلاً أنزلكه الله، ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال رسول الله: (بل هو الرأي والحرب والمكيدة) قال: يا رسول الله فإن هذا ليس بمنزل، فانهض يا رسول الله بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم -أي المشركين- فننزله ونغور -نخرب- ما وراءه من الآبار، ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماء ثم نقاتل القوم، فنشرب ولا يشربون، فأخذ النبي ﷺ برأيه[١].

يعقب الدكتور الصلابي على هذه الواقعة قائلاً: كان أي فرد من أفراد المجتمع يدلي برأيه، حتى في أخطر القضايا ولا يكون في شعوره احتمال غضب القائد الأعلى، ثم حصول ما يترتب على ذلك الغضب، من تدني سمعة ذلك المشير بخلاف رأي القائد، وتأخره في الرتبة وتضرره في نفسه وماله، إنَّ هذه الحرية التي ربى عليها رسول الله ﷺ أصحابه، مكنت مجتمعهم من الاستفادة من عقول جميع أهل الرأي السديد والمنطق الرشيد... وإن كان من أقلهم سمعة وأبعدهم منزلة، لأنه ليس هنالك ما يحول بين أي فرد منهم والوصول برأيه إلى قائد جيشه[٢].

واليوم تعد التفاعلية وتبادلية التأثير سمة من سمات الاعلام المعاصر، وقد اهتم المنظرون في الإعلام بفاعلية التأثير المشترك أو المتبادل بين وسائل الإعلام

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٦٦.

(٢) السيرة النبوية للصلابي ص ٣٩٨.

وبين المتلقي -فرداً أو مجتمعاً-، وصاغوا نظريات في التأثير التفاعلي سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة، ومن هذا التطور يفضل بعضهم استخدام مصطلح التواصل بدل الاتصال أو الإعلام، لأن التواصل يدل على أن هناك طرفين في العلاقة، بينما يفهم من الاتصال بأنه أحادي الجانب، وهذا يؤيد ما ذهبنا إليه من كون عملية الاتصال تفاعلية وتبادلية التأثير، فعلينا اليوم أن نوظف في خطابنا القنوات الفضائية ومواقع التواصل الاجتماعي التي أتاحت للجميع التواصل مع العالم أجمع.

(إضاءة: **إذا أردت في خطابك بلوغ أقصى الغايات فعليك توظيف ما متاح من الإمكانيات**، فأين نحن من طاقات الأمة)

رابعا: الاستمرارية والتواصلية:

ويقصد بها الاندفاع المنهجي المتواصل نحو الهدف بغير كلل ولا ملل مهما طال أمد التحديات أو اشتد؛ ومع أن القوى المضادة كان هدفها المحوري هو إعاقة هذه الدعوة من التواصل والاستمرارية، وبذلت جهوداً مضنية من أجل ذلك، ولكنها تحطمت كلها على صخرة الخطاب النبوي، وإصرار صاحبه على الاستمرار في السير نحو أهدافه بكل جدية وفعالية وطموح.

يقول الأستاذ سيد قطب: وقيل لرسول الله ﷺ (قم).. فقام. وظل قائماً بعدها أكثر من عشرين عاماً! لم يسترح. ولم يسكن. ولم يعش لنفسه ولا لأهله. قام وظل قائماً على دعوة الله. يحمل على عاتقه العبء الثقيل الباهظ ولا ينوء به... عبء الأمانة الكبرى في هذه الأرض... عبء البشرية كلها، وعبء العقيدة كلها، وعبء الكفاح والجهاد في ميادين شتى... هكذا قام محمد ﷺ وهكذا عاش في المعركة الدائبة المستمرة أكثر من عشرين عاماً. لا يلهيه شأن عن شأن في خلال هذا الأمد، منذ أن سمع النداء العلوي الجليل وتلقى منه التكليف الرهيب[1].

(١) في ظلال القرآن ٦/ ٣٧٤٢.

ولأهمية الاستمرار والتواصل في العملية الإعلامية نجد بعض علماء الإعلام يفضل استخدام مصطلح التواصل بدل الاتصال أو الإعلام، لأن التواصل يدل على أن هناك طرفين في العلاقة وبمقدار ديمومة التواصل يتحصل التأثير المقصود.

(إضاءة: كن متواصلاً في خطابك حتى تحقق غايتك وستصل)

خامسا: البينة:

ويتميز الخطاب الإسلامي في عصر النبوة بكونه بلاغاً مبيناً من خلال تجرده ووضوح مقاصده وأهدافه، وكان تحقيق البلاغ المبين سعياً لإقناع الآخرين من خلاله، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾﴾ [العنكبوت:١٨]، والبلاغ المبين هو الواضح البيّن[1]، الذي يوصل المعاني المطلوبة إلى من يتوجه إليه الخطاب.

ومن الأخطاء المعاصرة أننا نجد بعض الخطباء والدعاة والإعلاميين يعللون ضعف دعوتهم وخطابهم بأنهم مكلفون بالبلاغ وليس عليهم الهداية، وهذا الفهم منقوص لأنه مجتزأ؛ فإن الله تعالى قيد البلاغ بصفة المبين، فلا بد للدعاة ولاسيما من لهم حضور جماهيري أو في الإعلام، أن يحرصوا على توضيح خطابهم وتبيينه للناس، فقد يكون الخطاب واضحاً عند صاحبه، لكنه غير جلي عند سامعه ولا بيّن عند متلقيه، ولهذا نجد كثيراً من الآيات تؤكد على التبيين في الدعوة يقول الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ [إبراهيم:٤]، والعهد الذي أخذه ربنا على الأنبياء والعلماء والدعاة والاعلاميين هو التبيين كما حذر من عدم التبيين والكتمان: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾ [آل عمران:١٨٧].

---

(١) الخطاب السياسي الإسلامي: مجلة البيان، العدد [١٠٠] ص٦٢.

ولسان القوم يكون بيانه بمراعاة أساليبهم ولغتهم وقنوات التواصل معهم، ولا يخفى أن الوسائل الإعلامية تمثل لسان خطاب الجمهور في هذا العصر، كما أن من لسان الدعاة مواقع التواصل الاجتماعي والمدونات، فعلينا أن نحرص على توظيفها وإتقانها.

ولذلك نجد النبي ﷺ حرص أشد الحرص على تبيين دين الله وبشتى الأساليب، يقول الله تعالى: ﴿ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ ﴾ [سبأ:٤٦]، بل إنّ الله تعالى أشفق على نبيه من شدة حرصه على هذا الأمر: كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ﴾ [فاطر:٨]، وقوله سبحانه: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ ﴾ [الكهف:٦]، وقوله تعالى: ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [الشعراء:٣]؛ قال ابن كثير: وقوله: ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ ﴾ أي: مهلك ﴿نَّفْسَكَ ﴾ أي: مما تحرص عليهم وتحزن عليهم ﴿أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾، وهذه تسلية من الله لرسوله، صلوات الله وسلامه عليه، في عدم إيمان مَنْ لم يؤمن به من الكفار[(١)]، فكل هذا وغيره يدل على حرص النبي ﷺ على هداية الناس وإقناعهم بالحق الذي أرسل به فرادى وجماعات.

ويذهب بعض علماء الاتصال والإعلام الإسلامي الى ضرورة مراعاة هذا الأصل في تقديم الخطاب الإسلامي، لأنه يقوم على واجب أداء البلاغ المبين، تبليغ الناس كافة دعوة الإسلام، ومن شروط البلاغ أن يكون مبيناً، بأن يقدم الإسلام في أجمل أسلوب، وأحسن وسيلة، وأدق وأوضح بيان، وبما أن خبر السماء قد انقطع عن الأرض بانتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى، وترتب على ذلك انقضاء زمن معجزات الدعوة، فليس أمام المسلمين غير إتقان فنون الإعلام، أداء لواجب البلاغ

(١) تفسير ابن كثير ٦/ ١٣٥.

المبين، وإبطالاً لصنع السحرة المعاصرين، فسحر عصرنا هذا هو الإعلام بوسائله التقنية، وفنونه المختلفة، وسرعة بثه، وقوة تأثيره، وبرعاته في تزيين ما يريد تزيينه[1].

(إضاءة: البينة في الخطاب تفتح أمامك القلوب والألباب، فكن واضحاً تملك للقلوب التائهة مفتاحا)

سادسا: الموضوعية:

فالخطاب الإسلامي موضوعي محايد لا يتحيز إلا للحق بغض النظر عن أية مصلحة أخرى فهو يلتزم الحقيقة، ويعبر عنها في مادته وفي تحليله وتفسيره، ولا يبعده عن ذلك وإن كان الآخر خصماً عنيداً، فهو خطاب منصف ومتزن؛ يحترم الآراء، ويعتمد الموضوعية في الحوار والطروحات، يقول الله تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ [البقرة:١١١].

ومن الاتزان والموضوعية ترك الجدال العقيم، فالإسلام يذم المراء حتى لو كان في الحق؛ لما يورث من البغضاء والمفاسد والفتن ما لا يحمد عقباه، يقول النبي ﷺ: (أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً)[2].

لذا على القائم بالخطاب الإسلامي أن لا يبالغ في نقد الآخرين (أفراد ومؤسسات) فالخطأ أمر وارد كما يقول ﷺ: (كل ابن آدم خطاء)[3] وقد تؤدي المبالغة إلى انصراف المخاطبين والمتلقين عن المتابعة، وتدفع المحاورين إلى الكف والإعراض

---

(١) ينظر: الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية، مجموعة باحثين، ص ٢٩٩- ٣٠٠، بتصرف يسير.

(٢) رواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، ٤/ ٢٥٣، حديث رقم (٤٨٠٠). ينظر صحيح الجامع (١٤٦٤).

(٣) رواه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، ٤/ ٦٥٩، حديث رقم ٢٤٩٩. ينظر صحيح الجامع (٤٥١٥).

وبذلك لا يتم الإصلاح، لذا على الإعلامي أن يبتعد عن الأسلوب الهدمي، وهو تهويل الأخطاء أو عرضها بأسلوب ساخر تهكمي.

والموضوعية تقتضي أن يلتزم بالعدل والميزان القسط مهما كانت الظروف والأحوال، فلا ينحاز إلى شخص أو إلى طبقة أو إلى جنس أو إلى قومية أو إلى منفعة مادية على حساب الحق، يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢)﴾ [الأنعام:١٥٢]، وقوله تعالى: ﴿۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ﴾ [النساء:١٣٥]، وتكون الموضوعية حتى عند تعامله مع قضايا الخصوم والأعداء، يقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٨)﴾ [المائدة:٨]، ويصبح ضمير الداعية القائم بالخطاب وثقافته الأصيلة وروحه الأمينة دافعاً له على قول الحق، مهما كانت الإغراءات المالية أو السياسية أو الضغوط الاجتماعية، فاستشعار مراقبة الله تعالى هي التي تحقق نجاح الخطاب والإعلام الإسلامي حيث أخفقت جميع صنوف الرقابة الإدارية والمجالس الصحفية ولجان تقصي الحقائق[1].

ومن صور الموضوعية :

- ذم صاحب المجادلة بالباطل ليدحض به الحق، وذلك كقوله تعالى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ۖ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا (٥٦) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا

(١) (أصول الإعلام الإسلامي ٤٩-٥٠).

قَدَّمَتۡ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ﴿٥٧﴾ ﴾ [الكهف:٥٦-٥٧].

- ذم المجادلة بغير علم ولا برهان، يقول الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴿٨﴾ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحج:٨-١٠]. وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ﴿٣٥﴾ ﴾ [غافر:٣٥]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ ﴾ [غافر:٥٦].

- ذم الجدال في الحق بعد ظهوره ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾﴾ [الأنفال:٦].

- وأخيراً فإن الموضوعية تتجلى في الاستعداد التام للتخلي عن جميع التصورات وتبني نقيضها إذا اتضح أن الحق مع الرأي الآخر، وهذا الاستعداد ليس مجاملة إنما هو تعهد يعبر عن مصداقية القائم بالخطاب الإسلامي في اتباع الحق وهو تكليف إلهي صريح في محاورة الآخر[1]، يقول الله تعالى: ﴿ قُلۡ إِن كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٞ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [الزخرف:٨١]؛ فقد قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في أول خطبة له

(١) (دراسة للدكتور مبارك الهاشمي بعنوان جذور التفكير الحواري في الثقافة العربية، ينظر الحوار مع الذات ٢٠٣).

بعد مبايعته على الخلافة: أما بعد أيها الناس إني وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فَقَوِّموني[1].

وخطب الخليفة عمر بن الخطاب ﵁ ذات يوم فقال: لا تزيدوا في مهر النساء على أربعمائة درهم، فمن زاد ألقيت الزيادة في بيت المال، فقالت امرأة معترضة على ذلك: ما ذاك لك، قال: لِمَ؟ قالت: لأن الله تعالى قال: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾﴾ [النساء:٢٠]، فقال عمر: امرأة أصابت وأخطأ رجل، ثم قام فخطب وقال: أيها الناس، إني كنت نهيتكم أن تزيدوا النساء في صدقاتهن على أربعمائة درهم، فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحبَّ وطابت به نفسه فليفعل[2].

ويقول عثمان: فو الله إن ردني الحق عبداً ذليلاً لأذلنَّ ذل العبيد[3].

وتكلم الخوارج في الخليفة علي بن أبي طالب ﵁ ورموه بالكفر، ومع ذلك يحاورهم ويبين لهم حقوقهم قائلاً لهم: لكم علينا ثلاث: لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسم الله، ولا نبدؤكم بقتال، ولا نمنعكم الفيء ما دامت أيديكم معنا،

ويقف أحد أفراد المعارضة في الدولة الأموية بين يدي الخليفة هشام بن عبدالملك، إذ أخذ يتكلم مدافعاً عن نفسه وما ألصق به من تهم، فنهره الخليفة قائلاً: أتتكلم مع ما نقل عنك؟ فاستنكر الرجل محاولة الخليفة منعه من الكلام والدفاع عن نفسه قائلاً: يقول الله تعالى: ﴿ ۞ يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَـٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا ﴾ [النحل:١١١]، فيجادل الله تعالى جدالاً، ولا نُكَلِّمُكَ كلاماً، فاستحى هشام منه وقال: ويحك تكلم بحاجتك كما تشاء[4].

---

(١) البداية والنهاية ٦/ ٣٠٦.

(٢) سيرة عمر بن الخطاب للصلابي ص ١٠٦.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣-٦٧.

(٤) الحرية السياسية في الإسلام أحمد الفنجري ص١٥٠.

ويقول الإمام الشافعي: ما ناظرت أحداً فقبل مني الحجة إلا عَظُم في عيني ولا ردّها إلا سقط في عيني، ويقول رحمه الله: ما ناظرت أحداً إلا وددت أن يظهر الحق على لسانه، ويقول: قولي صواب يحتمل الخطأ، وقول خصمي خطأ يحتمل الصواب..

(إضاءة: كن موضوعياً في خطابك تتساقط شبهات الآخرين لتشكل سلماً إلى الحق المبين)

سابعا: الإيجابية

الخطاب الإسلامي ليس مرآة تعكس الواقع، كما هو حال بعض الممارسات الخطابية، وإنما هو خطاب إيجابي يسمو بالناس لترقيتهم، بتقديم الفضيلة والحث عليها، ويتجنب كل ما من شأنه تنمية الرذيلة والفساد والانحدار لدى المتلقين، فهو لا يعكس الواقع إذا كان فاسداً منحطاً، بل يعالج هذا الواقع بكل طرق الخطاب وأساليبه، وعبر كل وسيلة اتصالية متاحة، وهذه الإيجابية تعمقت من خلال استناده إلى مبدأ ثابت (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)[1]، وهو شرط خيرية الأمة لقوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ [آل عمران:١١٠]، وقوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٠٤].

وهذا يقتضي في الخطاب الإسلامي والقائم به أن يتعدى دعوة الخير، ولا يتوقف عندها، وانما يتعداها الى محاربة الشر، فليس التجديد يأتي ممن هو صالح في نفسه فقط، وإنما ممن هو صالح في نفسه مصلح لغيره، وليس كريم الأخلاق من يقف موقفاً سلبياً تجاه الظلم، وإن كان يتخلق بأطيب الأخلاق، ويدعو إليها، وإنما عليه أن يتخذ موقفاً إيجابياً بأن يعلن إنكاره للظلم، بل يسعى إلى إزالته وتغييره بما

(١) إبراهيم امام، أصول الإعلام الإسلامي، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٥م، ص٥٣.

يملك من قدرات خطابية أو علاقات مع من له سلطة مادية في إزالته، يقول النبي ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فان لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»(١)، فكثير من الخطباء والدعاة يتميزون بأخلاق فاضلة، من كرم ووفاء، وصدق وإخلاص، ورحمة وعطف، ولكنهم في الوقت نفسه، يعزلون أنفسهم عن مجتمعهم، ولا يندمجون في أوساط الناس، تلافياً للأذى الذي قد يلحقهم، وهؤلاء يختارون أيسر سبل الحياة، وأقلها مؤنة وكلفة، أما الخطيب والداعية المسلم الحقيقي فهو الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم، بقصد تصحيح الخطأ وتقويم الاعوجاج(٢)، اقتداء بمنهج الأنبياء في سيرتهم، يقول الله تعالى: ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [ابراهيم:١٢].

وامتثالاً لهدي النبي يقول ﷺ: «المسلم الذي يخالط الناسَ، ويصبر على أذاهم، خير من المسلم الذي لا يخالط الناس، ولا يصبر على أذاهم»(٣).

إن الإيجابية في الخطاب هي سبيل الإصلاح، ومسؤولية القائم به تمتد إلى معالجة الحالة التي يترك فيها الشرور تنتشر دون أن يتدخل لمنعها، أو على الأقل فضحها، وإعلان سخطه عليها، فاللامبالاة الاجتماعية تتساوى في التجريم مع الفعل الإيجابي (اي القيام بالجريمة) والامتناع عن إعلان الرأي بشأن المخالف للشرع يعد نوعاً من الاشتراك في المخالفة(٤)، يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [الأعراف:١٦٤].

---

(١) رواه مسلم (١٨٦).

(٢) فلسفة التربية في الإسلام، للدكتور أحمد رجب، ص ٤٢٢.

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد (٣٨٨) والترمذي (٢٥٠٧) وصححه الشيخ الألباني.

(٤) من تقديم الدكتور محمد بدوي لكتاب دستور الأخلاق في القرآن ص/ ي و.

فالسلبية تجاه المنحرفين (في أفعالهم وأفكارهم وأقوالهم)، تجعلهم فتنة لغيرهم، وإغراء لهم باتباع سلوكهم وتوجهاتهم، فتعم المنكرات، وتشيع الموبقات، وبذلك تتحول السلبية إلى تدمير وهدم، ولذا يساوي الإسلام بين الظلم والظالم لأن السلبية إقرار صامت بالانحراف[1]، يقول ﷺ: «ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي ثم يقدرون على أن يغيروا ثم لا يغيروا إلا يوشك أن يعمهم الله منه بعقاب»[2]، ولذا فالتقديس في الإسلام للقيمة ذاتها وليس لمن يحملونها، والقاعدة الأساسية فيه معرفة الحق، ومعيار التقويم لدعاته هو الصدع بالحق، يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: اعرف الحق تعرف أهله.

ومما سبق نجد أنّ للإيجابية صورتين هما:

- الإيجابية الاجتماعية، والمتمثلة بالدعوة والعمل على إصلاح المجتمع، وتم عرض صورٍ منها آنفاً.

- الإيجابية الذاتية التوافقية، وتتجلى في أن يوافق عمله قوله، ويطابق سلوكه وتصرفاته خطابه ودعوته، ولذا فعلى من يتصدر للخطاب الإسلامي أن يكون تقياً أي: عاملاً بما أمر به الله ورسوله من المعروف، ومجتنباً لما نهى الله عنه ورسوله، فإن فعل ذلك كان لقيامه بهذه الفريضة أثره في قلوب الناس، يقول الله تعالى على لسان نبي الله شعيب عليه السلام: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ [هود:٨٨]، ويحذر سبحانه من يغفل عن ذلك بقوله تعالى: ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [البقرة:٤٤]. وفي مسألة التطابق بين الخطاب والسلوك يقول الله سبحانه:

---

(١) فلسفة التربية في الإسلام، للدكتور أحمد رجب، ص٤٢٣.

(٢) رواه أبو داود (٤٣٤٠ و٤٣٤١) وابن ماجه (٤٠٠٩) وصححه الشيخ الألباني.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٣ ﴾ [الصف:٢-٣].

وقد بين النبي ﷺ مصير الذين يأمرون في خطابهم وخطبهم بالمعروف ولا يفعلونه، وينهون عن المنكر ويرتكبونه، عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يؤتَى بالرجل يوم القيامة، فيُلقَى في النار، فتندلق أقتاب (الأمعاء) بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار في الرحا، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان مالك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى، كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه» (١).

وبذلك يتحرر الخطاب الإسلامي من ازدواجية القائمين به ومن النفاق الخطابي، الذي شكل أحد معاول الهدم في عملية التجديد والإصلاح الاجتماعي.

(إضاءة: كن إيجابياً مثلما تزرع الخير بكلماتك اقلع الشر بعباراتك)

ثامنا: الوسطية:(٢)

أن الوسطية في الخطاب الإسلامي هي تحقيق لمبدأ الاعتدال الذي تقوم عليه سنة الله في خلقه. يقول تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ٤٩ ﴾ [القمر:٤٩] أي: بمقدار وبميزان لا يحيف، وعلى وفق نظام رباني ومشيئة إلهية، ولحكمة أرادها الله تعالى. ويقول الله تعالى: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ٢ ﴾ [الفرقان:٢]، أي: وفق تقدير مسبق، وثوابت وسُنَن لا تبديل لها، وهذا الاعتدال، والتكافؤ بين العناصر والمقومات والمكونات جميعاً، هو القاعدة الثابتة للوسطية، فإذا انتفى، فقدت الوسطية عنصرها الأساس، لأنها في هذه الحالة تميل مع الأهواء، فتصبح تفريطاً أو

---

(١) متفق عليه. البخاري (٣٢٦٧)، ومسلم (٢٩٨٩)، واللفظ لمسلم.

(٢) لقد فصلنا الحديث عن هذا الأصل في الفصل الأول فليرجع إليه.

إفراطاً، وهما بابان من أبواب التطرف في أحد الاتجاهين الإيجابي أو السلبي، وإن كان لا خير في التطرف من حيث هو، وإن حسنت النوايا، لأنه شرٌّ كلّه وعاقبته وخيمة في جميع الأحوال.

والاعتدال في الخطاب الإسلامي يكون بالتزام المنهج العدل الأقوم في البيان، واعتماد الحق الذي هو وسط بين الغلو والتنطع، وبين التفريط والتقصير، فالاعتدال والاستقامة وسط بين طرفين هما: الإفراط والتفريط.

فالوسطية في الخطاب والدعوة منهج الحق ومنهج الأنبياء وأتباعهم، ويتمثل ذلك بالإسلام بعد مبعث النبي ﷺ وبالسنة، ومنهج السلف بعد ظهور الأهواء والافتراق، فأهل الوسطية هم العدول الأخيار في العقيدة والعبادة والأخلاق والمواقف، ولا يتحقق الاعتدال في الاعتقاد والعمل والعلم والدعوة وغيرهما إلا بالتزام الكتاب والسنة وسبيل المؤمنين.

(إضاءة: كن في خطابك وسطاً وسوف تتكسر أجنحة الغلو والتسويف تساقطاً)

تاسعا: التكاملية المتوازنة:

ونقصد بها أن الخطاب الإسلامي يتوجه بمادته إلى الإنسان كوحدة متكاملة عقلاً وقلباً وجوارح، ويعمل على معالجة قضايا الإنسان معالجة كلية تكاملية ومتوازنة، فيهتم بجسمه وعقله كما يهتم بروحه، ويوفق بين مطالبه المادية ومطالبه المعنوية، ويهتم بمصالحه الدنيوية كما يهتم بمصالحه الأخروية، فالخطاب الإسلامي لا يأمر متلقيه بالزهد البالغ في الدنيا، أو بشيء من الرهبانية، مثلما يحذر في الوقت نفسه من الركون إليها والانغماس في ملذاتها، يقول الله تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص:٧٧]، ويقول سبحانه: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأعراف:٣٢].

(إضاءة: كن متوازناً فتستقيم القلوب لميزان التكامل)

عاشرا: مواكبة التطور والتجدد:[1]

لقد جاء القرآن الكريم بأساليب متطورة في الصياغة والبيان، شد العرب إليه ومن ثم كان سبباً في تطور أساليب البيان والبديع في نظم الكلام، بل شكل صورة من صور الحداثة المنضبطة (محدث) يقول الله تعالى عن كتابه وآياته: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾﴾ [الانبياء:٢]، وقد أشار القرآن الكريم إلى مراعاة التطور الذي يشهده المجتمع في كل عصر ما دام يؤدي إلى زيادة البيان يقول الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ [إبراهيم:٤].

ووظف ﷺ هذا التطور والتجدد في الخطاب القرآني، ليقدم بلاغاً متطوراً متجدداً يوجزه بقوله ﷺ: «أعطيتُ جوامع الكلم»[2]، وفي رواية: «يا أيها الناس، إني قد أوتيت جوامع الكلم وخواتيمه، واختُصِر لي اختصاراً»[3]، فالتجديد مثلما يكون في المضمون يكون في طريقة التعبير أيضاً.

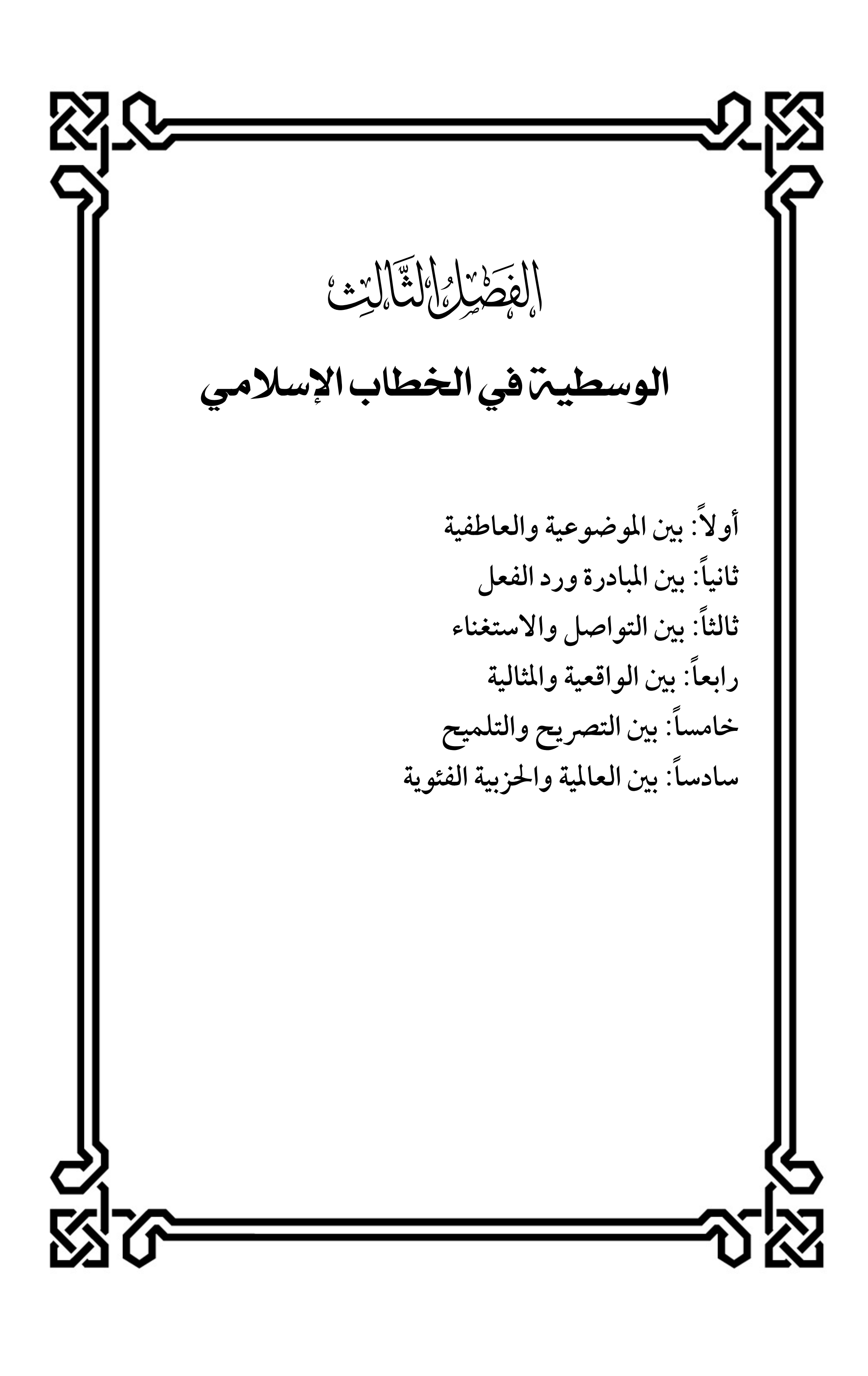
(إضاءة: كن متجدداً تضيء مصابيح الهداية نوراً متوقداً)

---

(١) تم التوسع في مفهوم التجديد في الفصل الأول فليرجع إليه.

(٢) رواه مسلم ح (٥٢٣).

(٣) أورده الهيثمي في المجمع: ١/ ١٨٢ وقال: رواه أبو يعلى، ورواه المقدسي في المختارة برقم (١١٥) من طريق أبي يعلى.



الفصل الثالث

الوسطية في الخطاب الإسلامي

أولاً: بين الموضوعية والعاطفية

ثانياً: بين المبادرة ورد الفعل

ثالثاً: بين التواصل والاستغناء

رابعاً: بين الواقعية والمثالية

خامساً: بين التصريح والتلميح

سادساً: بين العالمية والحزبية الفئوية

الفصل الثالث

الوسطية في الخطاب الإسلامي

بعد أن بينا أن مقومات التجديد في الخطاب الإسلامي تكون باعتماد الأصول التي وضعتها الشريعة من خلال مرجعيتها العليا (الكتاب والسنة)، ننتقل الان في بيان ملامح الوسطية في الخطاب الإسلامي على وفق هذه المرجعية، مع مقارنتها ببعض الملامح التي غلبت على الخطاب الإسلامي المعاصر فجعلته يحيد عن الوسطية، ومن ثم نحدد سبل العودة بخطابنا الإسلامي إلى الوسطية التي حددتها مرجعية الشريعة..

أولا: بين الموضوعية والعاطفية:

الأصل في الخطاب الإسلامي الموضوعية وعمق التحليل ودقة التشخيص:

﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ۖ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الروم:٩].

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الروم:٤٢].

وإن اقتضى الأمر توظيف العاطفة في الخطاب، فإنها تكون محدودة على قدر الحاجة إذ الحاجة تقدر بقدرها، وأن تكون في موقعها المناسب في الخطاب، وتغلب على الخطاب الجماهيري الدعائي.

بينما نجد الخطاب الإسلامي المعاصر يكون في غالب الأحيان خطاباً انفعاليًّا عاطفيّاً، يُؤْثر الخطابة على التحليل الموضوعي، ويطغى فيه الحماس على المنطق العقلي.

ومع أهمية إلهاب الحماس في كل خطاب إسلامي، وأهمية تقوية العواطف الإيمانية في كل عمل إسلامي، إلا أن من الضروري أن يكون التفكير العميق هو الموجه للعاطفة، وأن تعرض القضية الإسلامية عرضاً مبنيّاً على الإقناع لا التأثير النفسي والإثارة الوجدانية والتبسيط إلى حد التسطيح للصراع الفكري والسياسي الدائر مع الآخرين، يقول الله تعالى: ﴿ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ ﴾ [سبأ:٤٦]، وقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ ﴾ [الملك:١٠]، فغلبة الحماس والعاطفة يمنع من التفكير في العواقب واحتساب النتائج؛ لأنه يسهل الانسياق وراء شعارات حماسية تضبب الرؤية، وتمنع من استخلاص النتائج الموضوعية، وقد يؤدي كل هذا إلى صدام غير مبرر ولا محسوب مع طرف في الساحة، كما يؤدي إلى أن تخوض الحركة الإسلامية معارك إعلامية وسياسية قبل أوانها وأكبر من قدراتها، ولا يبعد أن يتم بعض ذلك بفعل إثارات استدراجية دبرت من خارج الصف الإسلامي[(١)].

ولذا وقف كثير من الباحثين الإسلاميين عند هذا الأمر لخطورته، وعللوه بمن يتبوأ مكان القيادة في الحركة الإسلامية ويتصدر الخطاب الإعلامي لها، يقول الدكتور ماجد عرسان الكيلاني[(٢)]: (إن الأمة التي يتولى أمورها فقهاء يفقهون قوانين بناء المجتمعات وانهيارها، ويحسنون تطبيق هذه القوانين، فإنهم يقودون أممهم إلى التقدم والنصر لا محالة؛ أما الأمة التي يتولى زمام أمرها خطباء يحسنون التلاعب بالمشاعر والعواطف، فإنها تظل تتلهى بالأماني التي يحركها هؤلاء الخطباء؛ روي

---

(١) الخطاب السياسي الإسلامي: د. سعد الدين العثماني، مجلة البيان، العدد [١٠٠] ص٦٣.
(٢) في كتابه هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص ٣٣٦.

عن الرسول محمد ﷺ قوله: (إنكم في زمان علماؤه كثير، خطباؤه قليل، من ترك فيه عَشِيرَ ما يعلم هلك، وسيأتي على الناس زمان يَقِلَّ علماؤه، ويكثر خطباؤه، من تمسك فيه بعَشِير ما يعلم نجا)[1]، وهي النتيجة التي انتهى إليها الدكتور عبد الله النفيسي، بعد تحليل مماثل، يقول: «إن حاجة الحركة الإسلامية لصف من الموجهين الفكريين أكثر إلحاحاً من هذا الكم الهائل من الخطباء، مطلوب الاهتمام بإعداد الموجه الفكري؛ لأنه الحارس الأمين للجبهة (الايديولوجية) التي تتحصن بها الحركة»[2].

وهذا ما تمناه الدكتور عبد القادر طاش مع أنه سجل للعاطفة أثراً إيجابياً في انطلاقة الصحوة، ولكنه رغب أن نشكل للأمة الوعي الجديد المبني على أسس سليمة وصحيحة، وليس الوعي القائم على العواطف الجياشة، والإثارات التي ربما أخذتنا فترة من الفترات في تأريخ صحوتنا الإسلامية، فالصحوة الإسلامية مرت بفترة كان التركيز على الجانب العاطفي والحماسي، وتفعيل هذه الجوانب، والآن – والقول له – هناك نوع من محاولة عقلنة الصحوة، ولكننا نريد أن نواكب الآن الخروج من الإطار الضيق للصحوة، إلى الإطار العام للشعوب العربية والمسلمة كلها[3].

فأكثر الذين يتولون مهمة الخطاب الإسلامي يحسنون صياغة الخطبة، ولا يجيدون صناعة الفكرة، وطغيان الخطاب العاطفي جرّ على الممارسة للحركة الإسلامية من مشكلات يستوجب على المتصدرين للخطاب الوقوف ملياً أمام لغة خطابهم قبل دخول معتركه، وإلزام أنفسهم الابتعاد عن الانفعالات العاطفية التي أدت في كثير من الحوارات إلى تضييع الحقائق وضياع الحقوق والإغراق في الهامش، وترك أصول الخطاب الإسلامي التي بها تنال الأمة حقوقها وتفرض وجودها.

(إضاءة: الخطاب الموضوعي صناعة فكرة لا حماسة خطبة)

---

(١) رواه أحمد (٥/ ١٥٥، رقم ٢١٤٠٩) قال الهيثمي (١/ ١٢٧): فيه رجل لم يسم. وضعفه الشيخ الألباني.

(٢) الحركة الإسلامية رؤية مستقبلية، أوراق في النقد الذاتي، ص٢٩.

(٣) د. عبد القادر طاش: أزمة الحوار... إشكالية المسلم اليوم، موقع المسلم اليوم في ١٠/ ٥/ ٢٠٠٣.

ثانيا: بين المبادرة ورد الفعل:

لقد كان النبي محمد ﷺ مبادراً إلى تقديم خطابه في المجتمع المكي، وكان ﷺ منذ الجهر بدعوته يسارع إلى زعماء قريش ويغشاهم في نواديهم ومجالسهم ويقصد اجتماع الناس في المواسم وفي الأسواق ويلقي عليهم مبادئ الإسلام وفي كل يوم يأتيهم بجديد يجعل صناديد قريش يحتارون في رده وكيفية صده، وهكذا صنع مع اليهود في المدينة، عن أبي هُرَيْرَةَ أَنّهُ قالَ: بينما نحن في المسجد إذ خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: (انطلقوا إلى يهود). فخرجنا معه حتى جئنا بيت المدراس، فقام النبي ﷺ فناداهم: (يا معشر يهود، أسلموا تسلموا). فقالوا: قد بلَّغت يا أبا القاسم، فقال: (ذلك أريد). ثم قالها الثانية، فقالوا: قد بلَّغتَ يا أبا القاسم، ثم قال الثالثة، فقال: (اعلموا أن الأرض لله ورسوله، وإني أريد أن أجليكم، فمن وجد منكم بماله شيئاً فليبعه، وإلا فاعلموا أن الأرض لله ورسوله)[1]، قال ابن حجر في الفتح[2]: (بيت المدراس) الموضع الذي كانوا يقرؤون فيه التوراة. (ذلك أريد) هذا ما أريد بقولي أسلموا: أن تعترفوا أنني بلَّغتكم، حتى تسقط عني المسؤولية، وتقوم عليكم الحجة.

إن امتلاك عنصر المفاجأة في الحوار يعني امتلاك قاعدة أساسية من قواعد التفوق، فالمفاجأة والمباغتة تؤدي إلى كسب نتائج الحوار لصالح المحاوِر، لما له من الأثر النفسي على الشخص المخاطب، وقد وظف النبي ﷺ لهذا العنصر من خلال مبادرته بزيارة المشركين في نواديهم وأسواقهم، واليهود في بيت مدراسهم موضع تواجدهم[3].

---

(١) رواه البخاري باب بيع المكره ونحوه في الحق (٦٥٤٥) و مسلم باب إجلاء اليهود من الحجاز رقم (١٧٦٥).

(٢) فتح الباري ٦/ ٢٧١.

(٣) الخطاب الإسلامي في عصر الإعلام والمعلوماتية، ص٧٦.

كما أنه ﷺ التفت إلى مواجهة خطاب خصومه، وكان رد فعله متوازناً ومحدداً لا يغرق في الرد، ولا ينشغل بجدالهم على حساب تقديم رسالته وبيان موقفه، يقول الله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [الفرقان:٣٢-٣٣].

كما أنه ﷺ لم يلتزم بالرد على كل خطاب امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾ [الفرقان:٦٣]، وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الفرقان:٧٢].

أما الخطاب الإسلامي المعاصر، فيؤشر عليه سقوطه في دائرة ردود الأفعال، وقصوره عن الفعل الموضوعي المبادِر، إن ما نراه في كثير من الأحيان هو انتظار الأطراف الأخرى تتخذ موقفاً ليتخذ الإسلامي الموقف المناقض، أو لينسج على منواله، أو الاستيقاظ على وقع حدث، فيسارع الخطاب الإسلامي لملاحقته، وهكذا يأتي هذا الخطاب في أحايين كثيرة مطبوعاً بالآنية والظرفية، لاهثاً وراء المواقف والأحداث الجزئية المتلاحقة، مما يفقده في الغالب الحضور المستمر والمتوازن في قلب الأحداث السياسية، بله صنعها أو التأثير فيها، يرى الدكتور عبد القادر طاش سبب المشكلة في طريقة التفكير، إذ يقول: فنحن دائماً نفكر في ماذا يفعل الآخرون لنا أو ضدنا، وأعتقد أن في هذا خللا في كيفية التعامل مع الأحداث، ومع مسيرة الحياة في الأصل، والذي أعتقده (والكلام لطاش) أن ما يرشدنا إليه منهجنا الإسلامي أن نفكر دائماً فيما نفعله، وما ينبغي علينا أن نفعله، وأن نراجع أنفسنا في كيفية تعاملنا مع الأحداث، ولا ننتظر ماذا تفعل الأحداث بنا؟[1]، وهكذا أصبح الخطاب الإسلامي خطاباً تابعاً، يجيب عن تساؤلات الآخرين، ويعلق على

(١) عبد القادر طاش: أزمة الحوار... إشكالية المسلم اليوم، موقع المسلم اليوم في ١٠/ ٥/ ٢٠٠٣.

مواقفهم وتصريحاتهم، بدل أن ينشغلوا هم بتساؤلاته ومواقفه وتصريحاته، ويستغرقه التصدي للأحوال الطارئة بدل التحرك نحو أهداف ذاتية محددة سلفاً.

فإذا كانت المباغتة عامل قوة وعنصر نجاح في العمل الميداني، فإن المبادرة مصدر قوة للخطاب الإعلامي وعلى قادة العمل الإسلامي أن يلتفتوا إليها إن أرادوا صناعة مواقف تؤثر فتغير ولا تتأثر فتتغير، وبذلك تكون الوسطية ويكون التجديد في الخطاب الإسلامي.

(إضاءة: بادر فيبقى الحق والشر يغادر)

ثالثا: بين التواصل والاستغناء:

إن حقيقة الخطاب الإسلامي أنه خطاب تواصلي غير استعلائي ولا استغنائي ولا استعدائي، يقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحجرات:١٣]، وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المائدة:٨].

وقد سعى النبي ﷺ من خلاله إلى تبليغ رسالته، وبناء سياسته، بأسلوب الحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، خطاب لا يفرض مبادئه وقناعاته بالإكراه: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ ﴾ [البقرة:٢٥٦] مع أن الحق معه، وأن أمته هي خير الأمم، إلا أن خيرية هذه الأمة مقيدة وغير مطلقة كما ادعى اليهود والنصارى؛ ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ [المائدة:١٨].

فأمة الإسلام خير الأمم بشروط حددها الله سبحانه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران:١١٠]، ونقل الطبري في تفسيره[1]: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ في حجة حجها: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ...﴾ الآية، ثم قال: (يا أيها الناس، من سره أن يكون من تلك الأمة، فليؤد شرط الله منها)، ونقل عن مجاهد قوله: على هذا الشرط أن تأمروا بالمعروف، وتنهوا عن المنكر، وتؤمنوا بالله؛ على أننا نؤكد أن الخطاب الإسلامي يرتبط بالعزة التي أقرها الإسلام لله ولرسوله والمؤمنين، وبالتميز من غير انغلاق يؤدي إلى الانعزالية، ولن تعرف العزة والخيرية إلا بالتواصل ومخالطة الآخرين، عن ابن عُمَرَ قال: قال رسول الله ﷺ: (الْمُؤْمِنُ الذي يُخَالِطُ الناس، وَيَصْبِرُ على أَذَاهُمْ، أَعْظَمُ أَجْرًا من الْمُؤْمِنِ الذي لَا يُخَالِطُ الناس ولا يَصْبِرُ على أَذَاهُمْ)[2].

في حين ينطلق جزء كبير من الخطاب الإسلامي المعاصر من منطلق الاستعلاء على الآخر (لاسيما الخطاب في الحوارات الإسلامية - الإسلامية) والاستغناء عنه؛ فهو يخاطب غيره من فوق، على أساس أنه يملك الحقيقة المطلقة، ويتعامل مع الآخر من منطلق الاكتفاء بقدراته وطاقاته، ويتحرك كأنه وحده سيحقق أهداف الأمة كلها دون حاجة إلى التعاون مع الآخرين، إنه خطاب مستعلٍ، لا يطرح نفسه بوصفه اجتهاداً، أو رأياً، أو اقتراحاً فيه ما في اجتهادات البشر من القصور والمحدودية، بل يضفي على نفسه مطلقية الوحي وكماله، وعصمة من نزل عليه، وكل هذا يجر إلى إصدار الأحكام والاستنتاجات المطلقة بدل فتح باب الاحتمالات، وأخذ الأمور فهماً ومواجهة، من منطلق النسبية والأولويات والفرص المتاحة والإمكانات الذاتية.

---

(١) ٧/ ١٠٢.

(٢) رواه الترمذي (٢٥٠٧)، وابن ماجة باب الصبر على البلاء (٤٠٣٢)، وقال الشيخ الألباني: صحيح.

وهذه السمة مبنية على أخطاء في العلم والتقدير عميقة، منها[1]:

١- رفع الاجتهادات إلى مستوى الأحكام الشرعية الثابتة بالكتاب والسنة، فيعتبر الرأي المخالف فيها باطلاً مجافياً للحق.

٢- الانطلاق من تزكية النفس وتنزيه الذات، في مقابل الحط من الآخر وتضخيم عيوبه، وفي ذلك مخالفة للنصوص الصريحة، ومنها قوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ٣٢﴾ [النجم:٣٢].

٣- يعتبر الخطاب المستغني نفسه كاملاً، مكتفياً بذاته، لا يحتاج إلى من ينبهه إلى خطأ، أو يعرفه بنقص، ورحم الله خلفاء الرسول ﷺ إذ حرصوا على أن يبين لهم الناس أخطاءهم؛ ليعينوهم على إدراكها وتصحيحها، فقد قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في أول خطبة له بعد مبايعته على الخلافة: أما بعد أيها الناس إني وليت عليكم ولست بخيركم، فان أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فَقَوِّموني[2]. ويقول الخليفة عمر: رحم الله امرأ أهدى إلينا عيوبنا، ويقول عثمان: فو الله إن ردني الحق عبداً ذليلاً لأذلنَّ ذل العبيد[3]، ومن يتنكر لذلك فكأنه لا يحتاج إلى الاستفادة من غيره، ومن ثم: فهو يخوض تجربته وحده، ويصوغ أحكامه (أو اجتهاداته) وحده، ولا يأخذ بعين الاعتبار ما يقوله غيره، ولو كان من العلماء المعتبرين أو المجربين المحنكين.

٤- تنتهي هذه السمات المتسلسلة إلى أن ينظر الخطاب المستغني إلى الأفكار والأشخاص نظرة تتسم بالمطلقية الحادة، فهي إما خير محض وإما شر محض، والآخرون إما أصدقاء وإما أعداء، ولا حل وسط، ولا مجال لأي تطبيق جزئي أو أي تدرج. وهذا يناقض بديهيات العقول، كما يناقض ما كرره علماء السلف من أن

---

(١) (الخطاب السياسي الإسلامي، د. سعد الدين العثماني، مصدر سابق ص ٦٣، والخطاب الإسلامي في عصر الإعلام والمعلوماتية ص٨٠.

(٢) البداية والنهاية ٦/ ٣٠٦.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣-٦٧.

أي شخص أو طائفة قد يكون عندها بعض الحق أو بعض الصواب الذي يجب أن يعرف لها. والاختيار في مجال السياسة الشرعية يتم على أساس (الأرضى من الموجود) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (والغالب أنه لا يوجد كامل، فيُفعل خير الخيرين، ويدفع شر الشرين؛ ولهذا كان عمر بن الخطاب ﷺ يقول: أشكو إليك جَلَدَ الفاجرِ وعَجْزَ الثقة، وقد كان النبي ﷺ وأصحابه يفرحون بانتصار الروم والنصارى على المجوس، وكلاهما كافر، لأن أحد الصنفين أقرب إلى الإسلام، وأنزل الله في ذلك (سورة الروم) لما اقتتلت الروم وفارس، والقصة مشهورة، وكذلك يوسف: كان نائباً لفرعون مصر، وهو وقومه مشركون، وفَعَلَ من العدل والخير ما قَدَرَ عليه، ودعاهم إلى الإيمان بحسب الإمكان)[1].

وقد تنبه المفكرون الإسلاميون المعاصرون إلى هذه العلة، ومنهم المفكر رجاء جارودي إذ يقول: فمتى نادينا بالشريعة -القانون الإلهي- والتي هي الحقيقية الوحيدة التي تمثل جوهر أي مجتمع يتصف بالإنسانية، هذه الشريعة التي هي كلمة الله، وهي التي تجمع المبادئ الخالدة والعالمية لكل البشرية، فليس علينا أن نجعلها تلتبس بالفقه، أي بالتشريع البشري الذي في كل حقبة من الحقب، وعند كل شعب من الشعوب، تبذل الجهود لتطبيقه في إطار ظروف تاريخية في عالم دائم التغيير.... فيجب أن لا نخلط بين الشريعة وبين الفقه، فلكل وظيفته الخاصة به، فالشريعة هي قانون أبدي عالمي لكل الشعوب ولكل الأزمنة، وهي ثابتة لا تطالها أساليب التبديل والتعديل[2].

إن الوسطية في خطابنا التواصلي تدعوننا إلى عدم الاستعلاء والاستغناء عن الآخرين، وعلينا جميعاً الإقرار بمبدأ أن الساحة الإسلامية لا نقول: تستوعب الكل

---

(١) مجموع الفتاوى، ج٢٨ ص٦٨.

(٢) (الإسلام، الخطاب العربي وقضايا العصر، ص٦٤-٦٥) ويقصد بالشريعة أصول الدين وأصول الإسلام وما علم من الدين بالضرورة.

فحسب، وإنما تحتاج الكل لعظم التحديات الداخلية والخارجية التي تواجه أمتنا وهويتنا.

(إضاءة: التواصل لا الاستغناء فالساحة تحتاج الكل لعظم البلاء)

رابعا: بين الواقعية والمثالية:

تكلمنا آنفاً عن سمة الواقعية في الخطاب الإسلامي ونود أن نبين هنا أننا لا نقصد بالواقعية أو الاجتماعية مجاراة الواقع المعاصر، وإقرار ما في المجتمعات الإسلامية من مظاهر الانحراف والفساد، وإنما نقصد بهما مراعاة الواقع والارتقاء بالمجتمع على وفق فقه الواقع، والعمل في دائرة الاستطاعة، والذي يتجلى في أنواع من الفقه منها[1]:

أ- فقه الأولويات والتدرج، وتقديم ما هو أولى على ما يمكن تأجيله أو تأخيره لعموم الحاجة الملحة إليه.

ب- فقه الموازنات وتقديم المصلحة الراجحة على المصلحة المرجوحة، وتقديم درء المفسدة الراجحة على المفسدة الضئيلة المرجوحة، وتقديم درء المفاسد على جلب المصالح إذا كان في المفسدة ضرر أعظم من المصلحة المرجوحة.

ج- فقه الواقع الذي يراعي أحوال الناس وعقولهم وعاداتهم وأعرافهم وتقاليدهم وقناعاتهم ومفاهيمهم، ومخاطبة الناس على قدر عقولهم واستيعابهم، وعدم الخوض في أية مسألة لا تدركها عقول المخاطبين فإن في ذلك فتنة لهم، وعدم تكليفهم إلا ما يطيقون وما يستطيعون، عن عائشة رضي الله عنها، زوج النبي ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال لها: (ألم تري أن قومك لما بنوا الكعبة، اقتصروا عن قواعد

(١) ونحن هنا نؤكد انحراف طائفتين من تمسك بالنصوص وأسقط الواقع، ومن تمسك بالواقع وجانب النصوص، وأيضاً إن فقه النصوص يأتي أولاً ومن ثم يراعى فقه الواقع وغيره. ينظر الخطاب الإسلامي ص٨٢-٨٣.

إبراهيم). فقلت: يا رسول الله، ألا تردها على قواعد إبراهيم، قال: (لولا حدثان قومك بالكفر لفعلت)، وفي رواية (ولولا أن قومك حديث عهدهم بالجاهلية، فأخاف أن تنكر قلوبهم، أن أدخل الجدر في البيت، وأن ألصق بابه بالأرض)[1] ، وقال علي رضي الله عنه: (حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يُكَذَّبَ اللهُ ورسولُه)[2].

د- فقه مقاصد النصوص، وعدم اعتبار ظاهر النص في كل الأحوال، فإن لكل نص مقصداً وغاية، وإن كل ناظر إلى ظاهر النصوص دون مراعاة المقاصد منها سوف يَضل ويُضِل، وهذا ما عابه أهل العلم على مذهب الظاهرية الذين عطلوا المقاصد واعتبروا الظواهر، وهذا من الإفراط في التعامل مع الظواهر، قابله تفريط المفرطين الذين عطلوا الظواهر واعتبروا المقاصد، فالعدل والإنصاف يقتضيان اعتبار الظاهر إذا أريد الظاهر، واعتبار المقاصد إذا أريد ذلك، وكل ذلك معلوم من خلال النصوص وفهم السلف الصالح، مثل فهم بعض الصحابة لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ ﴾ [المائدة:١٠٥]، قام أبو بكر رضي الله عنه فحمد الله عز وجل وأثنى عليه فقال: يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ ﴾ إلى آخر الآية وإنكم تضعونها على غير موضعها، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا المنكر، ولا يغيروه، أوشك الله أن يعمهم بعقابه[3]. فالشاهد هو أن بعض الصحابة أخذوا الآية على ظاهرها دون النظر إلى المقصد منها، فبيّن أبو بكر رضي الله عنه المقصد منها، وهو أن ضلالة الضال بعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا تضر إلا صاحبها، فزال الاشتباه، ومثل هذا كثير في الكتاب والسنة.

---

(١) رواه البخاري ح(١٥٠٦) و(١٥٠٧) ومسلم ح(١٣٣٣).

(٢) رواه البخاري ح (١٢٧).

(٣) رواه الامام أحمد في مسنده ح١٦.

هـ- فقه المرحلة: وهو فقه يقوم على أن المسلم يجب أن يحيا مرحلته وعصره ووقته، مستنداً إلى تجارب الماضي ومتطلعاً إلى طموح المستقبل، معتنياً بواجب الوقت الذي يفرضه الشرع الحنيف عليه، فلا يلتفت إلى واجب مضى، ولا ينشغل بواجب لم يأت أوانه بعد، إنما المهم الذي يجب أن ينشغل المسلم به ما أوجبه الله تعالى عليه في وقته، ومن هذا الفقه يأتي (رجال المرحلة) الذين يشيدون للأمة أركانها ويعلون بنيانها.

ومما سبق نجد أن الإسلام نبه دعاته وحذرهم من الاستغراق في خطابهم بالمثالية، وتغيب المسألة الاجتماعية والإكثار من الحديث عن المستقبل في الدنيا والافتقار إلى الواقعية، وإن أرشدهم إلى بعض المبشرات المستقبلية، على سبيل التحفيز لا الاتكال، وللأسف نجد ذلك بشكل واسع في الخطاب لاسيما السياسي لبعض الإسلاميين.

(إضاءة: إن الوسطية في أن نخاطب المجتمع لنرتقي به لا لنسقط في مهاويه)

خامسا: بين التصريح والتلميح:

التفت الإسلام منذ انطلاقته إلى مسألة الخطاب غير المباشر، ووظف التعريض والتلميح ليصلح الناس من غير إحراج، جاء في الأثر: إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب[1]، ويقول ﷺ: «لـمّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمِشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فقُلْتُ: مَنْ هَؤُلاَءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قال: هَؤُلاَءِ الّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النّاسِ وَيَقَعُونَ في أَعْرَاضِهِمْ»[2].

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (٨٥٧)، وصححه الشيخ الألباني موقوفاً على عمران بن حصين رضي الله عنه: ص٣٢٧.

(٢) رواه أبو داود، باب في الغيبة (٤٨٨٠)، وصححه الشيخ الألباني..

وعن أنس بن مالك ﵁ قال، قال رَسُول الله ﷺ: «ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم!» فاشتد قوله في ذلك حتى قال: «لينتهن عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم!» [١].

ونقل النووي عن الخطابي قوله: وكان النبيّ ﷺ لا يواجه المنافقين بصريح القول فيقول: فلان منافق، وإنما كان يشير إشارة كقوله ﷺ: «ما بال أقوام يفعلون كذا؟» والله أعلم[٢].

واليوم نجد كثيراً من السياسيين يلجؤون الى هذا الأسلوب تجنباً لتداعيات التصريح وعواقبه، فمثلاً يتهم بعضهم إحدى دول الجوار التي لها دور سيئ في العراق ولا يتم التصريح بها، وإنما يقال: إحدى دول الجوار، وهكذا.

وقد نوه بعض المفكرين الإسلامين إلى اعتماد الأسلوب غير المباشر في الخطاب الإسلامي، وأن يوظفه الإعلام الإسلامي بعد أن أثبت نجاحه في الأسلوب الإعلامي للآخرين، يقول محمد قطب: الإعلام الناجح هو الذي يقدم (خطابه) بطريق غير مباشر، فيه حديث مباشر في الموعظة والحديث الديني، وفيما عداه لا ينبغي أن يكون حديثنا حديثاً مباشراً، لأن هذا يؤدي إلى الإملال والضجر، إن أصحاب الدعوات حين يعبرون عن أفكارهم في مبدأ الأمر يميلون إلى استخدام الطريق المباشر، هل يمكن تجاوز هذه المشكلة؟ هل يمكن أن نقفز رأسا إلى التعبير غير المباشر؟ وهو المفيد والمثمر والمؤثر[٣].

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ باب رفع البصر إلى السماء في الصلاة (٧١٧)، ومسلم باب النهي عن رفع البصر إلى السماء (٩٩٥).

(٢) شرح مسلم ٢/ ٤٨.

(٣) ينظر: الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية، بحث للأستاذ محمد قطب، ١٦٣، وللإنصاف فإن قطب عدّ ذلك مشكلة فنية.

(إضاءة: الرسائل المستترة في خطابنا ضوء خافت لاختراق حواجز الوهم نحو الاستنارة)

سادسا: بين العالمية والحزبية الفئوية:

الخطاب الإسلامي في عصر النبوة والخلافة اتسم بأنه خطاب لجميع المسلمين من غير تصنيف أو تمييز، ولو طالعنا القرآن الكريم لوجدنا أن الله سبحانه وتعالى خاطب عباده جميعاً بشكل عام (يا أيها الناس...) حتى في المرحلة المدنية، أي: بوجود الدولة الإسلامية، كما نجد النبي ﷺ قد خاطب من شهد المناسك في حجة الوداع بهذا الخطاب العام (يا أيها الناس.....)، وإلا فإن الله تعالى يخاطبهم بنداء شمولي (يا أيها الذين آمنوا)؛ وبذلك تحرر الخطاب الإسلامي من الفئوية الضيقة التي تحصر النداء بمجموعة محددة ذات تنظيم معين.

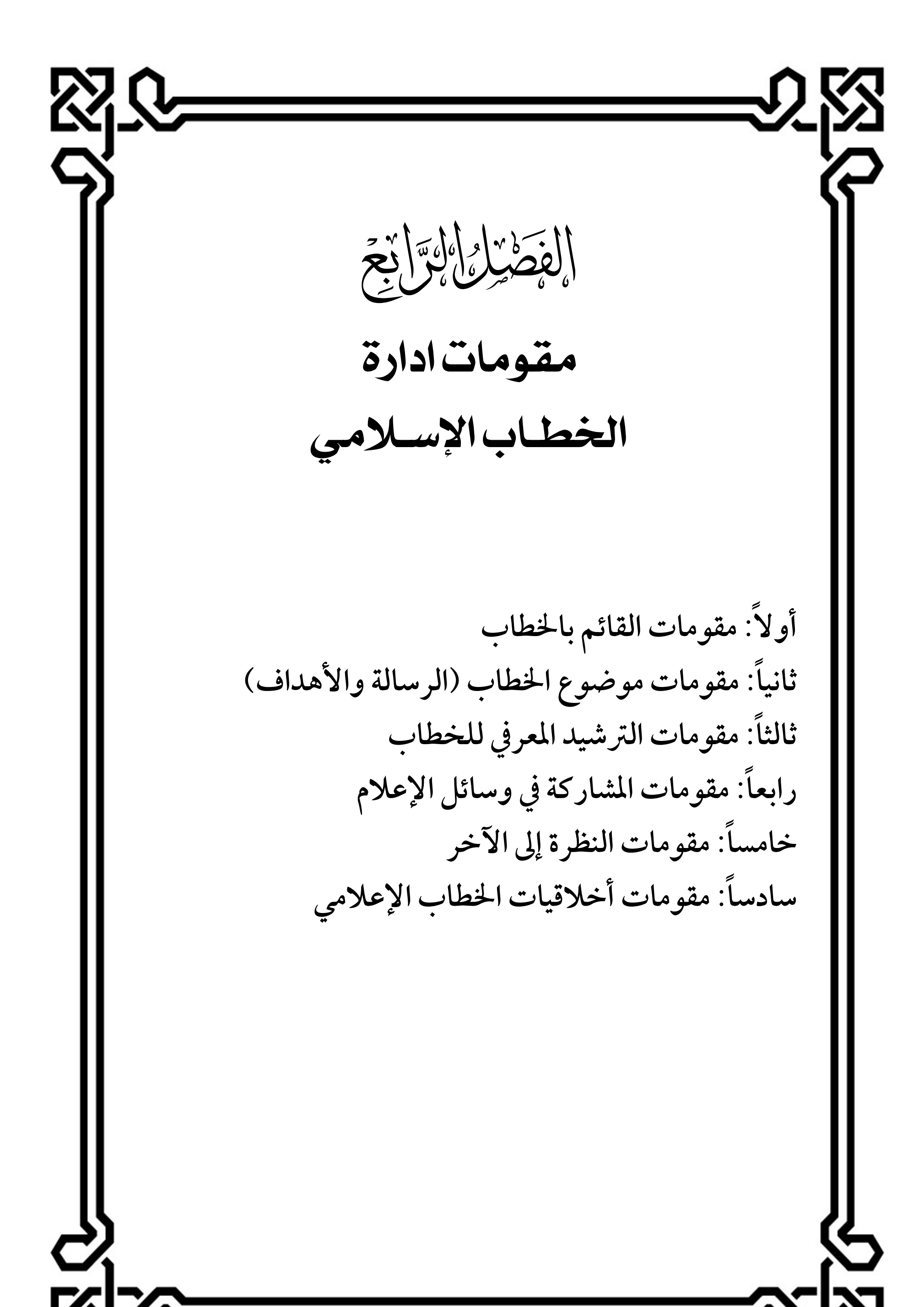
أما الخطاب الإسلامي المعاصر فإن أغلبه انطلق ليعبر عن تيار حزبي أو فكري في ساحة الصحوة، فنشأت المجلات والصحف والقنوات الفضائية من داخل تنظيم الحزب أو الجماعة أو الحركة، وطغى عليه الخطاب الحزبي المنغلق، فأصبح يعبر عن رأي الحزب، وينشر البيانات والمقابلات مع زعماء الحزب أو الجماعة، واستعراض نشاطات الحزب الدعوية وغيرها، وأصبح يتوجه برسالته إلى جمهور الحزب، أو التيار الفكري أو المذهبي، الذي ينتمي إليه، ولم يخاطب ذلك الإعلام المسلمين كلهم المتعاطفين مع الحركة الإسلامية، أو الذين يعادونها عن جهل أو سوء قصد[1]، وهذا مما وسع دائرة التنابز بالألقاب، وتعدد الفرق، وتمزق الفرقة الواحدة، كما أدى إلى تشتت الخطاب مما عمق الصراع الداخلي، وأضعف الأمة فعلاً وشجَّع عليها الآخرون وتعالى خطابهم حتى أوشك أن يلغي خطابها.

(إضاءة: وسع دائرة خطابك فأنت أمة لا طائفة)

---

(١) الخطاب الإسلامي في عصر الإعلام والمعلوماتية ص ٨٧.

حزمة ضوء: إن العودة إلى الوسطية في الخطاب الإسلامي تستلزم التوازن بين هذه الملامح، فلا إفراط في العاطفية ولا تفريط بالموضوعية، واعتماد المبادرة والاعتدال في ردود الأفعال، والتزام التواصل وتجنب الاستعلاء مع التمسك بالعزة، وتوظيف الواقعية مع المبشرات دون الإغراق في المثالية، وتبني التلميح والرسائل المستترة مع التوازن في المباشرة، والسمو على الفئوية إلا من باب الارتقاء والتدرج نحو الخطاب العالمي تحقيقاً لرسالة الإسلام كونه رحمة للعالمين.



الفصل الرابع

مقومات ادارة الخطاب الإسلامي

أولاً: مقومات القائم بالخطاب

ثانياً: مقومات موضوع الخطاب (الرسالة والأهداف)

ثالثاً: مقومات الترشيد المعرفي للخطاب

رابعاً: مقومات المشاركة في وسائل الإعلام

خامساً: مقومات النظرة إلى الآخر

سادساً: مقومات أخلاقيات الخطاب الإعلامي

الفصل الرابع

مقومات ادارة الخطاب الإسلامي

من المعلوم ان الخطاب له اركان تتجلى في القائم به والآخر وموضوع الخطاب، ولذا سنبحث مقومات ادارة الخطاب من خلال هذه الاركان الثلاثة.

أولا: مقومات القائم بالخطاب

وهو الشخصية التي تتصدر للخطاب الإسلامي، ومن أبرز مقومات نجاحه:

١- **أهلية الخطاب:** من أهم ما يجب التأكيد عليه أن يكون الداعية مؤهلاً للخطاب، بأن يكون مستوعباً للمسائل التي يتصدى لتقريرها وإقناع الآخرين بها، عارفاً بها وبجميع متعلقاتها ويجيد الدفاع عنها، كما أن عليه أن يحيط بما عند خصمه وإن رآه باطلاً، ويلم بطرق تفنيده، فالمؤهلات العقدية والعلمية في الداعية من أهم مقومات نجاحه، يقول الله سبحانه على لسان نبي الله إبراهيم: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾﴾ [مريم:٤٣]، وقال عن طالوت: ﴿وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا وَنَحۡنُ أَحَقُّ بِٱلۡمُلۡكِ مِنۡهُ وَلَمۡ يُؤۡتَ سَعَةٗ مِّنَ ٱلۡمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٤٧﴾﴾ [البقرة:٢٤٧].

ويقول النبي ﷺ: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبْقِ عالماً، اتخذ الناس رؤساء جهالاً، فسئلوا، فأفتوا بغير علم، فَضَلُّوا وأَضَلُّوا»[١].

(١) رواه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣).

فالأمر كله أمانة ولا بد أن توسد لأهلها، وإلا ضيعت وأضاعت يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب:٧٢]، وبينما النبي ﷺ في مجلس يحدث أصحابه جاءه أعرابي فقال: متى الساعة؟ فمضى رَسُول الله ﷺ يحدث، فقال بعض القوم: سمع ما قال فكره ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع، حتى إذا قضى حديثه قال: «أين السائل عن الساعة؟» قال: ها أنا يا رَسُول الله، قال: «إذا ضُيِّعت الأمانة فانتظر الساعة» قال: كيف إضاعتها؟ قال: «إذا وسِّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»[(١)]؛ وروي عن رسول الله ﷺ قوله: من أشراط الساعة أن يلتمس العلم عند الأصاغر[(٢)]، وقال ﷺ: (تأتي على الناس سنوات خداعات، يصدق فيها الكاذب، ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويخون فيها الأمين، وينطق فيهم الرويبضة) قيل: يا رسول الله، وما الرويبضة؟

قال: «الرجل التافه، يتكلم في أمر العامة»، وفي رواية: قال: «السفيه ينطق في أمر العامة»[(٣)].

وما أحسن قول الرافعي: إذا أسندت الأمة مناصبها الكبيرة إلى صغار النفوس، كبرت بها رذائلهم لا نفوسهم[(٤)].

٢- **القائم بالخطاب لا يمثل نفسه:** من يتكلم باسم الإسلام لا يمثل نفسه وإن صرح بأن ما يقوله أو يتكلم به هو رأي شخصي أو اجتهاد منه، وهذا يكون مقبولاً في اللقاءات الخاصة، أو بين أهل العلم حصراً، أما في وسائل الإعلام وعند

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٥٩).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير، ٢٢/ ٣٦١، الحديث رقم (٩٠٨).

(٣) رواه أحمد وابن ماجه (٤٠٣٦)، والحاكم في مستدركه ٤/ ٤٦٥-٤٦٦، وقال: حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

(٤) مجلة الرسالة العدد (٨٤) ذو القعدة ١٣٥٣هـ عن مقال لأحمد الصويان كيف نخاطب الجماهير.

الخطاب الجماهيري، فالناس ينظرون إلى الإسلامي شاء أم أبى على أنه ممثل للإسلام وقد أكد النبي ﷺ هذا الإلزام على عماله وكل من يعمل باسم الإسلام، عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ، قَالَ: اسْتَعْمَلَ رَسُولُ الله ﷺ رَجُلاً عَلَى صَدَقَاتِ بَنِي سُلَيْمٍ يُدْعَى ابْنَ اللَّتَبِيَّةِ، فَلَمَّا جاءَ حَاسَبَهُ، قَالَ: هَذَا مَالُكُمْ، وَهَذَا هَدِيَّةٌ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «فَهَلا جَلَسْتَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ وَأُمِّكَ حَتَّى تَأْتِيَكَ هَدِيَّتُكَ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا». ثُمَّ خَطَبَنَا فَحَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَسْتَعْمِلُ الرَّجُلَ مِنْكُمْ عَلَى العَمَلِ مِمَّا وَلانِي الله، فَيَأْتِي فَيَقُولُ: هَذَا مَالُكُمْ، وَهَذَا هَدِيَّةٌ أُهْدِيَتْ لِي، أَفَلا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ حَتَّى تَأْتِيَهُ هَدِيَّتُهُ، والله لا يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ إلا لَقِيَ الله يَحْمِلُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ»(1).

ويذكر أن بعض أهل العلم طلبوا من الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله في محنته الأخذ بالرخصة، مستدلين بحادثة عمار بن ياسر رضي الله عنهما لينقذ نفسه، فبين لهم أن موقف عمار لم يضر الإسلام مع وجود النبي ﷺ وكبار الصحابة، أما في هذه المحنة فالناس كلها لا تنظر إلا إليه، يقول إسحاق بن راهويه: لولا أحمد وبذل نفسه لما بذلها لذهب الإسلام، وقال علي بن المديني: إن الله أعز هذا الدين بابي بكر يوم الردة وبأحمد يوم المحنة(2)، فالشخصيات الإسلامية في الغالب لا تمثل نفسها إذ الناس ينظرون إلى الإسلام من خلالها، بل تجتمع ببعض الشخصيات الإسلامية الأمة بأسرها، فالرسل أمة، ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [النحل:١٢٠].

فالداعية الإسلامي مع الآخر شاء أم أبى لا يمثل نفسه بل يمثل أمته وقضيته التي يريد أن يبينها أو يدافع عنها وينصرها، فمن منا لا يتصور أن الشيخ أحمد ديدات رحمه الله لم يمثل الإسلام في حواراته مع قساوسة النصارى، ومن هنا تتجلى عظم المسؤولية، وضرورة الإخلاص، والابتعاد عن حظوظ النفس، وتوفر الأهلية لتكون خير ممثل عن أمتك وقضاياها.

---

(١) رواه البخاري (٦٥٧٨).

(٢) حلية الأولياء ٩/ ١٧٠.

٣- **خطاب الذات قبل خطاب الآخر**: لا بد للقائم بالخطاب أن يكون متهيئاً داخلياً للخطاب، وهذا يكون أولاً من خلال مخاطبة الذات، سواء النفس (الأنا بلغة الفلاسفة وعلماء النفس) وإقناعها بما يريد عرضه، وإلا فمن لم يقنع نفسه لن يقنع غيره، أو من خلال مخاطبة (النحن) أي: مستكملاً للخطاب مع المسلمين، فهذا الخطاب يسبق خطاب الآخر (الهم)، وذلك من أجل صيانة البناء الإسلامي من الداخل، وتقوية الجبهة الداخلية مقدم على مواجهة الجبهات الخارجية.

إن الحوار مع الذات هو نوع من ترتيب البيت من الداخل، وإعادة حساب الأوراق قبل التحول إلى الحوار مع الخارج وصرف الأوراق[1]، وفي الفلسفة يسبق قانون الهوية قانون الاختلاف. والإنسان الذي لا ينظر إلى نفسه، ولا يجري حواراً مع خواطره ومشاعره وإرادته، ويقوّم سلوكه وفكره وفق معطيات الدين ومقتضيات العقل، ويتبع سبيل المؤمنين، فإنه من باب أولى لا يستطيع أن ينظر في الآخرين أو فيما حوله من قضايا وأحداث[2].

يقول الله تعالى موجهاً المؤمنين الى مراجعة الذات ومحاسبة النفس: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩ ﴾ [الحشر: ١٨-١٩]، ويقول ﷺ: «الكيس من دان نفس وعمل لما بعد الموت»[3]، ويقول عمر رضي الله عنه: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا.

(١) (دراسة للدكتور حسن حنفي بعنوان الحوار مع الذات شروطه ومعوقاته، لغته ومضمونه، هدفه وغاياته، ينظر كتاب الحوار مع الذات ص٣٨).

(٢) (دراسة للدكتور مبارك الهاشمي بعنوان جذور التفكير الحواري في الثقافة العربية، ينظر الحوار مع الذات ١٨٧).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (٢٤٥٩).

كما نرى أن الأمة الإسلامية بحاجة إلى خطاب داخلي بين الحركات الفاعلة في العالم الإسلامي، وإذا لم يكن هنالك استقرار داخلي فمن الصعب أن نطلبه في الخارج، يقول الدكتور عبد القادر طاش: قبل أن نتحاور مع الآخر هنالك مطلب حضاري مهم جداً، وهو أن نتحاور مع الذات، ونتحاور مع أنفسنا في داخل الصف الإسلامي، والصف الذي ربما نقول: إنه يتفق على كليات وثوابت معينة[1]، ويقول آخرون: إنّ المرور إلى مرحلة الحوار مع الآخر تستدعي أولاً وقبل كل شيء، ومن باب منهجية الحوار، أن ننطلق بحوار مع الذات عميق وجريء ومسؤول. ومثل هذه المرحلة المغيّبة كان من المفروض أن تكون في أعلى أجندة النخب العربية والإسلامية[2].

إن الخطاب الداخلي (الإسلامي-الإسلامي) يجنب الأمة الكثير من الويلات والضحايا والدمار والضعف، فنحن نعيش أزمة حوار داخلي أدى إلى أن تستغله القوى الخارجية، فسلبت منا قوتنا وشخصيتنا، وتلاعبت بعقولنا ومواقفنا، وما نراه اليوم على الساحة الإسلامية من صراع نسبه البعض إلى الغلو والتكفير، وإذا كنا لا ننكر أن هنالك امتداداً لهذا المنهج، إلا أننا يجب ألا نغفل عن منهج التسويف والاستهزاء والإعراض عن الدين، فالغلو ينشأ غالباً كرد فعل عن أزمة تعصف بالمجتمع كالصراع الداخلي إلى حد القتال، وشاهدنا أن الخوارج الحرورية ظهروا بعد معركتي الجمل وصفين اللتين ذهب ضحيتهما ٩٠ ألف قتيل من المسلمين، أو أزمة تعصف ببعض الحركات الإسلامية وقادتها وشخصياتها، كظهور جماعة الهجرة والتكفير بعد الاختفاء القسري والاعتقالات التعسفية والتعذيب الوحشي والإعدامات، والاستهزاء بالله ورسوله والإسلام والقرآن، أو كرد فعل عن منهج التسويف والإعراض.

إلا أن وجود قيادات ربانية تؤمن بالحكمة وأهمية الحوار كخطوة أولى للمعالجة، وكذلك وجود علماء ومفكرين يحسنون الحوار ويجيدون فن الإقناع، له

---

(١) د. عبد القادر طاش: أزمة الحوار... إشكالية المسلم اليوم، موقع المسلم اليوم في ١٠/ ٥/ ٢٠٠٣.

(٢) مقال لامال موسى بعنوان لأيهما الأولوية: الحوار مع الذات أم مع الآخر؟ على شبكة الانترنت.

اثر في إدارة الأزمات وتجاوزها، ومن أمثلة الحوار السياسي الذي أداره الصحابة مع بعض من خالفهم حوا ر ابن عباس رضي الله عنهما مع الخوارج؛ فعن ابن عباس قال: لما اعتزلت الحرورية قلت لعلي: يا أمير المؤمنين أبرِدْ عن الصلاة فلعلي آتي هؤلاء القوم فأُكلِّمَهُم، قال: إني أتخوفهم عليك، قال: قلت: كلا إن شاء الله، فلبست أحسن ما أقدر عليه من هذه اليمانية، ثم دخلت عليهم، وهم قائلون في نحر الظهيرة، فدخلت على قوم لم أر قوماً أشد اجتهاداً منهم، أيديهم كأنها ثَفِنُ الإبل، ووجوههم مُعَلَّمَةٌ من آثار السجود، قال: فدخلت، فقالوا: مرحباً بك يا ابن عباس، ما جاء بك؟ قلت: جئتُ أحدثكم عن أصحاب رسول الله ﷺ نزل الوحي، وهم أعلم بتأويله، فقال بعضهم: لا تحدثوه، وقال بعضهم: لنحدثنه.

قال: قلت: أخبروني ما تنقمون على ابن عم رسول الله ﷺ وخَتَنِه وأولِ من آمن به، وأصحابُ رسول الله ﷺ معه، قالوا: ننقم عليه ثلاثاً؛ قلت: ما هن؟ قالوا: أولهن أنه حَكَّم الرجال في دين الله، وقد قال تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام:٥٧]، قلت: وماذا؟ قالوا: قاتل ولم يَسْبِ ولم يغنم، لئن كانوا كفاراً لقد حلت له أموالهم، وإن كانوا مؤمنين فقد حرمت عليه دماؤهم؟ قلت: وماذا؟ قالوا: محا نفسه من أمير المؤمنين؛ فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين؟ قال: قلت: أرأيتم إن قرأت عليكم كتاب الله المحكم، وحدثتكم من سنة نبيكم ما لا تنكرون، أترجعون؟ قالوا: نعم .

قال: قلت: أما قولكم: إنه حَكَّمَ الرجال في دين الله، فإن الله يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ [المائدة: ٩٥]، وقال في المرأة وزوجها ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [النساء:٣٥]، أَنْشُدُكُم اللهَ أفحكم الرجال في حقن دمائهم وإصلاح ذات بينهم أحق، أم في أرنب ثمنها ربع درهم؟ قالوا: بل في حقن دمائهم وإصلاح ذات بينهم. قال: أخرجت من هذه؟ قالوا: اللهم نعم.

قال: وأما قولكم: قاتل ولم يسب ولم يغنم، أتسبون أمَّكُم عائشة ثم تستحلون منها ما تستحلون من غيرها، فقد كفرتم، وإن زعمتم أنها ليست أمَّ المؤمنين فقد كفرتم وخرجتم من الإسلام، إن الله يقول: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ ۗ ﴾ [الأحزاب:٦]، وأنتم مترددون بين ضلالتين، فاختاروا أيهما شئتم؟ أخرجت من هذه؟ قالوا: اللهم نعم.

قال: وأما قولكم محا نفسه من أمير المؤمنين، فإن رسول الله ﷺ دعا قريشاً يوم الحديبية على أن يكتب بينهم وبينه كتاباً فقال: «اكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله»، قالوا: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك، ولكن اكتب: محمد بن عبدالله، فقال: والله إني لرسول الله وإن كذبتموني، اكتب يا علي: محمد بن عبدالله، ورسول الله كان أفضل من علي، أخرجت من هذه؟ قالوا: اللهم نعم، فرجع منهم عشرون ألفاً وبقي أربعة آلاف فقتلوا[1].

فمخطابة الآخرين ومحاورتهم أنجى ٢٠ ألفاً من الضلالة، وجنَّبَ الأمة شرهم، فهل بعد ذلك من خير.

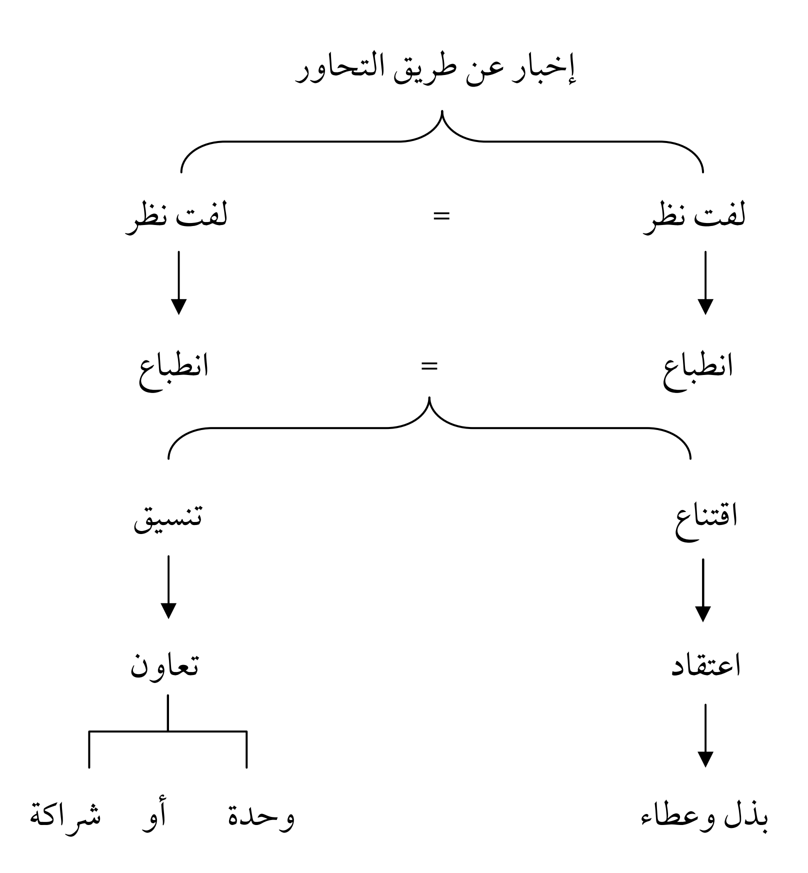
ومما ينبغي أن نؤكد عليه أن مسار حوار الذات يفترق عن مسار الحوار مع الآخر.

فنتيجة الحوار مع الذات إما أن ينتهي باعتقاد يؤدي إلى البذل والعطاء، أو إلى تعاون يؤدي إلى شراكة أو وحدة، فالمسار الأول للحوار مع الذات يبدأ بإخبار يلفت إليه النظر، مما يولد انطباعاً يثمر اقتناعاً يقود إلى اعتقاد يدفع صاحبه إلى البذل والعطاء والتضحية بالمال والنفس، وهذا منهج الأنبياء مع أتباعهم، وهو منهج الجماعات الإسلامية في داخلها.

---

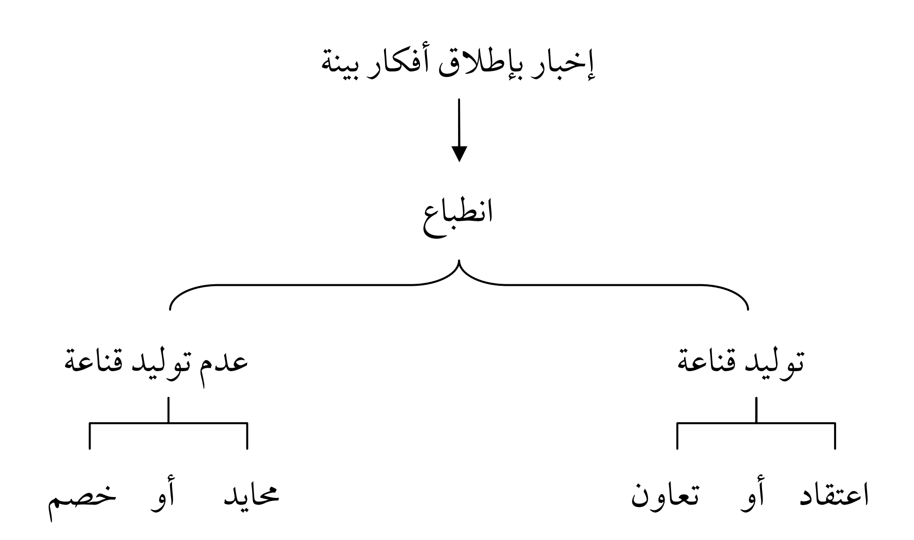
(١) أخرجه عبدالرزاق في «مصنفه»، ١٠/ ١٥٧، برقم ١٨٦٧٨. والحاكم في المستدرك ٢ / ١٥١، وقال: حديث صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

أما المسار الثاني للحوار مع الذات فيبدأ بإخبار يعقبه تنسيق يولد انطباعاً بضرورة التعاون، وهذا يقود إلى أمرين: إما شراكة فحسب أو إلى وحدة، وهذا منهج الجماعات الإسلامية مع بعضها.



شكل (١) يوضح التسلسل المنطقي للحوار مع الذات

وأما مسار الحوار مع الآخر فيبدأ بإطلاق أفكار بينة وواضحة تنشئ انطباعاً، وهنا يؤدي المحاور مهمته في البلاغ المبين، وبعد الانطباع إما أن تتولد قناعة عند الآخر فيعتقد ما تقوله مؤمناً به أو محترماً له، أو لا تتولد عنده قناعة فيبقى خصماً أو محايداً، وهذا الأمر يعود إلى توفيق الله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [القصص:٥٦].



شكل (٢) يوضح التسلسل المنطقي للحوار مع الآخر

حسن الإعداد:

كان الدعاة وقادة الأمة الإسلامية يعدون لخطابهم ويهتمون به لما له من أثر على أبناء الأمة بمختلف توجهاتهم ومواقفهم، فيوم أن ذهب عمر بن الخطاب ﵁ إلى السقيفة بعد وفاة رسول الله ﷺ أراد أن يسبق أبا بكر ﵁ بالكلام معللاً ذلك بقوله: والله ما أردت بذلك إلا أني قد هيأت كلاماً قد أعجبني خشيت ألا يبلغه أبو بكر، وفي رواية قال: كنت زَوَّرتُ مقالة أعجبتني[1]، أي: أنه أعد لهذا الموقف الذي سيتحدد من بعده مصير الأمة ما يليق به، ويدفع عنه كل شبهة أو رأي يجانب قائله مصلحة الأمة، وروي عن عثمان ﵁ أنه صعد المنبر عند توليه الخلافة، فقال: الحمد للهّ، إن أول كل مَرْكب صعب، وإن أبا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالاً.

فمن أسباب ضعف الخطاب الإسلامي في الدعوة والإعلام هو عدم الاهتمام من بعضهم في الإعداد للخطاب، فيعطيه من فضل وقته لا من صلبه، فيغلب على الداعية الارتجال، وقد يؤدي الارتجال غرضه في بعض الاحيان ولكنه في الغالب يأتي بنتائج عكسية أو غير متكاملة فالارتجال غالباً يؤدي إلى:

- الانفعال في غير موضعه.
- افتقاره إلى الحقائق الموثقة والأرقام.
- تغلب عليه الأحكام العامة.
- التشتت في الموضوعات وغياب وحدة الموضوع.
- عدم استحضار شواهد من سياسات الآخر.
- عدم تقديم حلول موضوعية.

---

(١) رواه البخاري (٣٤٦٧) و(٦٤٤٢). والإمام أحمد في مسنده وصحح إسناده أحمد شاكر. وقوله: زورت، أي: هيأت

ومن حسن الإعداد وضوح الرؤية عند المحاور فقد أكدنا في مسألة العاطفة بعض الآثار السلبية من تغليب العاطفة على الموضوعية، وهنا نضيف أن الخطاب يكون عند بعض الدعاة بطريقة تلقائية رتيبة؛ حيث لا توجد لديهم رؤية واضحة، ولا يدرون خلالها ما الأهداف ذات المدى البعيد التي يريدون الوصول إليها؛ وقد ترى أن كثيراً من طروحاتهم الفكرية مبنية على خواطر مشتتة تطرأ على أذهانهم من هنا أو هناك، بل تلمس أحياناً أن بعضهم لا يعطي لنفسه فرصة التفكير في برنامجه العملي، ولهذا تراه يجتر كثيراً من أقواله وأقوال غيره بدون بصيرة. إن وضوح الأهداف يعين كثيراً في الاعتبار بالماضي واستبصار الحاضر واستشراف المستقبل، ويدفع الداعية إلى رسم أطر واضحة يعرف فيها بدقة: **ما الموضوعات التي سوف يتحدث عنها؟ وما القواعد التي يريد بناءها؟ وما الأمراض الفكرية والمنهجية التي يقصد معالجتها؟وما أنسب السبل لتحقيق ذلك؟** ويعرف في ذلك الأولويات التي ينبغي البدء بها، ويحدد طريقة المعالجة، ونحو ذلك مما يعدّ من البديهيات المنهجية التي لا غنى عنها[1].

ثانيا: مقومات موضوع الخطاب (الرسالة والأهداف):

تتجلى رسالة الخطاب في الانتصار للحق والبحث عن الحقيقة كهدف ذاتي، فثقافة الخطاب تتطلب التجرد ونبذ التعصب، والابتعاد عن القناعات السابقة والمواقف المبيتة، والأحكام المعدة سلفاً خلال تنفيذ الحوار، حتى لو كانت أطراف الحوار على يقين مطلق بمعتقداتها ووجهات نظرها، فهذا التجرد يخلق جواً من الصدق في الوصول إلى الحقيقة كهدف نهائي للحوار[2].

---

(١) مقال للأستاذ أحمد الصويان بعنوان كيف نخاطب الجماهير بتصرف.

(٢) (دراسة للدكتور محمد زرمان بعنوان: ثقافة الحوار في مرجعيتنا الدينية والفكرية؛ ينظر الحوار مع الذات ١٣٤).

كما أن للخطاب غايتين إحداهما قريبة والأخرى بعيدة: أما غايته القريبة والتي تطلب لذاتها دون اعتبار آخر فهي محاولة تبليغ الآخرين وإفهامهم، وأما الغاية البعيدة فهي إقناع الآخرين بوجهة نظر معينة(١)، فمعرفة الهدف أو الأهداف والالتزام برسالة الخطاب تعين القائم به في مهمته، وتختزل له كثيراً من الجهد والوقت، ومن مقومات نجاح إدارة الخطاب في محتواه:

١- **توثيق المعلومات وتوظيف التقنيات:** من العوامل التي تعين على تقبل الآراء وتبني المواقف وتقوية الحجة، هو الاهتمام بالمعلومات الموثقة (الحقائق والأرقام والإحصائيات) وإيرادها في أثناء الحوار، فهي براهين على صدق الدعاوى، قال جل جلاله: ﴿ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [القصص:٧٥].

﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الأنبياء:٢٤].

﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ ﴾ [البقرة:١١١].

ولذا شهدت الحوارات الإعلامية في الآونة الأخيرة نقلة نوعية تجلت في الابتعاد عن الارتجال والإنشائية، والتركيز على المسائل المحورية، مع دعمها بأدلة وحقائق لا يمكن إنكارها من خلال الصور والوثائق والإحصائيات، وتوظيفها شكل تحولاً في المواقف وإن كانت متجذرة، فكم من طفل فلسطيني كان يقتل أسبوعياً دون اهتمام، ولكن صورة مقتل محمد الدرة التي بثتها وسائل الإعلام أدت إلى انطلاق الانتفاضة الفلسطينية في داخل أراضيها، وفي الخارج رأت أوربا ولأول مرة في تاريخها أن إسرائيل أحد أسباب عدم الاستقرار في المنطقة.

---

(١) (الحوار الإيجابي ودوره في الحد من العنف عن الحوار مع الذات ١٨٦).

وكم نادت الهيئات المناهضة للاحتلال الأمريكي في العراق بالجرائم البشعة التي ترتكبها قوات الاحتلال والقوات الحكومية ضد الأبرياء، ولم تحرك ساكناً، ولكن صور جرائم سجن أبو غريب وملجأ الجادرية فتحت ملفات لم ولن تغلق أمام الرأي العام العالمي، وساهمت في دعم القوى المقاومة والمناهضة للاحتلال.

إن السياسة الإسلامية وهي تواجه تحديات المرحلة إن أرادت كسب المواقف عليها أن تهتم بمراكز البحوث والدراسات واستطلاع الرأي العام التي تعتمد المنهجية العلمية لتقدم أدلة موثقة تقوي حجة المحاور السياسي، فلا يكفي للمحاور صدق النيّة، وسلامة المنهج، ما لم يجمع إليهما قوة الحجّة.

٢- **البدء من المتفق عليه:** إن بدء الخطاب بمواطن الاتفاق طريق إلى كسب الثقة وإفشاء روح التفاهم، وتدعم الاتجاهات البناءة، مما يفتح آفاقاً من التلاقي والإقبال[١]، أما الحوارات التي تبدأ بمناقشة نقاط الاختلاف والتوتر، أو ما يسمّى بالنقاط الحادة والساخنة حوارات كتبت على نفسها الفشل سلفاً، فلا تسقط الحوار بإثارة مشاعر محاورك في نقاط الاختلاف، وإنّما أكّد على نقاط الالتقاء أو ما يسمّى بـ (الأرضية المشتركة)، حتى تمهّد الطريق لحوار موضوعي ناجح، والقرآن الكريم يضع هذه القاعدة الحوارية المهمة في صيغة الآية الكريمة: ﴿**قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾**﴾ [آل عمران:٦٤].

ولذا فإن ثقافة الحوار تتطلب البدء بالقضايا المشتركة لتتوطد أسباب التواصل وتتعمق في الوعي والسلوك المبادئ المشتركة[٢]، على أن الحوار يبدأ من

---

(١) (فن الحوار والإقناع ص١٦).

(٢) (دراسة للدكتور محمد زرمان بعنوان: ثقافة الحوار في مرجعيتنا الدينية والفكرية ينظر الحوار مع الذات ١٣٥).

المشترك ليعالج المختلف فيه دون الاكتفاء بالمشتركات، وإلا كان ترسيخ مبادئ متفق عليها وأغلب هذا يقع في الحواريات التي تعتمد المجاملة.

٣- **معالجة الأفكار المستترة**، ونقصد بها ما يكون في الحوارات من أفكار وآراء غير معلنة، تجاه الموضوع الذي تتم مناقشته وإدارة الحوار بشأنه، وهذه الأفكار المستترة يجب اكتشافها ومناقشتها، وإلا ستكون عائقاً في سبيل الإقناع[1].

٤- **اللغة المؤثرة للخطاب**: قبل تحديد لغة الخطاب نقف أولاً عند نوعية الخطاب بحسب الجهة التي يتوجه إليها وهي[2]:

- الخطاب التعبوي: وهو موجه للذات - لبناء الشخصية الإسلامية القادرة على صناعة الحضارة.
- الخطاب الجماهيري الدعائي: وهو موجه للقاعدة العريضة من الجماهير الإسلامية لتتحرك في نصرة مشاريع الأمة أينما تكون.
- الخطاب السياسي: وهو موجه للسياسيين (تنظيمات وأفراداً) وبخاصة العرب والإسلاميين والمؤيدين، لحثهم على تحمل المسؤولية التاريخية والأخلاقية في الدفاع عن الشعوب الإسلامية وخاصة الأقليات المسلمة والتحرك السياسي من خلال القنوات الرسمية الدولية ذات العلاقة لحماية أبناء الأمة.
- الخطاب النخبوي الفكري: وهو موجه للنخب من أبناء الأمة وتتجلى أهميتهم كونهم يمثلون حلقة الوصل وقوة التأثير في مجتمعاتهم وطبقاتهم.
- الخطاب النفسي للآخر، للتأثير في الرأي العام العالمي.
- الخطاب القانوني والأخلاقي والانساني وهو موجه للغرب والمؤسسات الدولية ومنظمات المجتمع المدني، للتأثير في القرار الدولي والنشاط الإنساني.

---

(١) مهارات الاتصال، ص ١١٤.

(٢) المقاومة الإعلامية، عبد الرحمن فرحانة، ضمن: استراتيجية المقاومة الشاملة ص ٤١٦.

ولكل خطاب أساليبه وعباراته وأهدافه التفصيلية الخاصة، كما أن لكل خطاب رجاله الذين يحسنون صياغته وتقديمه والدفاع عما يندرج تحته من مفاهيم، وما تواجهه من تحديات، وما يستلزم من مواقف، ومن الخطأ الخلط بينها عند التوجيه والتقديم الإعلامي وإن كانت جميعاً تندرج ضمن الخطاب الإسلامي بشكل عام.

والآن يمكن أن تحديد مواصفات لغة الخطاب المؤثرة بالآتي:

- الاتزان والبعد عن التهويل والتهريج الدعائي.
- البعد عن الهدر اللغوي وتجنب الحشو والتكرار.
- الاهتمام بالقيمة الدلالية التواصلية لنص الخطاب تجنباً للإنشائية.
- الحذر من مقولة الحيادية لأن الخطاب الإسلامي ليس حيادياً بل له قضية ينافح عنها، مع التزامه الموضوعية.
- عدم الإفراط في استخدام لغة الخطاب الإنساني خشية أن يتحول الخطاب الإسلامي إلى خطاب بكائي، مع ضرورة توظيفها في بعض الأحيان.
- القدرة على المصداقية لكسب الجمهور.
- مهارة الإقناع والتأثير.
- التعرف على ردود أفعال الجماهير لتعديل رموز ومضمون الرسالة الإعلامية التي يتضمنها الخطاب الإسلامي.
- التنسيق بين المؤسسات الإعلامية المختلفة لتوحيد الخطاب الإسلامي.
- إنتاج رسائل إعلامية واتصالية متسقة ومبرمجة لتجنب الفوضوية والتناقض.

٥- **مقومات توثيق المعلومات:** المعلومة هي مادة الخطاب، وعليها تقوم المؤسسة الإعلامية، ولو تعقبنا كيف يجمع الإعلامي المعلومات وما هي مصادره في تحصيلها لوجدنا بعض الإعلاميين يتلقف المعلومة دون تثبت أو توثق من مصدرها، وبعضهم يتنطع ويتشدد حتى يضيع كثيراً من الحقائق أو يحصل عليها

بعد فوات أوانها وضياع قيمتها لمبالغته في التثبت والتدقيق، وفي الإسلام فإنه وضع أمام إعلامه جملة من القواعد التي تمثل المنهج الوسطي في التعامل مع المعلومة منطلقا من التأكيد على أهميتها وعلى ضرورة احترامها، ومن تلكم القواعد:

أ- **دقة النقل وضرورة التثبيت**: من مقومات المعلومة التي يقوم عليها الخطاب الإسلامي لا سيما في جانبه الإعلامي الدقة في نقل المعلومة، والتثبيت من حقيقتها قبل إذاعتها، يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦﴾ [الحجرات:٦]، وفي قراءة (فتثبتوا)[١]، وقد أكد الله سبحانه وتعالى على أهمية الكلمة وضرب لها مثلاً رائعاً: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٢٤﴾ [إبراهيم:٢٤] ويؤكد النبي ﷺ على قيمة الكلمة ومنزلتها وعظيم أثرها سلباً وإيجاباً ويحذر من الآثار السلبية عليها يقول ﷺ «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله، لا يلقي لها بالاً، يرفعُه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله، لا يلقي لها بالاً، يهوي بها في جهنم»[٢]. هذا الرجل فكيف بالخطيب الجماهيري والإعلامي الذي قد يتلقى عنه الملايين؟

واحترام الكلمة يتجلى مع القريب، فلا تؤدي القرابة إلى غض الطرف عن الحقيقة، وكذلك عدم الاستسلام لمشاعر الكراهة في التجني على الخصوم، يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ﴾ [الأنعام:١٥٢]، ويقول الله تعالى: ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ﴾ [المائدة:٨]، كل ذلك على الخطيب والإعلامي مراعاته وهو يتلقى المعلومة أو الخبر فيحلله ويذيعه.

---

(١) فقرأ حمزة والكسائي وخلف (فتثبتوا) من التثبت، وقرأ الباقون (فتبينوا) من التبين، النشر في القراءات العشر ٢/ ٢٨٤.

(٢) رواه البخاري، باب حفظ اللسان (٦١١٣).

ب- **المصداقية واجتناب قول الزور**: الخطاب الهادف يعتمد المصداقية، وهي الجسر الذي يربطه مع المتلقين، والمواظبة على هذا المبدأ يوثق الاتصال، والإسلام إذ يؤكد على الصدق فإنه يعدّ الكذب وقول الزور كبيرة من أعظم الكبائر، يقول الله تعالى: ﴿وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ۝٣٠﴾ [الحج:٣٠]، ويقول ﷺ: (ألا أخبركم بأكبر الكبائر؟) ثلاثاً، قلنا: بلى، يا رسول الله، قال: (الإشراك بالله، وعقوق الوالدين)، وكان متكئاً فجلس، فقال: (ألا وقول الزور وشهادة الزور* فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت[١].

ويؤكد على أن هذا الأمر يشتد كلما عظمت المسؤولية وتوسع المنصب، وكثر المتلقين والأتباع، يقول ﷺ: (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر)[٢].

ولذا يجب أن ننزه خطابنا ووسائل إعلامنا كافة من هذه الصور، بل ونشجع وسائل الإعلام الأخرى على ذلك؛ لبناء المجتمع الصالح، لاسيما إذا كانت مجتمعاتنا تعيش فيها طوائف وفرق وتيارات سياسية وفكرية وعقائدية متنوعة.

إن الكلمة الصادقة القوية والفكر الواقعي يحتاجان الى قوة ثالثة تمنحهما المزيد من التأثير والفاعلية، إنها قوة الحق واجتناب قول الزور، والمقصود بالحق في خطابنا لا سيما في الحوارات الإعلامية أن تناقش كل القضايا المطروحة بمنهج موضوعي سليم، لا يلتفت فيه إلى أي عامل من العوامل العارضة التي تتناقض مع قول الحقيقة:

- إن الصدق في تقرير الحقائق.
- وإن الموضوعية في مناقشة الأحداث.
- وإن الالتزام بهذه الموضوعية في السلوك.

(١) رواه البخاري باب من اتكأ بن يدي أصحابه (٥٩١٨). ومسلم، باب بيان الكبائر وأكبرها ٢٦٩.
(٢) رواه مسلم باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار ٣٠٩.

هذه كلها عوامل إيجابية في التمكين للخطاب الإسلامي والحوار الإعلامي، وفي توثيق الصلة بين كل الفرقاء بحيث لا تشوب هذه العلاقات أي شائبة من الريبة، فليس أخطر على الخطاب والعمل الإعلامي من أن تتناقض الأقوال مع الأفعال أو أن تكذب الوقائع ما يجري على ألسنة الخطباء وما تسجله وتسطره أقلام الإعلاميين[١].

ج- **مقومات الخطاب بين الحرية والرقابة:** إن مفهوم الحرية في الخطاب والإعلام الإسلامي مستمد من نظرة الإسلام إلى الحرية، فقد احترم الإسلام حرية التعبير وأقرها وحث عليها، وهي ليست وليدة الفكر الإنساني، كما أنها ليست ثمرة من ثمرات نضال الأفراد والجماعات ضد الطغاة والمستبدين، وإنما هي سمة بارزة من سمات الشريعة الإسلامية، وهي حق شرعي أصيل تدعمه النصوص الشرعية[٢]، فقد جعل النبي ﷺ من شروط المواطنة الحقة للمسلم وانضمامه إلى الرعية الإسلامية قول الحق والمجاهرة به سعياً لإحقاقه في المجتمع، فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة، في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا، وإلا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفرا بواحاً عندكم من الله فيه برهان، وعلى أن نقول الحق أينما كان ولا نخاف في الله لومة لائم»[٣].

كما عدّ رسول الله ﷺ ترك المسلم الإدلاء برأيه، فيما يرى أنه الحق، أمراً محتقراً، فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يحقرن أحدكم نفسه، قالوا: يا رسول الله، وكيف يحقر أحدنا نفسه، قال: يرى أنه عليه مقالاً ثم لا يقول به، فيقول الله عز

(١) ينظر: الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية، مجموعة باحثين، ص ٦٣.

(٢) الحقوق والحريات السياسية في الشريعة الإسلامية، د. رحيل محمد غرايبة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن، ١٩٨٤ص ٣٣٢.

(٣) رواه البخاري باب كيف يبايع الإمام الناس (٦٧٧٤)، ومسلم باب وجوب طاعة الأمراء (٤٨٧٤).

وجل يوم القيامة: ما منعك أن تقول في كذا وكذا، فيقول: خشية الناس، فيقول: فإياي كنت أحق أن تخشى»[1].

وقد أكد النبي ﷺ على حرية التعبير في الخطاب والإعلام حتى في مقابلة السلطة، وعدها جهاداً بل من أفضل مراتبه، كقوله عليه أفضل الصلاة والسلام «أفضل الجهاد كلمة عدل (وفي رواية كلمة حق) عند سلطان جائر»[2]، بل هي شهادة في سبيل الله لما روي عنه ﷺ قوله: «أفضل الشهداء عند الله عز وجل رجل قام إلى والٍ جائر فأمره بالمعروف، ونهاه عن المنكر، فقتله»[3].

وقد أثبتت الوقائع التاريخية ممارسة الحرية في الخطاب والإعلام في زمن الخلافة الإسلامية، فالخطاب والإعلام الإسلامي حر بشرط ألا يؤدي سوء استخدامه، والتعسف في تطبيق الحرية إلى غمط الحق، أو إيذاء النفس أو الآخرين، أو الاعتداء على الحريات الفردية والاجتماعية أو التجاوز على الشريعة.

فالإسلام يملي على القائم بالخطاب وعلى نظامه الإعلامي تجنب الحرية الفوضوية الشائعة في الخطابات والإعلام الغربي والعربي المقلد له، الذي يطفح بالعورات، ويمتلئ على اتساع جنباته بالفضائح المشينة، والثرثرة الفارغة، والشائعات والألفاظ النابية والعبارات البذيئة مع الجرأة على مخالفة الآداب العامة والقيم.

وحتى يحافظ الإسلام على حرية خطابه وإعلامه قرنها بالمسؤولية، فالداعية أو الإعلامي الإسلامي مسؤول، ومسؤوليته مشتقة من سيادته التي أورثها الله له

(١) رواه ابن ماجة ٤٠٠٨، وضعفه الشيخ الألباني (ضعيف الجامع ٦٣٣٢)

(٢) رواه ابن ماجه (٤٠١٢) وأبو داود (٤٣٤٦) والترمذي (٢١٧٤) وقال: حديث حسن غريب من هذا الوجه، وصححه الشيخ الألباني.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك ٤٨٨٤ وقال: صحيح الإسناد و لم يخرجاه، وقال الذهبي في التلخيص: الصفار لا يدرى من هو.

منذ أن جعله خليفته في الأرض، وهذه المسؤولية تقوم على أسس فردية واجتماعية وقضائية:

فالأساس الفردي: أن يراقب المرء نفسه ويحاسبها ولديه الوازع الديني، فالداعية والإعلامي يتقى الله في ممارسة الحرية في القول والتعبير، وتتعاظم هذه المسؤولية إن أدركنا أن كلمة الداعية والخطيب الجماهيري والإعلامي تصل إلى آلاف الناس بل الملايين، ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [ق:١٨]؛ ﴿ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾ [الأنعام:٣] وقول النبي ﷺ «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب»[1].

إن الخطيب والإعلامي المسلم رقيب على نفسه فيما يقول وما يكتب، وهذا يعني أن النظام الإعلامي في الإسلام سبق إلى الرقابة الذاتية قبل أن ينادي بها منظرو المسؤولية الاجتماعية في الإعلام الغربي.

على أن الرقابة مثلما تحول بين الداعية وما يقول والإعلامي وما ينشر ما لا تقره الشريعة، كذلك تدفعه إلى قول ونشر ما ينبغي قوله ونشره، فعن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه قال «لا أحدثكم حديثاً لولا آية ما حدثتكموه، سمعت النبي ﷺ يقول: لا يتوضأ رجل يحسن وُضوءَه، ويصلي الصلاة، إلا غفر له ما بينه وبين الصلاة حتى يصليها»[2]، قال عروة: الآية ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ ﴾ [البقرة:١٥٩].

والأساس الاجتماعي: الذي يقوم على أن رقابة المجتمع تحول دون الخطيب والإعلامي والانحراف في عملهما ودعوتهما من... تداول الشائعات وترويج

---

(١) رواه البخاري، باب حفظ اللسان (٦١١٢)، ومسلم باب باب التكلم بالكلمة يهوى بها في النار (٧٦٧٣).

(٢) رواه البخاري، باب الوضوء ثلاثاً ثلاثاً (١٥٨).

الرذائل وغيرها، إن تأكيد الإسلام على الروابط الاجتماعية يعمق الشعور لدى الإعلامي في احترام عقائد وأخلاقيات المجتمع الذي يعيش فيه، والجمهور الذي يخاطبه.

والأساس القضائي: إن احترام الخطيب والإعلامي وإنزالهما المكانة التي تليق بهما لا يعني بالضرورة إعطاءهما حصانة يقولان ما يريدان ويتكلمان بما يشاءان، ولذا قرر الإسلام حق مساءلة الجميع فيما يصدر عنهم.

وقد ينزعج بعضهم من هذا الأساس، ونقول: إن هذا الأساس يمنع الخطباء والإعلاميين من أن يتخذوا مهمتهم ووظيفتهم سلماً لأغراض أخرى لا تتعلق بشرف مهنتهم، وهذا الأمر يملي عليهم جميعاً أن يلتزموا جادة الحق والصدق ليجنبوا أنفسهم الوقوف أمام القضاء الإسلامي، كما أنه ليس معوقاً للعمل الخطابي والإعلامي، وإنما هو ترشيد وتحصين له، فما دام كل من الخطيب والإعلامي يعتمدان الحق والصدق، ومقصدهما البناء لا الهدم، فلن تعيقهما هذه الرقابة ما دام يراعيان ضوابطها الشرعية.

مما سبق نجد أن الإسلام عول أولاً على الرقابة الذاتية النابعة من استشعار المسلم (خطيباً وإعلامياً) مراقبة الله تعالى له في كل ما يصدر عنه من قول أو رأي، ويدرك أنه مسؤول أمام الله تعالى عما بدر منه مهما صغر أو كبر، فإذا ضعفت النفس المطمئنة، وتغلبت النفس الأمارة بالسوء، كان للمجتمع دوره في كبح ذلك، فإن تجاوز الحدود، واستغل المهنة الدعوية والإعلامية، تدخل القضاء ليحمي الخطيب أو الإعلامي نفسه بتطهيره من هذا السلوك الذي لا يليق بمنزلته، وليحمي الآخرين والمجتمع والشعائر الإسلامية من أن تنتهك في حالة ضعف يمر بها الخطيب أو الإعلامي أو المؤسسة الدعوية أو الإعلامية.

إن مقومات التعبير والخطاب في الإسلام تقوم على الوسطية في التوازن بين الحقوق والواجبات، فالشريعة تحترم حقوق الإنسان وتلزمه بأداء الواجب، فكل

حق يقابله واجب، وتعطيه مكانته وكامل حقوقه المشروعة، شريطة ألا تكون هذه الحقوق على حساب الجماعة، وهكذا نرى أنه من الحقوق التي منحها الإسلام للفرد حق حرية الرأي والتعبير والمشاركة في المجتمع.

فالحرية التي ترفع شعارها اليوم كثير من المؤسسات الدعوية والإعلامية بلا ضوابط ولا قيود، مما أدى للفوضى والتناقض والاضطراب في فهمها وتطبيقها؛ فحرية كل فرد تكون اعتداء على حريات الآخرين، وفي الوقت نفسه فإن الحجر عليها كبت لا يرضى، فجاء الإسلام ليعلن الحرية في حمى الدين المقيدة بضوابط شرع رب العالمين، تلك التي تمنع الإنسان من فعل الشر، وتدفعه لجلب الخير، فالحرية في الإسلام لا تعني التفلت من المسؤولية، وحرية القول لا تعني حرية السب والشتم، وحرية الفكر لا تعني حرية الكفر والإلحاد والهدم، وحرية الانتقال لا تعني حرية الاستيلاء والاحتلال.

ثالثا: مقومات النشر (الترشيد المعرفي للخطاب):

إنَّ الوسائل الإعلامية التي تعرض الخطاب الإسلامي تنقسم إلى قسمين:

الأول: وسائل سليمة المضمون، سواء أكانت علمية، أم دعوية، أم تربوية... إلخ، وهذه الوسائل هدفها الرئيس هو دعوة الناس إلى دين الله، ونشر الوعي الشرعي، وتخصص أحيانًا برامج ترفيهية لا تعارض الشريعة الإسلامية في أغلبها.

والثاني: وسائل غير خالصة المضمون، يغلب عليها اللهو غير البريء من عُري وفساد وبدع وشبهات، إلا أنها قد تخصص على خارطتها برامج إسلامية ولاسيما برامج الإفتاء[1].

وإذا كنا نتجاوز وسائل القسم الثاني في إثارتها لمواضيع غريبة وعجيبة، فإننا لا بد أن نقف عند وسائل القسم الأول والتي وقعت أسيرة مدرسة الإثارة فبدأت

---

(١) المفتي والإعلام... مشاركة أم إحجام؟ د.سلمان فهد العودة، موقع الاتحاد ١٢/ ٩/ ٢٠٠٧.

تتحرى المواضيع التي تثير الناس من غير النظر إلى الآثار التي تتركها والفوضى التي تخلفها، يقول الدكتور فهمي هويدي: إن التطور الهائل في ثورة الاتصال له دوره الأكبر في إحداث تلك الفوضى وتعميمها، ليس فقط بسبب أن تعدد وسائل الاتصال الممثلة في الفضائيات والمواقع الالكترونية جذب أعداداً من المتصدرين للإفتاء الذين لم يتمكنوا من الصناعة، ولكن أيضاً لأنّ التنافس بين تلك الفضائيات والمواقع دفع أكثرها إلى محاولة استخدام الإثارة والتشويق لجذب أكبر عدد من المتلقين، حتى لو كانت تلك الإثارة على حساب الاحتشام والحقيقة[1].

والتوجيه الإسلامي أكد على ضرورة مراعاة الترشيد في عرض وتقديم المعارف دعوة وخطاباً، تبليغاً وتعليماً، فالله سبحانه يؤكد على ذلك وهو يوجه نبيه إلى معالجة مشكلة حدثت في بيت النبوة بين النبي ﷺ وبعض أزواجه، يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾﴾ [التحريم:٣]، ويقول ﷺ: (كفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما سمع)، وفي رواية: (كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما يسمع)[2].

ووجه ﷺ أصحابه إلى ذلك حتى عقد الامام البخاري في صحيحه باباً في ذلك أطلق عليه باب: من خص بالعلم قوماً دون قوم، كراهية أن لا يفهموا. جاء فيه وفي غيره أحاديث وآثار منها:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن النبي ﷺ، ومعاذ رديفه على الرحل، قال: (يا معاذ بن جبل). قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: (يا معاذ). قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، ثلاثاً، قال: (ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً

---

(١) مقال بعنوان «دعوة لوقف تدهور صناعة الفتوى» موقع الاتحاد ٨/٨/ ٢٠٠٧

(٢) رواه مسلم في صحيحه، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع (٥).

رسول الله، صدقاً من قلبه، إلا حرمه الله على النار). قال: يا رسول الله، أفلا أخبر به الناس فيستبشروا؟ قال: (إذا يتكلوا). وأخبر بها معاذ عند موته تأثماً[(١)]، وعنه أيضاً أن النبي ﷺ قال لمعاذ: (من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة). قال: ألا أبشر الناس؟ قال: (لا، إني أخاف أن يتكلوا)[(٢)].

وقال ﷺ: (يا أمة محمد والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً)[(٣)]. ويقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ما أنت محدثاً قوماً حديثاً لا تبلغهُ عقولهم، إلا كان لبعضهم فتنة[(٤)].

وروى ابن عباس عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما قال: لو شهدت أمير المؤمنين أتاه رجلاً فقال: إن فلاناً يقول: لو مات أمير المؤمنين لبايعنا فلاناً، فقال عمر: لأقومنَّ العشية فأُحذر هؤلاء الرهط الذين يريدون أن يغصبوهم، قلت: لا تفعل، فإن الموسم يجمع رعاع الناس، يغلبون على مجلسك، فأخاف أن لا ينزلوها على وجهها، فيطير بها كل مُطِير، فأمهل حتى تقدم المدينة دار الهجرة ودار السنة، فتخلُص بأصحاب رسول الله من المهاجرين والأنصار، فيحفظوا مقالتك وينزلوها على وجهها؛ فقال: والله لأقومنَّ في أول مقام أقومه بالمدينة[(٥)].

كما أنهم شددوا على من يسأل مسائل تفضي إلى أمور قد لا تستوعبها مداركهم، أو تكون فتنة أو فيها تنطع، ومن ذلك سؤال العوام عن علل مسائل الفقه وحكم التشريعات وإن كان لها علل صحيحة وحكم مستقيمة، ولذلك أنكرت عائشة على من قالت: لِـمَ تقضِ الحائض الصوم ولا تقضى الصلاة؟ فقد

---

(١) رواه البخاري، (١٢٨) مسلم، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً حديث رقم (٣٢).

(٢) رواه البخاري، كتاب العلم، حديث رقم (١٢٩) ومسلم (١٥٧).

(٣) رواه البخاري، باب: كيف كانت يمين النبي ﷺ، حديث رقم (٦٢٥٦).

(٤) رواه مسلم (١٤).

(٥) رواه البخاري، باب ما ذكر النبي وحض على اتفاق أهل العلم حديث رقم (٦٨٩٢).

روى مسلم أنَّ امرأة سألت عائشة فقالت: أتقضي إحدانا الصلاة أيام محيضها؟ فقالت عائشة: أحرورية أنت؟ قد كانت إحدانا تحيض على عهد رسول الله ﷺ، ثم لا تؤمر بقضاء[1].

وروى البخاري[2] أن امرأة قالت لعائشة رضي الله عنها: أتجزي إحدانا صلاتها إذا طهرت؟ فقالت: أحرورية أنت؟ كنا نحيض مع النبي ﷺ، فلا يأمرنا به، أو قالت: فلا نفعله.

وقد ضرب عمر بن الخطاب صبيغاً وشرد به لما كان كثير السؤال عن أشياء من متشابهات القرآن لا يتعلق بها عمل، وربما أوقع فتنة وإن كان صحيحاً، فعَنْ نَافِعٍ مَوْلَى عَبْدِ الله: أَنَّ صَبِيغاً العِرَاقِيَّ جَعَلَ يَسْأَلُ عَنْ أَشْيَاءَ مِنَ القُرْآنِ فِى أَجْنَادِ المُسْلِمِينَ حَتَّى قَدِمَ مِصْرَ، فَبَعَثَ بِهِ عَمْرُو بْنُ العَاصِ إِلَى عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، فَلَمَّا أَتَاهُ الرَّسُولُ بِالكِتَابِ فَقَرَأَهُ فَقَالَ: أَيْنَ الرَّجُلُ؟ قَالَ: فِى الرَّحْلِ. قَالَ عُمَرُ: أَبْصِرْ أَيَكُونُ ذَهَبَ فَتُصِيبَكَ مِنِّى بِهِ العُقُوبَةُ المُوجِعَةُ. فَأَتَاهُ بِهِ، فَقَالَ عُمَرُ: تَسْأَلُ مُحْدَثَةً! فَأَرْسَلَ عُمَرُ إِلَى رَطَائِبَ مِنْ جَرِيدٍ فَضَرَبَهُ بِهَا حَتَّى تَرَكَ ظَهْرَهُ دَبِرَةً، ثُمَّ تَرَكَهُ حَتَّى بَرَأَ، ثُمَّ عَادَ لَهُ ثُمَّ تَرَكَهُ حَتَّى بَرَأَ، فَدَعَا بِهِ لِيَعُودَ لَهُ، قَالَ: فَقَالَ صَبِيغٌ: إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ قَتْلِى فَاقْتُلْنِى قَتْلاً جَمِيلاً، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ تُدَاوِيَنِى فَقَدْ والله بَرَأْتُ. فَأَذِنَ لَهُ إِلَى أَرْضِهِ، وَكَتَبَ إِلَى أَبِى مُوسَى الأَشْعَرِىِّ: أَنْ لاَ يُجَالِسَهُ أَحَدٌ مِنَ المُسْلِمِينَ. فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى الرَّجُلِ، فَكَتَبَ أَبُو مُوسَى إِلَى عُمَرَ: أَنْ قَدْ حَسُنَتْ هَيْئَتُهُ. فَكَتَبَ عُمَرُ أَنِ ائْذَنْ لِلنَّاسِ بِمُجَالَسَتِهِ[3].

وقد أخبر مالك عن نفسه أن عنده أحاديث وعلماً ما تكلم فيها ولا حدث بها، وكان يكره الكلام فيما ليس تحته عمل، وأخبر عمن تقدمه أنهم كانوا يكرهون ذلك[4].

---

(١) رواه مسلم، باب قضاء الصوم على الحائض دون الصلاة، حديث رقم ٣٣٥.

(٢) في صحيحه، باب إقبال الحيض وإدباره، ١/ ١٢١، حديث رقم ٣١٥.

(٣) رواه الدارمي في سننه، باب من هاب الفتيا وكره التنطع، ١/ ٦٤، حديث رقم ١٤٨.

(٤) الموافقات ٤/ ١٩١.

وعلى ضوء هذه النصوص أكدَّ علماء الأصول على مسألة الترشيد في النشر فقد خصه الإمام الشاطبي رحمه الله بفصل في كتابه الموافقات إذ يقول: «إنه ليس كل ما يعلم مما هو حق يطلب نشره، وإن كان من علم الشريعة ومما يفيد علماً بالأحكام، بل ذلك ينقسم، فمنه ما هو مطلوب النشر، وهو غالب علم الشريعة، ومنه ما لا يطلب نشره بإطلاق، أو لا يطلب نشره بالنسبة إلى حال أو وقت أو شخص، ومن ذلك تعيين هذه الفِرق، فإنه وإن كان حقاً فقد يثير فتنة... فيكون من تلك الجهة ممنوعاً بثه، ومن ذلك علم المتشابهات والكلام فيها، فإن الله ذم من اتبعها، فإذا ذكرت وعرضت للكلام فيها، فربما أدى ذلك إلى ما هو مستغنًى عنه»[1].

ويبين ضابط ذلك بقوله: «وضابطه أنك تعرض مسألتك على الشريعة، فإن صحت في ميزانها، فانظر إلى مآلها بالنسبة إلى حال الزمان وأهله، فان لم يؤد ذكرها إلى مفسدة، فاعرضها في ذهنك على العقول، فإن قبلتها، فلك أن تتكلم فيها، إما على العموم إن كانت مما تقبلها العقول، وإما على الخصوص إن كانت غير لائقة بالعموم، وإن لم يكن لمسألتك هذا المساغ، فالسكوت عنها هو الجاري وفق المصلحة الشرعية والعقلية»[2].

فإذا كان الصحابة ومن بعدهم يحرص على هذا الأمر مع ضيق مجالسهم ومحدودية متلقيهم، فالأولى بوسائل الإعلام التي لا تخلو من مئات الآلاف بل الملايين من المتلقين أن تحرص على ترشيد خطابها وبرامجها، لا سيما أن المفاهيم الإسلامية خالطها كثير من الشوائب، وأكثرها مما لا تدركه عقول جماهير الأمة مما سبب فتنة بل إنكار وردة.

ومقومات الوسطية في ذلك تدعو الإعلامي المسلم أن لا يلجأ إلى الإثارة والغرائب في طرح موضوعاته، وإنما عليه أن يجسد الحقائق التي يتقبلها الناس

(١) الموافقات ٤/ ١٨٩-١٩٠.

(٢) الموافقات ٤/ ١٩١.

وتستوعبها مداركهم فالانتقاء مطلوب، وليس كل ما يعرف يذاع،، بل إن الحقائق التي قد لا يستوعبها الناس يؤدي إلى تكذيبها، ومن ذلك ما جرى بين الصحابة وما جاء عن الفرق كما بين الشاطبي آنفاً.

رابعا: مقومات المشاركة في وسائل الإعلام:

يرى بعض المنظرين في الدعوة والخطاب الإسلامي أنَّ الإعلام أحد حاجيات الأمة في كل عصر، ويقول بضرورة ولوج باب الإعلام، يقول الدكتور زين العابدين الركابي: ليس أمام المسلمين غير إتقان فنون الإعلام، أداء لواجب البلاغ المبين، وإبطالاً لصنع السحرة المعاصرين[1]، فالإعلام أداة كبرى بيد الدعاة إلى الله عز وجل على مر العصور، ولكنَّ هذه الأداة تختلف من عصر إلى آخر تبعاً للتطور، فلكل عصر وسائله في الاتصال، وهذا واضح جداً في عصرنا الحاضر الذي تطورت فيه هذه الوسائل بشكل كبير حتى وصل بنا إلى مرحلة استخدام الأقمار الصناعية، وإذا كان أصحاب هذه النظرة يقيدون أن تكون الوسيلة الإعلامية متفقة مع منهج الإسلام، لأن الغاية لا تبرر الواسطة في نظر الإسلام[2]، إلا أننا نجد بعض الباحثين يرى جواز المشاركة في وسائل إعلامية عامة غير منضبطة، ويؤصل الدكتور سلمان فهد العودة ذلك مستشهداً بظهور المفتين فيها، يقول[3]: أما المشاركة في وسائل الإعلام غير خالصة المضمون، والتي تشتمل على محرم؛ فيها قولان:

القول الأول: عدم الجواز:

وحجج القائلين بعدم جواز المشاركة في هذا الصنف من الوسائل هي:

---

(١) ينظر الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية ص٣٠٠.

(٢) وسائل الإعلام وأثرها في وحدة الأمة ص٤٧.

(٣) مقال المفتي والإعلام مشاركة أم إحجام؟ للدكتور سلمان العودة، منشور على موقع الاتحاد في ٢٠٠٧/٩/١٢.

١- أن المفتي يصانع من أجل طبيعة الفضائيات. ونوقش: بأن ذلك لا يُسلَّم به، فلو لم يخرج المفتي في الفضائيات لكان ذلك من كتم العلم، وهو مناقض لأمر الشريعة بالتبليغ بكل طريق مع انتشار المسلمين في الأرض، وقلة المفتين المؤهلين.

ثم لو سلمنا بكتمان المفتي لبعض الحق، فليس ذلك قادحًا في أصل المشاركة؛ إذ المطلوب هو البلاغ قدر الوسع والطاقة، وما لا يقال في فضائية يقال في غيرها، والمقصود ألا ينطق بالباطل لغرض أو لآخر، وما يقال في الفضائيات من المصانعة يقال في غيرها كالمنبر أو سواه، وقدر من ذلك مطلوب لتحصيل المصلحة.

٢- أن خروج المفتين في الفضائيات يضطر الناس إلى المحرم، وهو اقتناء الأجهزة الخاصة بها، ومشاهدة النساء صور الرجال؛ ويجاب عنه: بأنه قد عُلم لكل أحد أنه قلّ بيت إلا ودخلته هذه الأجهزة، والقول بغير هذا مجازفة، وأن مصلحة هذه البرامج غالبة على مفسدتها.

٣- أن هذه الوسائل وضعت لتفضي إلى محرم، وليس لمباح.

٤- ظهور المرأة سافرة فيها.

٥- عدم اشتمال برامجها على هدف سامٍ يحض على القيم؛ فينطبق عليها قول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام:٦٨]؛ وتندرج تحت قوله ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بالله وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يَجْلِسْ عَلَى مَائِدَةٍ يُدَارُ عَلَيْهَا بِالخَمْرِ»[١].

٦- ظهور بعض الدعاة فيها هو من قبيل الحق القليل في الباطل الكثير؛ فهو سخرية بالدين، وتقليل من شأنه.

---

(١) رواه الترمذي، باب ما جاء في دخول الحمام، (٢٨٠١) وقال: حديث حسن غريب، وحسنه الشيخ الألباني...

٧- ظهور الدعاة فيها يعطيها صبغة شرعية. وسيكون الرد على هذه الأدلة إجمالاً في أدلة المجوزين.

القول الثاني: الجواز:

وأدلتهم ومن ضمنها جوابهم على حجج المانعين ما يأتي:

١- القول بالتحريم لا يسلم به؛ لأنه من باب تحريم الوسائل لا المقاصد، والوسائل تباح لمصلحة راجحة، قال ابن القيم(١): وما حُرِّم سدًّا للذريعة أُبيح للمصلحة الراجحة، كما أبيحت العرايا من رِبا الفضل، وكما أبيحت ذوات الأسباب من الصلاة بعد الفجر والعصر، وكما أبيح النظر للخاطب والشاهد والطبيب والمعامل من جملة النظر المحرم.

٢-قد تكون وسيلة المحرم غير محرمة إذا أفضت إلى مصلحة راجحة، كالتوسل إلى فداء الأسرى بدفع المال للكفار الذي هو محرم عليهم الانتفاع به بناءً على أنهم مخاطبون بفروع الشريعة عندنا، وكدفع مال لرجل يأكله حرامًا حتى لا يزني بامرأة إذا عجز عن دفعه عنها إلا بذلك. ووسائل الإعلام من هذا الباب(٢).

٣- المشهور من سيرة النبي ﷺ حضور مواسم الجاهلية على ما فيها من سخرية بالدين وشرك وغيره، تبليغًا للحق، وهو واقع وسائل الإعلام الآن، ومزاحمة أهل الحق لأهل الباطل من هذا القبيل.

٤- ما جاء عن عروة بن الزبير، أن أسامة بن زيد رضي الله عنهما «أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ رَكِبَ عَلَى حِمَارٍ عَلَيْهِ قَطِيفَةٌ فَدَكِيَّةٌ وَأُسَامَةُ وَرَاءَهُ، يَعُودُ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ فِي بَنِي حَارِثِ بْنِ الخَزْرَجِ قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ، فَسَارَا حَتَّى مَرَّا بِمَجْلِسٍ فِيهِ عَبْدُ الله بْنُ أُبَيِ ابْنُ سَلُول، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ عَبْدُ الله بْنُ أُبَيٍّ، فَإِذَا فِي المَجْلِسِ أَخْلاَطٌ مِنَ المُسْلِمِينَ

(١) في كتابه القيم: إعلام الموقعين ٢/ ٢٤٨.

(٢) ينظر الفروق (ج٣/ ص٤٧).

وَالْمُشْرِكِينَ عَبَدَةِ الأَوْثَانِ وَاليَهُودِ، وَفِي الْمُسْلِمِينَ عَبْدُ الله بْنُ رَوَاحَةَ»[1]؛ فإن جاز مخالطة المشركين مع ما يصاحبها من الباطل والسخرية فالمشاركة في تلك الوسائل أولى.

٥- ظهور الدعاة والمعنيين في تلك الوسائل هو تقديم للإسلام بصورته العالمية.

٦- أن كل مذهب ونِحلة تتبارى مع الأخرى في تجلية نفسها، وعرض ما لديها أمام الناس، ونكول أهل الفقه عن ذلك ليس في محله؛ فهم أولى الناس بميدان الفضائيات.

٧- الإفتاء في محافل الفضائيات يشبه إلى حد كبير الإفتاء في المحافل العامة قديمًا، والتي كان السلف يعقدون لها المجالس العامة تعليمًا وإفتاءً.

٨- أن القول بقاعدة سد الذرائع لن يطبقه إلا المخلصون من العلماء، وسيترك الميدان للمبتدعة وأصحاب الأهواء.

٩- أن معظم من يبحث المسألة ينظر إلى المفاسد العائدة على أفراد الأمة وآحادها دون النظر لمصلحة عموم الأدلة.

وبعد ذلك يرى الدكتور سلمان العودة جواز مشاركة أهل العلم في تلك الوسائل، مع محاولة جلب المصالح وتكميلها، ودرء المفاسد وتقليلها؛ والأمر أقرب إلى تعيّن الوجوب على المتأهلين القادرين، إضافة إلى أن الكثير من القنوات والإذاعات غلب عليها مادة رديئة؛ بسبب ضعف المادة النافعة، أو عدم وجود من يقدمها بمهنية واحتراف وذكاء، فضلاً عن ميل المتلقين للهزل والترفيه، ورغبتهم عن المواد الجادة.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، ٤/ ١٦٦٤، حديث رقم ٤٢٩٠.

ونرى أنَّ هذه معالجة جزئية لجانب من جوانب الدعوة، وتتفاوت نسبة المصلحة والمفسدة تبعاً للمشاركين في هذه الوسائل، وتبعاً للسياسة الإعلامية التي ينتهجها القائمون على هذه الوسائل، ولذا فإن مقومات الوسطية في هذه المسألة تقتضي أن لا يترك هذا الأمر لخيارات الدعاة ورغباتهم (سواء المتشدد منهم أو المتساهل إلى حد التسويف)، ولا لرغبات القائمين على تلك الوسائل بطبيعة الحال، وإنما لا بد من جهة تكون بمثابة مرجعية تحدد طبيعة المشاركة وأهلية المشاركين، ومآلات هذه المشاركات، ولاسيما فيما يتعلق بالتأثير المترتب على المتلقين، ولذا يحذر الدكتور عبد القادر طاش من خطورة الأمراض التي تتركها هذه الوسائل في نفسية المتلقين: فهذا النشاط الإعلامي المعاصر يعاني من أمراض خطيرة، حيث تجد الازدواجية والتناقض في الوسيلة الواحدة إضافة إلى وجودهما في الوسائل المتعددة، حيث تستمع إلى برنامج (ديني) يحث على الفضيلة، فيعقبه مباشرة برنامج آخر يغري بالرذيلة، أو أغنية ماجنة تزين السقوط بصورة مشوقة!! وتشاهد في التلفاز برنامجاً (دينياً) يبنى في نفوس المشاهدين معاني الرجولة والصلاح والخير، ثم لا تلبث أن تصدم في الوسيلة نفسها بفيلم مثير، ينقض كل ما بناه البرنامج (الديني) ويهدمه!! والأنكى من ذلك أن يقدم البرنامج (الديني) في أسلوب جاف وإخراج رتيب، فلا يجذب المشاهد ولا يحوز على رضاه، بينما يخدم الفيلم غير الديني خدمة فائقة، فيقبل عليه الصغار والكبار، ويتحلق حوله الشباب والشابات في رغبةٍ وحماس[1].

خامسا: مقومات النظرة إلى الآخر:

يمكن أن نحدد مسائل اعتمدتها وسطية الإسلام في النظر إلى الآخر ومنها:

١- **الآخر معتبر ولا يمكن إلغاؤه:** فلا يتصور عاقل فضلاً عن الداعية والخطيب، أنه لوحده في الساحة، ليس له منازع في دعوته ورسالته، أو ليس هنالك

(١) إضاءات حول الإعلام الإسلامي للدكتور عبد القادر طاش دراسة ضمن كتاب مقالات في الدعوة والإعلام.

آخرون يخالفونه وهم هدف لرسالته في الحرص على هدايتهم ودلهم على الحق، وصرفهم عن الباطل الذي يتلبسهم.

٢- **الآخر ليس واحداً**: من يتابع الخطاب الإسلامي في الخطب والحوارات الإعلامية يجد في أغلبها أن الإسلاميين في نظرتهم إلى الآخرين أحد اثنين:

الأول: الذي جعل الآخر واحداً، فأصدر عليه حكماً واحداً ووجه إليه خطاباً واحداً من غير تمييز أو تفريق، وعادة يطلق عليه أشد الأوصاف أو يجمعها كلها فيه، ويلحق بالآخر أكثر المسلمين لآي ذنب يرتكبونه أو معصية يقترفونها، فالثنائية (إما معي أو ضدي) ليست من الإسلام فالمسلمون فرق ومذاهب، وغير المسلمين ملل ونحل وأهل كتاب ومن لا كتاب لهم ولا دين.

والثاني: الذي يرى التمايز في الآخر، لكنه يغلب على أكثرهم صفة الأخوة أو الصداقة، أو المحبة؛ حتى وصل بهم الأمر بحذف أكثر الأحكام المتعلقة بالآخر من الكفر والإلحاد والشرك والردة وغيرها، يقول د. الدسوقي: والشيء الغريب أن كثيرًا من المنادين بالحوار أو التوجه نحو الآخر من المسلمين قد تنازلوا متطوعين أو مأجورين؛ فدعوا إلى إحداث تغييرات في الشريعة وفي الفقه الإسلامي، وإعادة صياغة الشريعة والفقه على أسس غربية، ويؤكد الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد: أن دور الداعية في مواجهة الآخر يستدعي يقظة الداعية الشديدة، باعتبار أن حوار الحضارات أو الأديان ومعظم ما يقال عنها مؤامرات يهودية يقصد بها استدراج المسلمين لتمييع مواقفهم الصارمة من انحرافات أصحاب العقائد والكتب السابقة[(١)].

---

(١) الحوار مع الذات، مجموعة باحثين ص ٣٢٧.

وكلا الطرفين جانب الصواب، وابتعد عن وسطية الإسلام في النظر إلى الآخر[1]، فالآخر ليس واحداً، وهم ليسوا سواء، ولكل ملة وفرقة حكمها في الشرع وضوابط للتعامل أو التواصل معها، يقول الله تعالى: ﴿ ۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [آل عمران:١١٣]، وقوله تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الممتحنة:٨-٩].

٣- **اجعل الآخر يشعر بأهميته**: إن الرغبة في الشعور بالأهمية هي إحدى المميزات التي تفرق بين الإنسان وغيره من الكائنات، فعلينا محاولة اكتشاف مزايا الطرف الآخر، ومنح الثناء المخلص والصادق له، عندئذ سيحفظ الناس كلماتك وأفكارك، وستبقى خالدة في أذهانهم، لأنك بهذا تجعلهم يشعرون بأهميتهم، وتكون النتيجة أنهم سيستمعون إليك لأنك تحدثهم عن أنفسهم ومكانتهم، وهذا يفتح أمامك الباب الذهبي لقلوبهم وعقولهم[2]، ومن ورائهم، ولذا نجد النبي ﷺ يفتتح كتابه إلى الملوك والزعماء بذكر مكانتهم بين قومهم: إلى هرقل عظيم الروم... إلى كسرى عظيم الفرس وهكذا.

٤- **الموضوع قبل الشخص**: الخطاب وفق المنهج القرآني لا ينطلق من منطق الوصاية على الآخر، إنما هي قضية بحث عن الحق أينما كان، وهذا لا يعني أن

---

(١) وقد فصل فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي بعض مظاهر التطرف في الخطاب، منها: التعصب للرأي وعدم الاعتراف بالرأي الآخر، وإلزام جمهور الناس بما لم يلزمهم الله به، والتشديد في غير محله، والغلظة في التعامل والخشونة في الأسلوب والفظاظة في الدعوة، وسوء الظن بالناس والنظر إليهم من خلال منظار أسود، والغرور بالنفس وازدراء الآخرين، السقوط في هاوية التكفير، ينظر الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، ص ٢٧ وما بعدها).

(٢) مهارات الاتصال، د. محمد منير حجاب، ص ١١٥.

المسلم عندما يخاطب الآخرين أو يدخل في حوار معهم قد تخلى عن تصوراته، إنما الموضوعية تتجلى في الاستعداد التام للتخلي عن جميع التصورات وتبني نقيضها إذا اتضح أن الحق مع الرأي الآخر، وهذا الاستعداد ليس مجاملة إنما هو تعهد يعبر عن مصداقية المسلم في اتباع الحق، وهو تكليف آلهي صريح في محاورة الآخر[1]، يقول الله تعالى على لسان نبيه: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [الزخرف:٨١]؛ يقول الإمام الشافعي: ما ناظرت أحداً فقبل مني الحجة إلا عظم في عيني، ولا ردها إلا سقط في عيني، وعنه: قولي صواب يحتمل الخطأ، وقول غيري خطأ يحتمل الصواب[2].

فالوسطية والموضوعية تقتضي أن نركز على الموضوع الذي نناقشه، ولا نلتفت إلى شخص الذي نخاطبه، وإن كان الإسلام يحث أتباعه على المزاوجة بين أقوالهم وأفعالهم، وأن يوافق ظاهرهم سرائرهم، وينهاهم عن الازدواجية في الشخصية، يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف:٢-٣]، أما في الخطاب فإنه يدور حول الموضوع إلا إذا كان الأمر الشخصي يتعلق بموضوع الحوار أو أن للآخر مواقف وآراء تناقض أقواله في الحوار، أو أراد بكلامه التقية سواء العقدية أو السياسية فهذه يمكن الاستشهاد بها بما يضعف حجة الآخر.

ومن مقتضيات هذا المبدأ التركيز على موضوع الحوار وعدم التشعب بالرد على الشخص، ومن ثم إلزام المحاور بما يقر في التقييم الشخصي، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: بَلَغَ عَبْدَ الله بْنَ سَلاَمٍ مَقْدَمُ رَسُولِ الله ﷺ المدِينَةَ، فَأَتَاهُ، فَقَالَ: إِنِّي

(١) (دراسة للدكتور مبارك الهاشمي بعنوان جذور التفكير الحواري في الثقافة العربية، ينظر الحوار مع الذات ٢٠٣).

(٢) وسطية الإسلام ودعوته إلى الحوار، د.عبد الرب نواب الدين، ص ٢٨، النسخة الالكترونية، موقع الإسلام: http://www.al-islam.com.

سَائِلُكَ عَنْ ثَلاَثٍ لاَ يَعْلَمُهُنَّ إِلاَّ نَبِيٌّ، قَالَ: مَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟ وَمَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الجَنَّةِ؟ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ الوَلَدُ إلى أَبِيهِ؟ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ إِلى أَخْوَالِهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: خَبَّرَنِي بِهِنَّ آنِفًا جِبْرِيلُ. قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ الله: ذَاكَ عَدُوُّ اليَهُودِ مِنَ الملاَئِكَةِ.

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ المشْرِقِ إلى المغْرِبِ، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الجَنَّةِ، فَزِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ، وَأَمَّا الشَّبَهُ فِي الوَلَدِ، فإن الرَّجُلَ إذا غَشِيَ المرْأَةَ فَسَبَقَهَا مَاؤُهُ كَانَ الشَّبَهُ لَهُ، وَإِذَا سَبَقَ مَاؤُهَا كَانَ الشَّبَهُ لَهَا، قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ الله، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ اليَهُودَ قَوْمٌ بُهُتٌ، إِنْ عَلِمُوا بِإسلامي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ بَهَتُونِي عِنْدَكَ.

فَجَاءَتِ اليَهُودُ وَدَخَلَ عَبْدُ الله البَيْتَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: أَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ الله بْنُ سَلاَمٍ؟ قَالُوا: أَعْلَمُنَا وَابْنُ أَعْلَمِنَا، وَأَخْيرُنَا وَابْنُ أَخْيَرِنَا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ الله؟ قَالُوا: أَعَاذَهُ الله مِنْ ذَلِكَ، فَخَرَجَ عَبْدُ الله إِلَيْهِمْ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، فَقَالُوا: شَرُّنَا وَابْنُ شَرِّنَا، وَوَقَعُوا فِيهِ»(1).

في هذا الحديث نجد أنّ الرسول ﷺ أحسن الاستماع والإنصات لعبد الله بن سلام، ولم ينشغل بالرد على قوله عن جبريل: (ذلك عدو اليهود من الملائكة)، بل قدم الإجابة على الأسئلة الثلاثة، وركز على صلب موضوع الحوار، ولم يخرج إلى موضوع جانبي، ليكون بعد ذلك وقع الحوار على عبد الله إعلان إسلامه.

فتشعب الحوار والدخول في أمر فرعية بعيدة عن موضوع المحاورة، تجعل الحوار عائماً لا زمام له، سائباً لا ينتهي إلى نتيجة، واستمراره بهذه الطريقة يعتبر تبديداً للجهد وإضاعة للوقت، إلا أن الجانب الشخصي يعتبر عند الاستدلال بلازم

(1) رواه البخاري: ح٣١٥١.

كلام الطرف الآخر، فقد سألهم ﷺ عن عبد الله بن سلام، قبل أن يعرض عليهم الإسلام، فأقروا بعلمه وأفضليته وقربه منهم، ثم أبلغهم بعد ذلك بإسلامه، ليبدأ حواره معهم من نقطة الاتفاق وهي إقرارهم بأفضلية عبد الله بن سلام، الذي أسلم بعد حواره مع النبي ﷺ، إلا أن اليهود أهل بهت كما وصفهم عبد الله بن سلام فسرعان ما وقعوا في فيه وتبرؤوا منه وذموه[1].

٥- **تفهمْ آراء الآخرين وادعمْ الجوانب الإيجابية:** عندما تحاور الآخرين وتناقشهم، ومهما كنت على صواب فلا تقل للآخر إنه مخطئ، لأنه لن يقرك على ذلك، وإنما قل له: إنني أرى رأياً آخر، ولكنني قد أكون مخطئاً، فاذا كنت مخطئاً فإني أحب أن تصحح لي خطئي، فمثل هذه العبارة توقف كل جدال، وتبعث في المستمع روح العدل والإنصاف، فيحاول أن يتخذ الموقف نفسه الذي اتخذته، ويسلم بأنه هو الآخر قد يكون مخطئاً.

كما أن عليه أن يدعم الجوانب الايجابية في أقوال الآخرين وتصرفاتهم، ليدعم عملية الاقناع، وعليه ألا يشعر الطرف الآخر أن الهدف الرئيس هو إثبات خطأ رأيه وفساد تصرفه، فمثلاً يقول له: إن رأيك له وجاهته ولكن قد يكون الأفضل كذا، وأن تصرفك جيد، وكان يمكن تحسينه عن طريق القيام بكذا[2].

واحرص أن توجه للآخر أسئلة بدلاً من إلقاء الأوامر، لأنها بطبيعتها منفرة، بخلاف الأسئلة فلها سحر لا يقاوم.

٦- **أنت من تخاطب؟** من الأسئلة المهمة التي ينبغي أن يضعها الداعية الإسلامي أمامه لاسيما في وسائل الإعلام الجماهيرية؛ إلى من توجه خطابك، ومن تستهدف في حوارك، هل من تحاوره ويحاورك فقط أم النخبة التي تتابع أم الجمهور الذي يشاهد أو يسمع؟

---

(١) الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية. أحمد الصويان، دار الوطن، ط/١، لسنة ١٤١٣هـ، ص٦٤، والخطاب الإسلامي في عصر الإعلام والمعلوماتية، ص ٥٨.

(٢) مهارات الاتصال، ص ١١٦.

ونرى في الوسائل الجماهيرية أن تكون نسبة من يوجه إليه الخطاب كالآتي:

- ٥٠ ٪ للآخر الذي تحاوره.
- ٢٥٪ للنخبة ومنهم المقدم وعادة تحسب هاتين النسبتين للنخبة كونهم لا يقلون عن الآخر في الحوار فلهم حصة المواقف.
- ٢٥٪ للجمهور الذي يشاهد فله حصة العواطف في الحوار.

وهكذا نرى أن نسبة ما تبنى عليه المواقف تصل إلى ٧٥٪ وما تبنى عليه العواطف ٢٥٪،

عن عُمَر بْن الخَطّاب قَالَ: (بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُول الله ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشّعَرِ، لاَ يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السّفَرِ، وَلاَ يَعْرِفُهُ مِنّا أَحَدٌ، حَتّى جَلَسَ إلى رَسُولِ الله ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إلى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، ثُمّ قَالَ: يَا مُحَمّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإسلام، قَالَ: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إلَهَ إلاّ الله وَأَنّ مُحَمّداً رَسُولُ الله، وَتُقِيمَ الصّلاَةَ، وَتُؤتِيَ الزّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجّ البَيْتَ إنِ اسْتَطَعْتَ إلَيْهِ سَبِيلاً. قَالَ: صَدَقْتَ، فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدّقُهُ، ثُمّ قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ، قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بالله، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَالقَدَرِ كُلّهِ خَيْرِهِ وَشَرّهِ، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ، قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنّكَ تَرَاهُ، فإن لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنّهُ يَرَاكَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السّاعَةِ، قَالَ: مَا المَسْؤولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ بِهَا مِنَ السّائِلِ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا، قَالَ: أَنْ تَلِدَ الأمة رَبّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الحُفَاةَ العُرَاةَ العَالَةَ رِعَاءَ الشّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي البُنْيَانِ، قَالَ عُمَرُ: فَلَبِثْتُ مَلِيّاً، ثُمّ قَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ: يَا عُمَرُ هَلْ تَدْرِي مَنِ السّائِلُ؟ قُلْتُ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنّهُ جِبْرِيل عليه السلام أَتَاكُمْ لِيُعَلّمَكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ)[١]، فلو تأملنا هذا الحديث؛ لوجدنا هذا الحوار الذي حضره نخبة من كبار الصحابة ومن البسطاء، بدأ بمسألة سلوكية، ثم أعطى ٦ مسائل في الاعتقاد (أركان الإيمان) و٥ في المسائل

---

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه، الحديث رقم (٨).

العملية الفقهية (أركان الإسلام) ومسألة واحدة في السلوك الآني (الإحسان) ومسألة عن الموقف من الساعة، ومسألتين عن أمور مستقبلية مرتبطة بالسلوك، فهنالك ١٢ مسألة فيها مواقف و٤ فيها عواطف.

سادسا: مقومات اخلاقيات الخطاب الإعلامي:

من يتابع الحوارات الإعلامية يجد أكثرها إما عبارة عن مساجلات ومهاترات تنتهك فيها المعايير الأخلاقية سواء للمتحاورين أو للمتلقين، أو عبارة عن مداهنات ومجاملات وابتسامات، وإن انتهكت الحرمات، وطُعِن في المقدسات، وأسيئ إلى رموزنا الإسلامية، سواء الذات الإلهية أو القرآن الكريم أو شخص الرسول ﷺ، نزولاً إلى سائر شعائر الإسلام، فضلاً عن الخداع والأكاذيب والعبارات النابية والتصرفات المشينة.

ووسطية الإسلام تنظر إلى الإعلام على أنه رسالة ومهنية، وأخلاقيات تضم مجموعة المبادئ والقيم التي تضبط التزام الإعلاميين (أفرادا ومؤسسات) بالسلوك الحسن، سواء في شخصيتهم أو في عملهم الإعلامي، وتحدد المسؤولية الأخلاقية للإعلام نحو الإسلام والأمة والإنسانية والمجتمع والمهنة، وترسم إجراءات تفعيلها[(١)]. ويمكن تشخيص وسطية الإسلام في التعامل الأخلاقي في المشاركات الإعلامية من خلال الآتي:

١- **استعمال الكلمات المهذبة، ولين الكلام**: فالإسلام حذر أتباعه من إيراد الكلمات النابية والعبارات المشينة، ونهاهم عن السب والتشهير عموماً، ومع الخصوم المسيئين خصوصاً، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام:١٠٨].

---

(١) ينظر كتابنا المسؤولية الأخلاقية للإعلام الإسلامي، عمان، دار النفائس ودار الفجر، ط١/٢٠١٣، ٤٧.

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ [النحل:١٢٥].

ويقول رسول الله ﷺ: «إياكم والفحش والتفحش، فإن الله لا يحب الفاحش المتفحش»[(١)].

ويقول ﷺ: «ليس المؤمن بالطعان، ولا اللعان، ولا الفاحش، ولا البذيء»[(٢)]، فالكلمات الهدّامة لا تبقي مجالاً للحوار ولجسوره بل تنسفها نسفاً.

كما أرشدنا سبحانه أن نستعمل في حواراتنا وخطابنا أحسن الكلام وألينه، لأنّه يعمّق العلاقة النفسية والفكرية مع محاورك، ويشد إليك من تخاطبه، أو من يتابع، ولذا فإن الله سبحانه وتعالى حينما طلب من موسى وهارون (عليهما السلام) أن يحاورا الطاغية فرعون، قال لهما: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه:٤٣-٤٤].

فالكلمات الحسنة لها تأثير على الآخرين تصل حد الإذعان والتسليم بل المودة والمحبة ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴾ [فصلت:٣٣-٣٤]، أما الكلمات الجافة والقاسية فإنها توصد أبواب الاستجابة، وتغلق طريق الحوار، وتنفر الآخرين عنك ولو أيقنت بصدق دعواك، يقول الله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ ﴾ [آل عمران:١٥٩].

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك، ٤/ ٥٥٩ (٨٥٦٦) وقال:هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه، وقال الذهبي في التلخيص: صحيح، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، دار الصدّيق، ط١: ١٤٢١هـ، ص ١٩١.

(٢) أخرجه البخاري في الادب المفرد، وصححه الشيخ الالباني في صحيح الادب المفرد ص١٣٢، (٣١٢).

ويتطلب الخطاب البدء بالقضايا المشتركة؛ لتتوطد أسباب التواصل وتتعمق في الوعي والسلوك المبادئ المشتركة، على أن الحوار يبدأ من المشترك ليعالج المختلف فيه دون الاكتفاء بالمشتركات، وإلا كان ترسيخ مبادئ متفق عليها يقول الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران:٦٤].

وليس معنى استخدام لين الكلام، إغفال الحقائق وإهمال الوقائع، لأنها قد تؤذي الآخرين، وتنفر بعض المحاورين أو المخاطبين.

٢- **حسن الإنصات**: على المسلم الذي يتصدر للخطاب في الحوار الإعلامي أن يحسن الإنصات والاستماع إلى من يخاطبه أو يحاوره؛ ليستوعب ما يريد طرحه، وكذلك لإلزامه بعدم مقاطعته، وللحفاظ على وقت كل محاور، ولتتسلسل الأفكار والعبارات.

يقول الله تعالى: ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾﴾ [طه:١٣]؛ وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: قال الملأ من قريش وأبو جهل قد التبس علينا أمر محمد، فلو التمستم رجلاً عالماً بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ثم آتانا ببيان من أمره؛ فقال عتبة ابن ربيعة: والله لقد سمعت الكهانة والشعر والسحر، وعلمت من ذلك علماً لا يخفى علي إن كان كذلك. فقالوا: إيته فحدثه. فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: يا محمد أنت خير أم قصي بن كلاب؟ أنت خير أم هاشم؟ أنت خير أم عبدالمطلب؟ أنت خير أم عبدالله؟ فبم تشتم آلهتنا، وتضلل آباءنا، وتسفه أحلامنا، وتذم ديننا؟ فإن كنت إنما تريد الرياسة عقدنا إليك ألويتنا فكنت رئيسنا ما بقيت، وإن كنت تريد الباءة زوجناك عشر نساء من أي بنات قريش شئت، وإن كنت تريد المال جمعنا لك ما تستغني به أنت وعقبك من بعدك، وإن كان هذا الذي يأتيك رِئياً من الجن قد غلب عليك بذلنا لك أموالنا في طلب ما تتداوى به أو نغلب فيك. والنبي صلى الله عليه وسلم ساكت، فلما فرغ قال: (قد فرغت يا أبا الوليد)؟ قال: نعم. فقال: (يا ابن أخي اسمع) قال: أسمع. قال:

«بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣﴾ [فصلت:١-٣] إلى قوله: ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ ۝١٣﴾ [فصلت:١٣] فوثب عتبة ووضع يده على فم النبي ﷺ، وناشده الله والرحم ليسكتن، ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قريش فجاءه أبو جهل؛ فقال: أصبوت إلى محمد؟ أم أعجبك طعامه؟ فغضب عتبة، وأقسم ألا يكلم محمداً أبداً، ثم قال: والله لقد تعلمون أني من أكثر قريش مالاً، ولكني لما قصصت عليه القصة أجابني بشيء، والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر؛ ثم تلا عليهم ما سمع منه إلى قوله: ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ ۝١٣﴾ [فصلت:١٣]؛ وأمسكت بفيه وناشدته بالرحم أن يكف، وقد علمتم أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب، فوالله لقد خفت أن ينزل بكم العذاب؛ يعني الصاعقة[(١)]. فلنتمعن في أدب النبي ﷺ إذ لم يبدأ كلامه حتى انتهى خصمه، وأكده ﷺ بسؤاله عن ذلك، ثم استأنف رده عليه.

يقول ابن عباس رضي الله عنهما: لجليسي عليّ ثلاث: أرمي بطرفي إذا أقبل، وأوسع له إذا جلس، وأصغي إليه إذا حدث. وهي علامات تدل على رغبة الاستماع عند طرفي الخطاب وعملية الاتصال[(٢)].

يقول ابن المقفع: تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام، ومن حسن الاستماع إمهال المتكلم حتى ينقضي حديثه، وقلة التلفت إلى الجواب، والإقبال بالوجه، والنظر إلى المتكلم، والوعي لما يقول. ويقول ابن عقيل في كتابه فن الجدل: وليتناوبا الكلام مناوبة لا مناهبة، بحيث ينصت المعترض للمستدل حتى يفرغ من تقريره للدليل، ثم المستدل للمعترض حتى يقرر اعتراضه، ولا يقطع أحد منها على الآخر كلامه وإن فهم مقصوده من بعضه[(٣)].

---

(١) الجامع لأحكام القران للقرطبي ١٥/ ٣٣٨-٣٣٩.

(٢) مهارات الاتصال، د. محمد منير حجاب، ص ٢٧.

(٣) فن الحوار والإقناع ص٢٨ و٣٠.

وحتى تحقق عملية الإنصات والاستماع غايتها للقائم بالخطاب، فإن هنالك مقومات تتعلق بقدراته الأساسية وملكته الذاتية في التلقي، منها:

- القدرة على فهم اللغة الشفهية للحديث وتمييز الأفكار الرئيسة.
- القدرة على تحديد التفاصيل الفرعية.
- تمييز العلاقات الواضحة بين الأفكار.
- القدرة على استدعاء واسترجاع الأفكار والتفاصيل الرئيسة.

وأخرى مهارات مرتبطة بجلسة الاستماع والقدرة على احتوائها، ومن أبرز مقومات نجاحها:

- الانتباه وسعة الأفق.
- إدراك هدف المتحدث.
- التمييز بين جمل الحقيقة والرأي.
- التمييز بين البراهين المنطقية والعاطفية.
- ملاحظة مدى الحياد والانحياز للمتحدث.
- تمييز إتجاه المتحدث.
- تمييز التناقضات بين الرسائل الشفهية وغير الشفهية (لغة الجسد) للمتحدث.
- استخدام الأسلوب الأمثل للاستماع[(١)].

مما سبق نلاحظ أن مهارات الاستماع من المقومات الاساسية لنجاح عملية الخطاب والحوار والتواصل مع الآخرين، وأنها تحتاج إلى تدريب وتنمية وإرادة وجهد كبير لتحصيل أساليبها، وللتخلص من عادات الاستماع السيئة، كما أنها

(١) مهارات الاتصال، د. محمد منير حجاب، ص٣٨، وهذه المقومات اعتمدتها جمعية الاتصال الخطابي الأمريكية في اجتماعها السنوي لعام ١٩٨٤.

ترتبط برغبة الداعية والقائم بالخطاب في التعبير عن رسالته وقضيته، وبالمقابل إعطاء فرصة للآخرين في حق التعبير عن أفكارهم ورسالتهم.

إتقان لغة من يخاطب أو يحاور:

عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَ: أَمَرَنِي رَسُولُ الله ﷺ أَنْ أَتَعَلَّمَ لَهُ كَلِمَاتٍ مِنْ كِتَابِ يَهُودَ؛ قَالَ: إِنِّي والله مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابٍ، قَالَ: فَمَا مَرَّ بِي نِصْفُ شَهْرٍ حَتَّى تَعَلَّمْتُهُ لَهُ، قَالَ: فَلَمَّا تَعَلَّمْتُهُ كَانَ إذا كَتَبَ إلى يَهُودَ كَتَبْتُ إِلَيْهِمْ، وَإِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ قَرَأْتُ لَهُ كِتَابَهُمْ»[1]، فالحديث يبين أن النبي ﷺ كان لا يأمن اليهود على ترجمتهم للرسائل المكتوبة بلغتهم، سواء التي ترد منهم إليه، أو التي يرسلها النبي ﷺ إلى زعمائهم فيتولون ترجمتها هم، وكان خوفه ﷺ من أن يزيدوا فيها أو ينقصوا منها أو يبدلّوا فيها.

فأمر ﷺ زيد بن ثابت رضي الله عنه تعلم لغة اليهود ليتولى ترجمة الكتب التي ترد إلى النبي ﷺ من اليهود، أو التي تصدر منه إليهم، فتعلمها زيد رضي الله عنه وأتقنها بنصف شهر، وبدأ يترجم ما يصل إلى النبي ﷺ، وكذلك يكتب رسائل النبي ﷺ إليهم[2].

ومن هذا الهدي نستنبط مسائل تتعلق بلغة الخطاب في التحاور مع الآخرين ومنها:

تعلم اللغة يجعل الحوار متكافئاً، فاللغة تعد وسيلة من وسائل الاتصال، وإن الإلمام بها يفسح المجال أمام الحوار المتكافئ بصورة ندية، ولا شك في أن إتقان لغة المقابل وسيلة تقرّب المتحاورين بعضهم من بعض، وتسهم في كسر الحاجز النفسي بين المتحاورين، وتوجد حالة من الألفة والتقبل للآخر.

(١) الترمذي (ح٢٧١٥)؛ وقال: حسن صحيح، وقال الألباني: حسن صحيح، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي. محمد عبد الرحمن المباركفوري، بيروت، دار الكتب العلمية ٧/ ٤١٣.

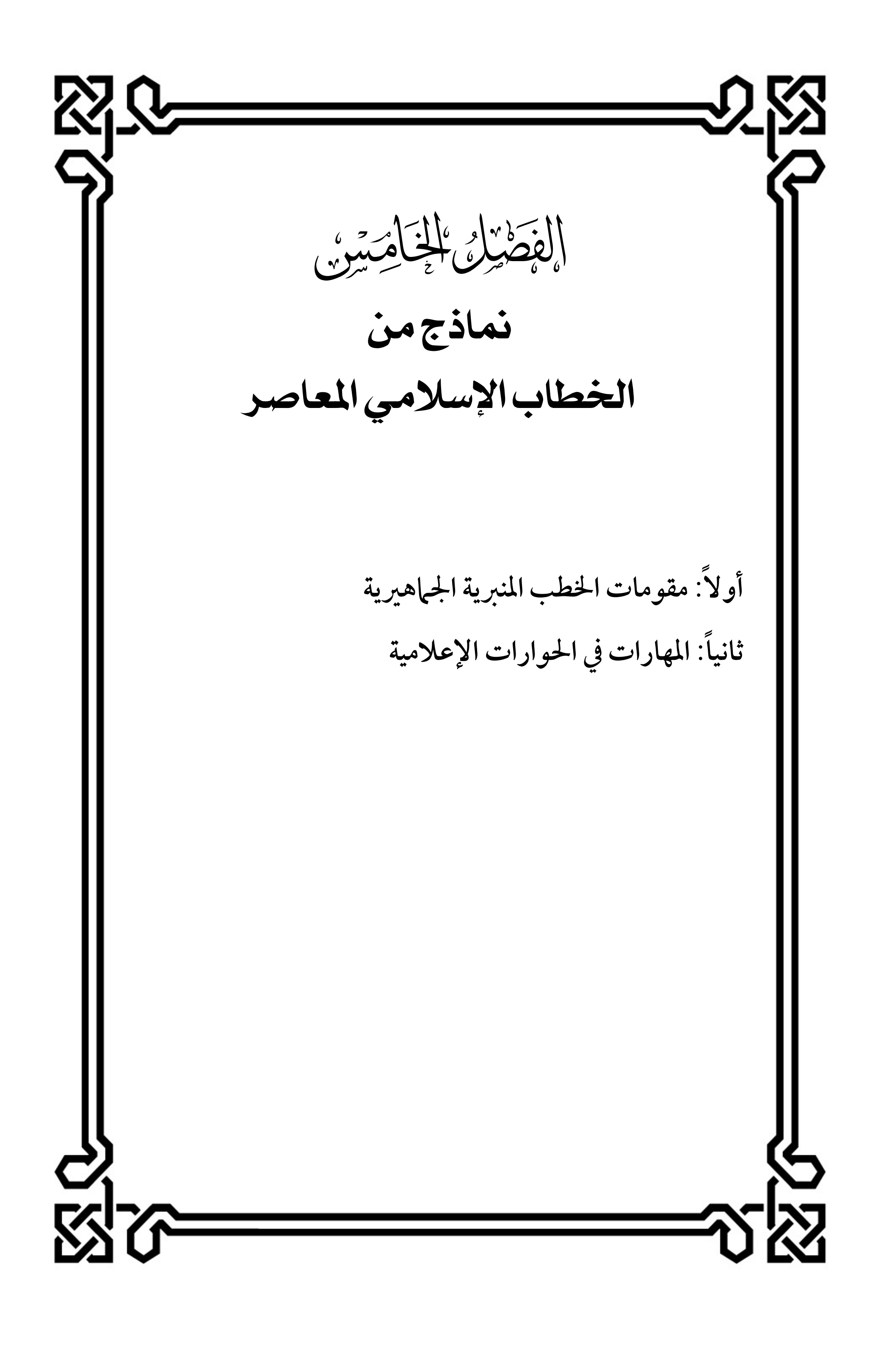
وإن تعلم لغة شعب تعني فهم ثقافته وتاريخه وطريقة تفكيره ونظرته للحياة كما يعني أيضاً (في حالة كونه عدواً) التعرف على نقاط ضعفه، وكيفية استغلالها وتوظيفها في المعركة ضده، وكذلك توقي شره، وكما قيل: من تعلم لغة قوم أمن مكرهم.

وعموماً إن تعلم اللغات بشكل عام هو أمر مفيد جداً يساعد في إيصال أفكارنا إلى الآخرين كما نستطيع من خلاله مخاطبة العالم.

ويتبين لنا أيضاً أنه ينبغي للمسلمين أن يهيئوا للحوار أسبابه ووسائله، ومن أهمها، معرفة لغات الأمم والأقوام الذين يقومون بحوارهم ودعوتهم إلى الإسلام، وتعريفهم بمبادئه وأحكامه[1].

---

(١) فقه السيرة. د. محمد سعيد رمضان البوطي- دار الفكر- ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م: ٣٤٥، الخطاب الإسلامي في عصر الإعلام والمعلوماتية، ص ٣٨.



الفَصْلُ الخَامِسُ

نماذج من الخطاب الإسلامي المعاصر

أولاً: مقومات الخطب المنبرية الجماهيرية

ثانياً: المهارات في الحوارات الإعلامية

الفصل الخامس

نماذج من
الخطاب الإسلامي المعاصر

سنبحث في هذا الفصل مقومات الخطاب الإسلامي في أنموذجين لهما تأثيرهما على الساحة الدعوية والإعلامية، وهما الخطبة المنبرية، والحوارات الإعلامية.

أولا: مقومات الخطب المنبرية الجماهيرية:

تعد الخطبة وسيلة الأنبياء في أداء رسالتهم في إبلاغ العالمين وهدايتهم، وهي بلا شك من أهم وسائل الدعوة والتبليغ في الإسلام، ولها الأولوية في الظهور والتأثير، إذ بدأت الدعوة العلنية لرسول الله ﷺ بخطبة شاملة جامعة عم فيها وخص، وكان ﷺ يخطب في أصحابه في الجمع والعيدين والكسوفين والاستسقاء والمناسك، وما من موقف أو مناسبة أو فرصة تمر بمجتمع المدينة إلا كانت للنبي ﷺ خطبة تناسبها ومواعظ تتعلق بها، وهكذا فعل الخلفاء والعلماء والدعاة من بعده.

ولذا فإن الخطابة نالت منزلة عظيمة، فهي من أهم طرق المعرفة الإنسانية، وهي مظهر من مظاهر الحرية والفروسية، وسبيل من سبل الإقناع والتأثير، ولها دور هام في إثارة الحماسة الفاصلة وبها تستثار العواطف، وتؤجج المشاعر للجهاد والتضحية والفداء، والبذل والعطاء، لإنقاذ الأمة في المواقف الحرجة والخطيرة، وبها تُهدأ النفوس الثائرة، وتخمد الفتن الناشبة، فكم من خطيب أصلح بين حيين بحسن بيانه، وأخمد أوار فتنة بحكمته وثبات جنانه، وشد من أزر قومه عند الملمات، ورفع هممهم ونفوسهم لنيل المكرمات، وحاز بذلك الشرف الأوفى والدرجات العلى.

ولا يمكن لإمام أمة أو صاحب فكرة أو قائد جماعة أو زعيم إصلاح، أن ينتصر إلا من خلال الخطابة، ليوصل من خلالها صوته للقاصي والداني، ويبلغ رسالته بواضح البيان وجلي المعاني.

إن العمل الخطابي منحة ومحنة في آن واحد، أما من حيث هو منحة، فلا شك أن من آتاه الله منبراً يخطب فيه، ويقول كلمة الحق أمام جمع غفير من الناس، فتلك مرتبة عالية رفيعة، لأنها وراثة نبوية، فهي مهنة الأنبياء والمرسلين في دعوة الناس إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،... فإذا كان الخطيب ممن توافق أقواله أعماله، وأدى هذه المهمة والأمانة الكبيرة التي ألقيت على عاتقه، على أكمل وجه، عندئذ يكون المنبر والخطبة حجة له يوم القيامة وشاهدي عدل وخير، وأما من حيث إنها محنة كأن يكون ممن يحب الشهوة والسمعة، وهو خطيب ممن يقول ويفعل، وتحجبه هذه المكانة عن مدى الشعور بالمسؤولية، فيستغل المنبر للشهرة وحب السمعة، وثناء الناس عليه، والتعالي على الناس بالتجريح والتوبيخ، وقد يكون من بين المخاطبين من هو أعلم وأصلح واتقى عند الله تعالى منه، فيأمرهم بالمعروف ولا يأتيه، وينهاهم عن المنكر ويأتيه، ففي مثل هذه الحال يكون المنبر والخطبة شاهدي حق على زوره وانحرافه، وتكون الخطبة حجة عليه يوم القيامة لا له[1].

مفهوم الخطابة وأركانها:

الخطابة كلمة مكتوبة أو مرتجلة يغلب عليها طابع الحماس والانفعال يوجهها شخص إلى مجموعة أشخاص مواجهة أو من خلال وسيلة مسموعة أو مرئية[2].

---

(١) ينظر: جولات في فن الخطابة، ناصر مصطفى إدلبي، عمان، دار الفتح، ط١/ ١٩٩٥، ص ٥ و١٦ بتصرف.

(٢) معجم مصطلحات الدعوة والإعلام الإسلامي، للمؤلف، عمان - دار النفائس ودار الفجر، ط١/ ٢٠١٠، ص ١١٦.

وهي علم له أصول وقوانين من استطاع الأخذ بها والسير في طريقها عد خطيباً، وهذا العلم مجموع قوانين، فهو يعنى بدراسة طرق التأثير ووسائل الإقناع وما يجب أن يكون عليه الخطيب من صفات، وما ينبغي أن يتجه إليه من المعاني في الموضوعات المختلفة[1].

لقد اهتم الفقهاء ببيان حكم الخطبة وشروطها وأركانها[2]، فهي شرط في الجمعة لا تصح بدونها، لقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة:٩]، والذكر هو الخطبة، ولأن النبي ﷺ لم يصل الجمعة من دون خطبة، وهما خطبتان بعد الزوال، وقبل الصلاة اتفاقاً، وأن يشهدها جماعة من المسلمين، وأن يكون الخطيب قائماً.

وقال الشافعية: للخطبة خمسة أركان: حمد الله تعالى والثناء عليه، والصلاة على رسول الله ﷺ، والوصية بالتقوى: وتجب هذه الثلاثة في كل من الخطبتين، وقراءة آية مفهمة في إحدى الخطبتين، والدعاء للمؤمنين والمؤمنات بأمر آخروي.

واشترط المالكية: أن تكونا مما تسميه العرب خطبة، وأجاز الحنفية الخطبة بغير العربية ولو لقادر عليها مراعاة للسامعين، وأجاز الحنابلة ذلك إذا عجز عنها.

ومن سننها عند الجمهور أن يكون على طهارة وستر عورة (شرط عند الشافعية)، وكونها على منبر، يجلس عليه قبل الشروع فيها وبين الخطبتين، وأن

---

(١) جولات في فن الخطابة، مصدر سابق، ص ١٩.

(٢) ينظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع لعلاء الدين الكاساني، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٣/ ٢٠١١، ٢/ ١٩٥، وحاشية ابن عابدين، بيروت، دار المعرفة، ط٣/ ٢٠١١، ٣/ ٢١، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، لمحمد بن أحمد الدسوقي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٣/ ٢٠١١، ١/ ٦٠٠، حاشية إعانة الطالبين لأبي بكر عثمان الدمياطي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٤/ ٢٠٠٩، ٢/ ١٠٨، كشاف القناع لمنصور بن يونس البهوتي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢/ ٢٠٠٩، ٢/ ٣٢.

يستقبل القوم بوجهه، ويسلم عليهم إذا صعد المنبر، وإسماعهم الخطبة ورفع الصوت بها، واعتماد الخطيب بيساره على سيف أو عصا، وتقصير الخطبتين، والإنصات من قبل الناس في أثنائها.

مما سبق نرى اهتمام الفقهاء بموضوع الخطبة، وكانت محط عنايتهم بل ألفت فيها كتب منفردة في أحكامها أو نماذج منها، وهذا يدل على أهميتها ودورها في بناء المجتمع الإسلامي وإصلاحه، ودعوة الناس إلى الخير.

مقومات الخطبة الجماهيرية:

إن القائم بالخطاب من على المنبر الإسلامي (الخطيب) هو قائد جماهيري، فهو فارس ميدان وبيان، وهذا يستلزم توفر مقومات القيادة الجماهيرية (الفروسية) في شخصه، ومقومات الخطاب الجماهيري في خطبته، باستجماع معاني القوة البيانية فيها، ويمكن إجمال ذلك بالآتي:

مقومات الخطيب الجماهيري

١ - مقومات إيمانية:

الإخلاص والورع: يعد الإخلاص الأصل الأول لكل الأعمال، وهي لا تقبل عند الله إلا بإخلاص النية فيها، والمسلم في مسؤولياته جميعاً يرجو ما عند الله في أثناء القيام بها، بل إن ابتغاء مرضاة الله واستشعار مراقبته لها الأولوية في أدائه لها. يقول الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة:٥]، ويقول ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وانما لكل امرئ ما نوى»[١]، وفي حديث جبريل قال: «فأخبرني عن الاحسان! قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[٢]، ويقول ﷺ: «إن الله لا يقبل من العمل

(١) رواه البخاري (١) ومسلم (٥٠٣٦).
(٢) رواه البخاري (٥٠) ومسلم (١٠٢).

إلا ما كان له خالصاً، وابتغي به وجهه»[1]، وسئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية، ويقاتل رياء، أي ذلك في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»[2]، ومنه نحدد أن الخطيب إن كان ما يقوم به من عمل دعوي لتكون كلمة الله هي العليا فهو يعمل لله وفي سبيل نصرة دينه، وإلا فإنه يرائي بعمله.

والإخلاص يستلزم أموراً منها:

- استشعار مراقبة الله، يقول الله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤)﴾ [الحديد:٤]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (٥)﴾ [آل عمران:٥]، وقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)﴾ [النساء:١]، ويقول ﷺ: «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، فإذا استعنت فاستعن بالله، وإذا سألت فأسأل الله»[3].

- تقوى الله تعالى في السر والعلن، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢)﴾ [آل عمران:١٠٢] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠)﴾ [الأحزاب:٧٠] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣)﴾ [الحجرات:١٣]، وسئل رسول الله ﷺ، من أكرم الناس؟ قال: «أتقاهم»[4].

- حسن التوكل عليه سبحانه، يقول الله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ۚ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا (٥٨)﴾ [الفرقان:٥٨]، ويقول سبحانه: ﴿قُل

(١) رواه النسائي (٣١٤٠).
(٢) رواه البخاري (٧٠٢) ومسلم (٥٠٢٩).
(٣) رواه الترمذي (٢٥١٦).
(٤) رواه البخاري (٣٢٠٣) ومسلم (٦٣١١).

﴿لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [التوبة:٥١]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴿٢﴾ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق:٢-٣]، ويقول ﷺ: «لو توكلتم على الله حق التوكل لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً (خاوية البطن) وتروح بطاناً» [(١)] (ممتلئة البطن).

- الخوف منه سبحانه ورجاء ما عنده: يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٥١﴾﴾ [النحل:٥١] ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران:١٧٥] ويقول الله تعالى: ﴿۞قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر:٥٣]، ويقول رسول الله ﷺ: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل»[(٢)]، ويقول ﷺ في الحديث القدسي: «قال الله تعالى: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي. يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي؛ يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة»[(٣)]، ويقول ﷺ: «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد»[(٤)]، وروي عنه ﷺ: «من خاف الله خاف منه كل شيء»[(٥)].

- الحذر من الرياء: يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء:١٤٢]،

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٤٤) وقال: حسن صحيح.
(٢) رواه مسلم (٧٤١٢).
(٣) رواه الترمذي (٣٥٤٠) وصححه الشيخ الالباني.
(٤) رواه مسلم (٧١٥٥).
(٥) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٧٢٤١).

ويقول سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ ﴾ [البقرة:٢٦٤]، ويقول ﷺ: «قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه غيري، تركته وشركه»[١]، ويقول ﷺ: «من سَمَّعَ سَمَّعَ الله به، ومن يُرائي يُرائي الله به»[٢]، ومعنى سَمَّع: أظهر عمله للناس رياء ليعظم عندهم، ومعنى سَمَّعَ الله به: فضحه يوم القيامة، وأظهر سريرته على رؤوس الخلائق، ويقول ﷺ: «مَنْ تعلم علماً مما يُبتَغَى به وجه الله عز وجل لا يتعلمه الا ليُصيبَ به عَرَضاً من الدنيا، لم يجد عَرْفَ الجنة (ريحها) يوم القيامة»[٣]، ويقول ﷺ: «من تعلَّم العلمَ ليباهي به العلماء، ويماري به السفهاء، أو يصرف به وجوه الناس إليه، ادخله الله جهنم»[٤]، وروي عنه ﷺ: «تعوذوا بالله من جُبِّ الحَزْن، قالوا: يا رسول الله، وما جب الحزن؟ قال: وادٍ في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم أربع مئة مرة، قيل: يا رسول الله، ومن يدخله؟ قال: أُعِدّ للقراء المرائين بأعمالهم، وإن من أبغض القراء إلى الله الذين يزورون الأمراء الجورة» (الظلمة)[٥].

والورع هو التجرد بأن ينزه الخطيب والإعلامي نفسه ومكانته الدعوية والإعلامية من جعلها سلماً يتوصل بها إلى الأغراض الدنيوية، من مال أو جاه أو سمعة، أو تقدمة على أقرانه، ويصون ذلك بالزهد في الدنيا، والطمع بالآخرة؛ وقدوتنا في ذلك النبي ﷺ الذي لم يطلب على دعوته أجراً، يقول الله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠ ﴾ [الأنعام:٩٠] وتكرر على لسان الأنبياء قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ

---

(١) رواه مسلم(٧٦٦٦).

(٢) رواه مسلم (٧٦٦٧).

(٣) رواه أبو داود (٣٦٦٦) وابن ماجه (٢٥٢)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٦١٥٩).

(٤) ابن ماجه (٢٦٠)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٦١٥٨).

(٥) رواه الترمذي (٢٣٨٣) وابن ماجة (٢٥٦) وضعفه الشيخ الألباني.

رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [الشعراء:١٠٩]، ويوم أن أراد زعماء قريش أن يساوموه على إيقاف دعوته، ويبذلوا له ما يشاء من مال أو منصب أو جاه، رفض قائلاً: (والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في شمالي، لا أترك هذا الدين حتى يظهره الله أو أهلك دونه)[1].

وهدف العملية الدعوية والإعلامية من تحديد مبدأ التجرد هو أن تجعل التحمس للفكرة مرتبطاً بالإيمان الكامل بها، لا بما يجنيه الفرد من وراء دعوته من مال أو منصب أو جاه، فإذا قلَّ الأجر أو فقد المنصب أو الجاه امتنع عن بث دعوته وتملكه عدم الحرص على إقناع الناس بها[2].

٢- مقومات علمية :

بأن يكون الخطيب محصلاً للعلوم الشرعية التي تبنى عليها رسالته، وتعينه على معرفة ما يقصده قادة المجتمع أو أفراده لأجل الاطلاع على الموقف الإجمالي أو استبيان الحكم الشرعي من القضايا التي تواجههم.

كما عليه أن يكون ملماً بالعلوم التي تؤثر في الجمهور الذي يخاطبه، وليدرك أن من يحضر عنده ويصغي إليه، ويسلم عقله اليه (طوعاً أو كرهاً) منهم الأستاذ الجامعي والعالم والطبيب والسياسي والقانوني والإداري، ولذا ينبغي أن يكون على صلة بهذا الجمهور بالاطلاع على أصول تلك العلوم ليعرف نواحي التأثير فيهم، ونوافذ التغلغل إلى عقولهم وقلوبهم لإقناعهم برسالته وقضيته.

ويمكن أن نجمل ذلك بما يأتي[3]:

- الإحاطة بالعلوم الشرعية من قرآن وسنة وفقه وعقيدة وسيرة وتاريخ.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٢٧٨.

(٢) (الإعلام الإسلامي الواقع والطموح... ص٦٥).

(٣) الإعلام الإسلامي الواقع والطموح ٣٤.

- التثقف بالعلوم الأدبية من شعر ونثر وحكم لاسيما الإسلامية، فإذا كانت العلوم الشرعية تلزم الخطيب لزوم مقاصد وغايات، فإن العلوم الأدبية تلزمه لزوم وسائل وأدوات.
- التثقف بالعلوم الإنسانية (علم الاجتماع وعلم النفس وعلم التربية) فيتعرف على الأساليب والوسائل التي تعين الخطيب على إيصال محتوى خطبته إلى الجمهور.
- التثقف بالأبحاث العلمية المتعلقة بالكون والطبيعة لاسيما أنَّ العالم يعيش ثورة علمية جعلت الغرب يعتنق العلم ويعظمه حتى جعله المصدر الوحيد للمعرفة.
- التثقف بدراسة الواقع من خلال متابعة أحوال العالم الإسلامي (فرقاً ومذاهب وتيارات وحركات) ومتابعة دور القوى العالمية المعادية للإسلام.

٣- مقومات أخلاقية:

ويجمعها حب الحق والتزام الصدق والأمانة والثقة والتواضع والعمل به.

فحب الحق وإيثاره يعد من الأصول الخلقية والأعمدة السلوكية، ينتج عنه أخلاق فاضلة وسلوكيات حسنة، وحب الباطل وإيثاره خلق ذميم ينتج عنه أخلاق رذيلة وسلوكيات شائنة ولا يكون حب الحق خلقاً ما لم يتم الاعتراف به والإذعان له بعد ظهوره، فجحود الحق أو إنكاره وكراهيته انحراف خلقي أساسه اتباع الهوى والاغترار بالنفس. ولذا نجد الشريعة الإسلامية تؤكد على أتباعها حب الحق، وحذرتهم من جحوده وكراهيته ولاسيما الإيمان بأن الله حق، وأن الرسول حق، يقول الله تعالى: ﴿ لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الزخرف:٧٨].

﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [المؤمنون:٧٠].

التزام الصدق: وهو قول الحق أو مطابقة القول للاعتقاد وللواقع والحقيقة.

ولذا لا يكون الإنسان صادقاً إلا أن يجمع الصدق مع نفسه بأن يتكلم ما يعتقده ويؤمن به، والصدق مع الواقع بأن يطابق قوله الواقع والحقيقة التي يعلمها أو يحسها بجوارحه السليمة؛ وأي إخلال بهذين الشرطين يعد المتكلم كاذباً، فقد أنكر القرآن الكريم على المنافقين الذين قالوا حقاً ولكنه ليس موافقاً لما يضمرونه في أنفسهم أو يعتقدونه، يقول الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾﴾ [المنافقون:١]، فهم قالوا كلاما حقاً إلا أنهم كاذبون لأنهم قالوا كلاماً لا يعتقدونه، ولذا لا نجد شخصاً لا يؤمن بالله إلا وهو يكذب، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [النحل:١٠٥]، وهكذا حال من يحرف كلام الله عن علم وقصد: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [آل عمران:٧٨]، وقال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [النحل:٣٨-٣٩].

ومن مقتضيات حب الحق والتزام الصدق انسجام الظاهر مع الباطن، وأن يوافق العمل القول، وأن تترجم العقيدة والإيمان الصحيح إلى أعمال صالحة، فالازدواجية في شخصية المسلم لاسيما الخطيب مرفوضة، قد تصل به إلى أحد نوعي النفاق (الاعتقادي أو السلوكي)، فضلاً عن كونها من كبائر الذنوب وعظائم الموبقات يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف:٢-٣]، ويقول سبحانه مشنعا عن الأخلاقيات السيئة لبني إسرائيل: ﴿۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [البقرة:٤٤]، قال البيضاوي: تقرير مع توبيخ وتعجيب.

يقول ﷺ: «يؤتى بالرجل يوم القيامة، فيلقى في النار، فتندلق أقتاب بطنه (أحشاؤه)، فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى، فيجتمع إليه أهل النار، فيقولون: يا فلان! ما لك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى، كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وانهى عن المنكر وآتيه»[١].

ويحذر ﷺ الخطباء والوعاظ والدعاة والإعلاميين من عاقبة الوقوع في مناقضة الأعمال للأقوال، لما روي عنه ﷺ: «أتيت ليلة أسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: خطباء أمتك الذين يقولون ما لا يفعلون، ويقرؤون كتاب الله ولا يعملون به»[٢].

ويقول ﷺ: «إن ناساً من أهل الجنة ينطلقون إلى أناس من أهل النار، فيقولون: بم دخلتم النار؟ فوالله ما دخلنا الجنة إلا بما تعلمنا منكم، فيقولون: انا كنا نقول ولا نفعل»[٣]، ويشبه النبي ﷺ حال هؤلاء بالمصباح الزيتي بقوله ﷺ: «مثل الذي يعلم الناس الخير، وينسى نفسه كمثل السراج يضيء للناس، ويحرق نفسه»[٤].

وأما التواضع فهو خلق رفيع، وثمرة من ثمرات المعرفة بالله وبالنفس، وعمود من أعمدة البناء الأخلاقي، ولاسيما لمن هم في موقع المسؤولية أو التأثير الجماهيري كالقادة والعلماء والدعاة والخطباء والإعلاميين، وكلما كان الإنسان متواضعاً غير مترفع ولا متعال على الآخرين، كان محبوباً قريباً من الناس، ومحققاً لنفسه فضيلة الانسجام مع النفس ومع المجتمع، وكان قريباً من رضوان الله وطاعته وظله، ويبارك الله له في عمره وعمله وسمعته، ويمده الله بعنايته ويحيطه برعايته، ويشعر بالسعادة والسيادة والرفعة والقبول.

(١) رواه البخاري (٣٠٩٤) ومسلم (٧٦٧٤).
(٢) رواه البيهقي وابن حبان (٥٣) وصححه الشيخ شعيب الأرنؤوط.
(٣) رواه الطبراني في الكبير (٤٠٥).
(٤) رواه الطبراني بسند حسن (١٦٨١).

والمراد بالتواضع هو لين الجانب والبشاشة وحسن المعاملة وخفض الجناح وعدم الاغترار بالنفس والحديث عنها أمام الآخرين، يقول النبي ﷺ: «إنَّ الله أوحى إليَّ أن تواضعوا، حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد»[(١)]، ويقول ﷺ: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»[(٢)]، ولما سئل الحسن البصري رحمه الله عن التواضع قال: يخرج من بيته فلا يلقى مسلماً إلا ظن أنه خير منه[(٣)]. فعلى الإعلامي أن ينتبه إلى حديثه وإلى تصرفاته في أثناء ممارسته لوظيفته الإعلامية من أن يدخلهما الكبر وحب العظمة والغرور والعجب بالنفس، ولذا بين الله عاقبة المتكبرين: ﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ﴿٣٥﴾ ﴾ [غافر:٣٥]، ﴿ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [غافر:٧٦]، ويقول ﷺ: «من تعظم في نفسه، واختال في مشيته، لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان»[(٤)]، والمتكبرون مبعدون عن مجلس النبي ﷺ في الآخرة لقوله ﷺ: «إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة، أحاسنكم أخلاقاً، وإن من أبغضكم إليّ وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة، الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون»، قالوا: يا رسول الله، قد علمنا الثرثارين والمتشدقين، فما المتفيهقون؟ قال: «المتكبرون»[(٥)]، وحذر سبحانه من منازعته سبحانه في العظمة والكبرياء، لقوله ﷺ: «يقول الله تعالى: العز إزاره، والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني عذبته»[(٦)]، وفي الصحيحين[(٧)]

---

(١) رواه مسلم (٧٣٨٩).

(٢) رواه مسلم (٧٦٥٧).

(٣) الإعلام الإسلامي الواقع والطموح ص٣١.

(٤) رواه أحمد (١٠/ ٢٠٠) وقال الشيخ شعيب: رجاله ثقات.

(٥) رواه الترمذي (٢٠١٨) وصححه الشيخ الالباني.

(٦) رواه مسلم ((٦٨٤٦).

(٧) البخاري(٥٧٢٣) ومسلم (٧٣٦٦).

قوله ﷺ: «ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ مستكبر» أي: كل غليظ جاف، وضخم مختال في مشيته، فظ شديد الخصومة، ويقول ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً، ونعله حسنة،؟ قال: «إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس»[1]، أي دفع الحق ورده، واحتقار الناس وازدراؤهم، وفي الصحيحين قوله ﷺ: «من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة»[2].

٤ - مقومات مهنية :

من أهم المقومات المهنية لشخصية القائم بالخطاب الإسلامي ولا سيما الخطيب الجماهيري أن يكون (مؤمناً برسالته، متفهماً لطبيعة عمله، قادراً على التكيف مع جماهيره، متحمساً لمشاكلهم، مدركاً لأبعاد حياتهم، شغوفاً بعمله، محباً له، يتوافر له الذكاء والموهبة والاتزان، من اللباقة والقدرة على التصرف السليم في المواقف الصعبة، والخلفية الثقافية الواسعة المتنوعة، حاصلاً على القدر الكافي من الدراسة الأكاديمية الشاملة والمتعمقة في مجال تخصصه)[3].

وأما المقومات المهنية المتعلقة بقدرته على الخطاب الجماهيري فتتمثل بفصاحة الكلام وذلاقة اللسان، ونصاعة البيان، وصفو المعاني، وأناقة اللهجة، وطلاقة البديهية، وعقل ألمعي، وقلب ذكي، وفراسة مدركة صائبة، ونظرات نافذة ثاقبة.

وهذه المعاني إما هبة يهبها الله من يشاء من عباده، أو اكتساب تدعو صاحبها إلى تحصيلها، وتستلزم مهارات ينبغي على الخطيب الإلمام بها، والارتياض عليها بالممارسة والتدريب.

(١) رواه مسلم (٢٧٥).
(٢) البخاري (٣٤٦٥) ومسلم (٥٥٧٤).
(٣) (الإعلام أولاً ص٣٦).

فمنها ما يتعلق بالفكرة، ليتمكن الخطيب بعد الممارسة من ضبط أفكاره، ووزن آرائه، ومنها ما يتعلق بالأسلوب ولا يكون ذلك إلا بحفظ كثير من الخطب البليغة المأثورة والمؤثرة، والإحاطة بمخزون واسع من الألفاظ والعبارات المعبرة، القابلة للاقتباس والقادرة على إثارة العقل والإحساس.

ومنها ما يتعلق بفن الإلقاء، من ضبط الصوت وأوتاره، ومواطن السكتات ومواضع الوقف وأسراره، والخفض والارتفاع، ومواجهة الجمهور وعدم الارتجاج أو الانقطاع، وترك الاستحياء في غير مكانه ولا أوانه، فهو دليل ضعف، وانهزامية موقف.

مقومات الخطبة الجماهيرية:

يمكن أن نحدد مقومات الخطبة الجماهيرية المؤثرة بالآتي:

- **التحضير الجيد لموضوع الخطبة:**

بدراسة ما يتعلق بها وجمع المعلومات عنها من المصادر المعتبرة، والوقوف على الأحوال والمواقف المحيطة بها، وذلك عن طريق الاستفسار والبحث عن شواهدها وشهودها، أو بجمع الوقائع بشأنها عبر وسائط الاتصال ووسائل الإعلام المتطورة (واليوم تؤدي شبكة المعلومات العالمية (الانترنت) هذه الوظيفة على أكمل وجه)، فالرأي الرشيد والموقف السديد لا يكون إلا بعد بحث راسخ عميق، واستبيان متقن دقيق، وفكر قويم وثيق، فبناء المواقف بإغفال ذلك هو مدعاة للشطط والزلل، يقول الإمام الغزالي رحمه الله: إن من عارضت فكره شوائب الهموم لا يسلم له ولا يستقيم له خاطر.

- **الإعداد المتقن للخطبة :**

ليس من العيب أن تحضر الخطبة وتعدها وتكتبها، فالخطيب الذي يستشعر المسؤولية الملقاة على عاتقه، تجاه دينه وقضية أمته، مهما بلغ علمه وعلت منزلته،

ومهما أوتي الإتقان في الأداء الخطابي وذاع صيته، فإنه يحرص على إعداد خطبته قبل إلقائها، بل ما بلغ ذلك إلا بهذا الحرص المسؤول، وهذه سنة الخلفاء الراشدين ومنهج العلماء العاملين[1].

والعيب كل العيب بل قد يصل إلى درجة الاثم عند وقوع الزلل والاضطراب الفاحش في أثناء إلقاء الخطب، وقد يتباهى بعض الخطباء بأنه يعد خطبته في أثناء جلوسه على المنبر قبل الأذان، وهذا حتى لو كان محترفاً ومتقناً إلا أنه لو أعد واستعد للخطبة لكان أكثر إتقاناً، ولتجاوز كثرة التكرار وسعة الاستهلاك في المواضيع والعبارات.

ومن خلال الاستبيان الشخصي لطرق إعداد الخطبة وبالرجوع إلى المصادر التي عالجت هذه القضية يمكن أن نحدد ثلاثة أنواع من الإعداد وهي:

- **الإعداد في الذهن (الخطبة الارتجالية):**

بأن يدرس الخطيب موضوع الخطبة دراسة متأنية وواسعة ويحيط بجميع جوانبه، ويلم بأطرافه وعناصره، ثم يسلسل محاوره ويرتب أفكاره وينتقي ألفاظه وكلماته ويصوغ جمله وعباراته، وكل ذلك في ذهنه وصدره لا في خطه وسطره، وبعضهم يردد الخطبة على لسانه وعلى بعض إخوانه، ثم يلقي الخطبة على الجمهور ارتجالاً.

- **الإعداد بالحفظ (الخطبة السردية):**

وهو يسلك المسلك السابق في الجمع والإعداد، ولكنه يدونها تدويناً كاملاً، ويضمنها أبلغ أساليب التأثير والإقناع، ثم يدونها على الأوراق، ولا يزال يتردد عليها قراءة ويعدل فيها ويجودها ومن ثم يحفظها عن ظهر قلب حفظاً تاماً، ويلقيها ارتجالاً سردياً من حفظه، وقد يتجاوز عن بعضها إذا أرتج عليه، أو تطلب ظرف

(١) توسعنا في مسألة الشواهد على حسن الإعداد في الفصل الرابع من هذا الكتاب.

الخطبة ذلك، وقد يلجأ بعضهم إلى تدوين إما محاور الخطبة أو بعض الأدلة والنصوص أو المعلومات الإحصائية الموثقة، ويحملها معه وقد يخرجها في أثناء الإلقاء عند الحاجة إليها.

- **الإعداد بالتدوين (الخطبة المكتوبة):**

والخطيب هنا يسلك مسلك من سبقه، ولكنه يلقي الخطبة من الأوراق التي دونها، وبعض أصحاب هذا المنهج يتمسك بالقراءة من الأوراق حتى في مقدمتها ودعائها، ولا يرفع نظره عنها ولا يتفاعل مع عباراتها، وبعضهم قد يخرج عنها أو يلقي جزءاً منها ارتجالاً ليلقي بنظره على جمهور المستمعين، وليتفاعل مع محتواها ليعطيها شيئاً من الحماسة والحيوية.

ومن المآخذ على هذه الطريقة والتي تؤدي إلى مواقف محرجة، الرتابة التي تبعث على الملل، لا سيما إن كانت مكررة أو ذات عبارات مستهلكة ومعلومات قديمة غير محدثة، أو أن تكون منقولة حرفياً من كتب تراثية أو مقتبسة من خطيب تتباين بيئته عن بيئة المستمعين، ومنها ضياع أو سقوط بعض أوراقها، أو الاختلال في ترتيب صفحاتها مما يسبب حرجاً للخطيب وتداخلاً في العبارات.

- **إتقان أداء الخطبة :**

ويكون ذلك من خلال إتقان محتوى الخطبة وضبط عبارتها وكلماتها، وحسن أدائها، وإعطاء كل عبارة وكل كلمة وكل حركة حقها واستحقاقها، وتجنب اللحن في الكلام ومن صور الإتقان:

- حفظ النصوص القرآنية، والأحاديث النبوية مع مراعاة تخريجها ودرجتها.
- ضبط البناء الصرفي للكلمات لتمييز الكلمة عن غيرها.
- ضبط الإعراب والنحو ليتضح المعنى المقصود.
- تضمين الخطبة القصص المؤثرة المقتبسة من السيرة أو حياة الصحابة والتابعين والقادة والصالحين، وحياة المعاصرين.

- الالتزام بالوحدة الموضوعية، وتجنب التشعب والاستطراد، المؤديان إلى التشتت والاضطراب، لدى المتلقين، فإن كان الموضوع موسعاً فيمكن تقسيمه وتجزئته واعتماد أسلوب الخطب المتسلسلة، على أن لا تزيد عن المعتاد فتكون سبباً في النفور.
- ارتباط موضوع الخطبة بحياة الناس ومشاكلهم، وما يطرأ في المجتمع من مستجدات وحوادث، وما يقع في الأمة من تحديات ونوازل، ويمكن تضمين ذلك على الأقل في الخطبة الثانية.

- **حسن الإلقاء:**

ويكون متعلقاً بأداء الخطيب نفسه وطريقة إلقائه، ومن أبرز صوره:

- إتقان مستويات الصوت، بتدريب الصوت على جودة الإلقاء، بحيث تكون نبرات الصوت ورناته تعين على إيصال المعنى المقصود للمتلقين، وأن تكون نغمات الأداء ومقاماته، متوافقة مع ملامح الخطيب ونظراته، وسكناته وحركاته، ما يعطي الخطبة الحماسة والقوة والحياة.
- إعطاء كل معنى ما يحتاجه من النبرة الصوتية المناسبة والنغمة المعبرة، فللفرح نغمته، وللحزن نبرته، وللحماس طبقته.
- التمهل في الإلقاء، بتجنب الإسراع في الكلام، والإبطاء في الإلقاء، فالخطيب السريع في كلامه لا يعطي السامعين فرصة كافية لفهم ما يسمعون، وتذوق ما فيه من جودة المعنى ودقة العبارة، كما أن الإبطاء والهدوء التام يؤديان إلى الملل والضجر والرتابة مما يدفع بالسامعين إلى شرود ذهنهم، وغياب افئدتهم وعقولهم.
- ومن حسن الإلقاء القصد في الخطبة وذلك بقصرها وعدم إطالتها، لغير حاجة أو ضرورة، فالكلام إذا طال أنسى آخره أوله، وأنسى بعضه بعضاً، ولذا فإن من فقه الخطيب قصر الخطبة، يقول ﷺ: «إن طول صلاة الرجل، وقصر

خطبته مئنة من فقهه»[1]، أي: علامة ودلالة على فقهه في الدين والدعوة، ويصف جابر بن سمرة رضي الله عنه منهج النبي ﷺ في الصلاة والخطبة، بقوله: صليت خلف النبي ﷺ الصلوات فكانت صلاته قصداً وخطبته قصداً[2]، والقصد هو التوسط من غير تطويل ممل ولا تقصير مخل.

- توظيف العاطفة، بمراعاة مشاعر الجمهور وأحوالهم، سواء في اختياره لموضوع الخطبة، أو في كلماته وأمثاله، أو في طول الخطبة وقصرها، فليس من المستحسن إلقاء خطبة عن وفاة النبي أو الموت في العيد، وعن أدب المزاح أو الفرح والمجتمع يخوض حرباً ضد محتل، أو يشهد الحي وفاة أحد وجهائه.

- توظيف التقنيات، ولا سيما الصوتيات والإضاءة، ويمكن الاستعانة بشاشات العرض لاسيما في المساجد الكبيرة أو التي فيها أروقة متعددة، ويمكن تدوين بعض نصوص وشواهد الخطبة على لوحة الإعلانات في مدخل المسجد، ويمكن توزيع مختصر الخطبة في مطبوع يوزع على المصلين في أثناء مغادرتهم المسجد لتترسخ بعض معانيها، ويمكن أن تمثل ولوجاً دعوياً لبيوت المحلة أو الحي الذي يحيط بالمسجد، إذ إن أغلب المصلين لا ينقلون موضوع الخطبة إلى بيوتهم وأسرهم.

ثانيا: المهارات في الحوارات الإعلامية:

مفهوم الحوار الإعلامي:

الحوار لفظ مشتق من حور ومنه احتار عليه جوابَه، أي: رَدَّه، وأَحَرْتُ له جواباً، وما أحارَ بكلمةٍ، والاسمُ مِن المحاورة الحَوِير، والمحاورة: المجاوبة، وهم

(١) رواه مسلم (٨٦٩) (٤٧).

(٢) رواه أبو داود (١١٠١)، والنسائي (١٥٨٢)، وأخرجه مسلم (٨٦٦) (٤١).

يتحاورون، أي: يتراجعون الكلام[1]، والأحور هو العقل، والمحاورة المراجعة، والتحاور التجاوب[2].

فالحوار التراجع وفي الحديث: «اللهم نعوذ بك من الحور بعد الكور»، أي: من الرجوع والردة وفي القرآن ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ۝١﴾ [المجادلة:١]، أي: تراجعهم في القول من حيث أمر الرسول ونصحه بالصبر وشكاية المؤمنة من مظاهرة زوجها لها؛ وهو بمعنى المراجعة والتجاوب في الخطاب والأخذ والرد فيه.

وفي الاصطلاح: هو الكلام المتبادل بين طرفين في أسلوب لا يقصد به الخصومة[3]. أو هو فهم لغة الآخر فهماً جيداً وتحديد معاني المصطلحات وإدراك المواقف غير معزولة عن سياقاتها التاريخية والواقعية ولا عن أبعادها الثقافية والدينية[4].

وقبل أن نبين مفهوم الحوار الإعلامي نقف أولاً عند توظيف الحوار في مجالات المعرفة ومنها:

الحوار طريقة تعليمية:

عن عُمَر بْن الخَطّابِ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُول الله ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ إذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشّعَرِ، لاَ يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السّفَرِ، وَلاَ يَعْرِفُهُ مِنّا أَحَدٌ، حَتّى جَلَسَ إلى رَسُولِ الله ﷺ ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إلى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، ثُمّ قَالَ: يَا مُحَمّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإسلام، قَالَ: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إلاّ

---

(١) (لسان العرب ١-٢١٨).

(٢) (القاموس المحيط مادة حور)

(٣) (الحوار أصوله وآدابه السلوكية عبدالله الصويان ص١٧).

(٤) دراسة بعنوان حوار الحضارات أو العلاقة بين أمة الإجابة وأمة الدعوة للدكتور ناصر إبراهيم الناصر، التقرير الاستراتيجي ج٢ ص٩٦.

اللهِ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الله، وَتُقِيمَ الصّلاَةَ، وَتُؤتِيَ الزّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجّ البَيْتَ إنِ اسْتَطَعْتَ إلَيْهِ سَبِيلاً، قَالَ: صَدَقْتَ، فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدّقُهُ، ثُمّ قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ، قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بالله، وَمَلاَئِكَتِه، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَالقَدَرِ كُلّهِ خَيْرِهِ وَشَرّهِ، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإحْسَانِ، قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَّ كَأَنّكَ تَرَاهُ، فإن لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنّهُ يَرَاكَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السّاعَةِ، قَالَ: مَا المسْؤولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ بِهَا مِنَ السّائِلِ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا، قَالَ: أَنْ تَلِدَ الأمة رَبّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الحُفَاةَ العُرَاةَ العَالَةَ رِعَاءَ الشّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي البُنْيَانِ، قَالَ عُمَرُ: فَلَبِثْتُ مَلِيّاً ثُمّ قَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ: يَا عُمَرُ هَلْ تَدْرِي مَنِ السّائِلُ؟ قُلْتُ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنّهُ جِبْرِيل عليه السلام أَتَاكُمْ لِيُعَلّمَكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ»[1].

هذا الحديث النبوي شاهد على استعمال الملك جبريل عليه السلام طريقة الحوار مع النبي ﷺ لتعليم الصحابة بعض بل أهم المفاهيم الإسلامية، ولهذا يعد التربويون الطريقة الحوارية من أقدم طرائق التدريس وجوداً، ولا تزال شائعة الاستعمال حتى الوقت الحاضر.

ويعرف التربويون الطريقة الحوارية بأنها إلقاء مجموعة من الأسئلة المتسلسلة المترابطة على الطلاب بحيث نوصل عقولهم إلى المعلومات الجديدة بعد أن نوسع آفاقهم ونجعلهم يكتشفون نقصهم (المعرفي) أو خطأهم بأنفسهم[2].

وتستند هذه الطريقة على ثلاث مراحل:

التمهيد: بإلقاء أسئلة غايتها معرفة ما عند الطلاب من معلومات حول المادة الجديدة من غير تصحيح لها لأول وهلة.

(١) رواه مسلم (٨)، وأبو داود (٤٦٩٥)، الترمذي (٢٦١٠).

(٢) (طرق التدريس في القرن الواحد والعشرين ص٩٦).

العرض: ويكون بإلقاء أسئلة مرتبطة بالأولى تشعر الطلاب بالخطأ أو النقص، واستدراجهم للانتباه للشرح وفيه يتم تقديم معلومات جديدة.

الخاتمة: الوصول بالطلاب إلى المعلومة الصائبة وترسيخها لديهم.

إن هذه الطريقة مع قدمها إلا أنها استطاعت أن تفرض وجودها حتى في المدارس الحديثة وذلك لأمرين:

- إنها تلبي دعوة التربويين المعاصرين الذين يجعلون الطالب هو محور العملية التعليمية.
- والثاني لأنها تملك مقومات مواكبة التطور وتوظيف التقنيات التربوية في أثناء القيام بها.

وستبقى هذه الطريقة تحظى باهتمام التربويين ومحط عنايتهم ما دام الحوار من أهم أساليب عرض المفاهيم وإقناع الآخرين بها.

الحوار أسلوب دعوي:

من يطالع القرآن الكريم يجد أن الحوار هو الأسلوب الغالب في تبليغ بني آدم وتنبيههم وتحذيرهم أو ترغيبهم بالتمسك بأحكامه وتوجيهاته، بل إن خلق آدم عليه السلام وبيان مهمته في الأرض جاء بعد حوار الله تعالى مع ملائكته؛ ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [البقرة:٣٠-٣٣] ومن هنا تتجلى أهمية الحوار واعتماده أسلوباً من أساليب الدعوة إلى الله، ومن يطالع القرآن الكريم لا يجد فئة أو شريحة من المجتمع الإنساني (مهما عظمت أو صغرت) إلا وقد تم حوارها .

- **الحوار مع الأنبياء عليهم السلام:** ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾ [البقرة:٢٦٠].

- **الحوار مع إبليس:** ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾﴾ [الأعراف:١١-١٨].

- **الحوار مع المشركين:** ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾﴾ [مريم:٤١-٤٨].

- **الحوار مع أهل الكتاب:** ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا

﴿وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٦٧ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٦٨﴾ [آل عمران:٦٤-٦٨].

- **الحوار مع امرأة:** ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ١٦ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ١٧ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ١٨ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ١٩ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ٢٠ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ٢١﴾ [مريم:١٦-٢١].

- **الحوار مع الأبناء:** ﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ٤٢ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ٤٣﴾ [هود:٤٢-٤٣].

وكان الحوار حتى مع الحيوان والشجر والحجر، فلا نغالي إن قلنا: إن الدعوة قامت على الحوار، ولذا نجد القرآن الكريم وضَّح في آياته أهم الأسس المنطقية للحوار الهادف ومنها:

- إقرار الاختلاف بين الناس ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ١١٩﴾ [هود:١١٨-١١٩].
- الحوار حق مكفول للجميع وخاصة الضعفاء والمستضعفين والمظلومين والمهمشين، عن أبي هريرة ﵁ أن رجلاً أتى النبي ﷺ يتقاضاه فأغلظ له فهم به أصحابه، فقال رَسُول الله ﷺ: «دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً»[1]، متفق عليه.

---

(١) البخاري (٢١٨٣)، ومسلم (١٦٠١) (١٢٠).

- ابتغاء الحق وتحري الحقيقة غاية الحوار وإلا كان جدلاً عقيماً ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [يونس:٩٤]، ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الكهف:٥٦].

- احترام الخصم واحتمالية صوابه والاستعداد لقبول الحق أينما ظهر: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ [سبأ:٢٤]، فطرفا الحوار سواء في الهداية أو الضلال، ثم يضيف على الفور في تنازل كبير بغية حمل الآخر على القبول بالحوار ﴿ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [سبأ:٢٥]، فيجعل اختياره بمرتبة الإجرام مع أنه هو الصواب، ولا يصف اختيار الخصم بغير مجرد العمل ليقرر في النهاية أن الحكم النهائي لله ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [سبأ:٢٦].

- التعهد بالتزام الحق وإن كان لخصمه، فلا يكفي التسليم باحتمالية صواب الخصم، بل لا بد من التعهد والالتزام باتباع الحق إن ظهر على يديه، حتى لو كان التعهد باتباع ما هو باطل أو خرافة إذا افترض أنه ثبت وتبين أنه حق ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [الزخرف:٨١].

- الحوار يكون في المسائل الحادثة أو قريبة الحدوث أو ذات نفع، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [المائدة:١٠١-١٠٢] وقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إنّ أعْظَمَ المُسْلِمِينَ في المُسْلِمِينَ جُرماً مَنْ سَأَلَ عنْ أمْرٍ لَمْ يُحَرّمْ، فَحُرّمَ عَلَى النّاسِ مِنْ أجْلِ

مَسْأَلَتِهِ»[1]، يقول الامام الغزالي في شروط المناظرة: «أن لا يناظر إلا في مسألة واقعة أو قريبة الوقوع غالباً، فإن الصحابة رضي الله عنهم ما تشاوروا إلا فيما تجدد من الوقائع أو ما يغلب وقوعه كالفرائض»[2].

- لا مراء ولا جدال وإنما هو الحوار، فالجدال هو المنازعة فيما وقع فيه خلاف بين اثنين، والجدال يأتي بمعنى الحوار، ومنه محمود وأكثره مذموم؛ ولذا قيده الله تعالى بالتي هي أحسن حتى تجنَى ثمرته، يقول الإمام الجويني (ثم من الجدال ما يكون محموداً مرضياً، ومنه ما يكون مذموماً محرماً، فالمذموم منه ما يكون لدفع الحق أو تحقيق العناد، أو ليلبس الحق بالباطل، أو لما لا يطلب به تعرف ولا تقرب، أو للمماراة وطلب الجاه والتقدم إلى غير ذلك من الوجوه المنهي عنها.... ويضيف: أما الجدال المحمود المدعو إليه فهو الذي يحقق الحق، ويكشف عن الباطل، ويهدف إلى الرشد، مع من يرجى رجوعه عن الباطل إلى الحق[3].

- وقد ذم الله تعالى المجادلة في مواضع أهمها: المجادلة بالباطل لدفع الحق، والمجادلة بلا بينة وبغير علم، والجدال بعد ظهور الحق وعلوه.

- معرفة الموضوع لابد لكل من طرفي الحوار التعرف إلى الفكرة التي ينطلقان منها لإثباتها أو نفيها؛ لأن الجهل بها وبتفاصيلها يحول الحوار إلى أسلوب من أساليب الشتائم يخفي بسببها الجهل وقلة المعرفة، يقول الله تعالى: ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٦٦ ﴾ [آل عمران:٦٦].

---

(١) رواه أبو داود (٤٦١٠)، وأحمد في «مسنده» ٣/ ١٢٢ حديث رقم (١٥٤٥).

(٢) (إحياء علوم الدين).

(٣) (الكافية ص٢٢).

فالقرآن الكريم يأخذ على الذين يخاصمون النبوات والرسالات السماوية أنهم يدخلون معركة الحوار دون سلاح؛ لأنهم لا يملكون علماً أو حجة أو إحاطة بالموضوع الذي يرفضونه، مما يجعل جدالهم ورفضهم قضية مزاج، وعقدة نفسية تتحكم بهم فتدفعهم إلى اللف والدوران تارة، وإلى التكذيب دون مبرر أخرى، الأمر الذي لا يؤدي إلى أية نتيجة لحساب المعرفة أو لمصلحة الحق[1].

الحوار منهج منطقي:

لقد اعتمد الفلاسفة والمناطقة الحوار منهجاً في عرض تصوراتهم وأفكارهم على الآخرين، فقد استعمله سقراط في الحوار مع السوفسطائيين، وأفلاطون في الجدل الصاعد والجدل النازل، أي: في العلاقة بين الفكر والواقع، وبين المثال والمادة، بين العقل والحس، كما هو الحال في نظرية المثل المشهورة، كما استعمله أرسطو في المنطق كأحد أجزاء منطق الظن مع السفسطة أو المغالطات والخطابة والشعر، وظلت هذه الاستعمالات الثلاثة سارية في العصر الوسيط بمرحلتيه عصر آباء الكنيسة الأفلاطوني والعصر المدرسي الأرسطي.

ثم استعمله «كانت» في نقد العقل الخالص بمعنى التناقض الذي لا يمكن حله عقلاً، مثل خلق العالم وقدمه، خلود النفس وفناؤها، حرية الإنسان وجبريته، ولا توجد براهين على صحة أحد النقضيين وخطأ الآخر، والحل هو طريق الإيمان، ثم تحول عند هيجل إلى منهج عقلي منطقي اجتماعي تاريخي في آن واحد، يكشف عن تناقضات في الأشياء قبل حلها في مركبات بينها من الموضوع إلى نقيض الموضوع، إلى مركب الموضوع ثم حوله ماركس إلى جدل مادي تاريخي فيما يعرف

---

(١) (دراسة للدكتور مبارك الهاشمي بعنوان جذور التفكير الحواري في الثقافة العربية، ينظر الحوار مع الذات ١٨٢).

باسم المادية الجدلية لا مركب فيه كما هو الحال عند كير كجارد وتجلياً للاشتباه في الوجود الإنساني، لذلك سمى جابريل مارسال فلسفته السقراطية الجديدة[١].

الحوار فن إعلامي:

وهذا مقصدنا فالحوار هو أحد المحاور الأساسية التي يقوم عليها الحديث الصحفي والإعلامي، ويهدف إلى توضيح أو تفسير أو تحليل أو شرح موقف أو ظاهرة أو شخصية أو حدث أو الحصول على معلومات معينة، فهو الطريقة التي تستخدم من أجل الحصول على هذه المعلومات والآراء، وذلك نظراً لمقدرة الحوار المباشر والحي على التأثير والإقناع والشرح[٢]، وسرعان ما أصبح الحوار (خاصة في القنوات الفضائية) الفعالية الإعلامية الأبرز والأكثر أهمية بسبب جماهيرية التلفزيون وأهمية وراهنية القضايا المطروحة للنقاش والحوار وجاذبيته كونه يقوم أساساً على الحوار الحي والمباشر والمتطور[٣].

أنواع الحوار الإعلامي:

تقسم الحوارات إلى أقسام لاعتبارات عدة ويمكن أن نقسمها باعتبار صور عرضها على قسمين هما: حوار صحفي مقروء وحوار مسموع أو مرئي.

الحوار الصحفي (المقروء):

وهو الحوار الذي يتم عرضه كتابة في إحدى الوسائل الصحفية (مجلة أو صحيفة أو موقع الكتروني).

---

(١) (دراسة للدكتور حسن حنفي بعنوان الحوار مع الذات شروطه ومعوقاته، لغته ومضمونه، هدفه وغاياته، ينظر كتاب الحوار مع الذات ص٣٩ -٤٠) بتصرف واختصار.

(٢) (الحديث الصحفي، د. أديب خضور ص١٧).

(٣) (الحديث التلفزيوني، د. أديب خضور ص٥).

طرق إجراء الحوار الصحفي:

١- المقابلة الخاصة أو اللقاء المباشر: وتمثل الطريقة الأصلية والمفضلة والأكثر شيوعاً لدى المؤسسات الصحفية إذ تعطي هذه الطريقة فرصة لفهم أعمق وأشمل للموضوع وللشخصية، وتمكنه من طرح أسئلة إضافية لتوضيح مسائل ذكرت على لسان الشخصية.

ومن سلبياتها أنه قد يأخذ طابعاً شخصياً، أو يحدث سوء فهم واستفزاز، أو توتر أثناء الحوار تؤثر سلباً على مجمله.

٢- إجراء الحوار المباشر بإحدى وسائل الاتصال (الهاتف، المحادثة عبر الانترنيت).

٣- المكاتبة عبر الفاكس والبريد الالكتروني[١].

الحوار المسموع والمرئي:

وهو الحديث الإعلامي الذي يعرض في الوسائل المسموعة أو المرئية؛ وهو إما أن يكون مغلقاً، أي: لا يكون هنالك تداخل من خارج المتحاورين، وعادة تعرض هذه الحوارات مسجلة وليس مباشرة.

أو أن يكون مفتوحاً، أي: يكون هنالك تداخل ومشاركة من غير المتحاورين، وهو إما أن يكون من خلال حضور ضيوف آخرين في أثناء تسجيل الحوار، مثل برنامج حوار مفتوح، أو من خلال الاتصال الهاتفي، ولا يكون إلا في الحوارات المباشرة مثل برنامج الشريعة والحياة، وبرنامج بلا حدود.

---

(١) (بتصرف الحديث الصحفي ٣٧-٣٨).

ويجري الحوار عموماً بين شخصين أو ثلاثة بضمنهم المقدم، فإن زاد أصبح ندوة.

ويكون عادة بين شخصين: صحفي (متخصص أو مهني) وبين محاور (ويسمى أيضاً لقاء)، ومثاله إعلامياً برنامج الشريعة والحياة، أو برنامج لقاء خاص، أو لقاء اليوم في قناة الجزيرة.

أو بين صحفي ومتحاورين، فإذا كان المتحاوران متفقين أو متقاربين سمي حواراً ناقصاً، لأنه يعبر عن الموضوع من زاوية واحدة، وأما إذا كانا مختلفين سمي حوارا متكاملاً؛ لأنه يعبر عن الموضوع من وجهات نظر متعددة، مثل برنامج أكثر من رأي في بعض حلقاته، وإذا كانا متناقضين بحدة سمي حوار الصراع مثل برنامج الاتجاه المعاكس.

مهارات التعامل في الحوارات الإعلامية :

يشكل الحوار في وسائل الإعلام منبراً مهماً للحركات والجماعات والشخصيات في التعبير عن مواقفها، وعرض رؤاها وقراءتها تجاه الأحداث التي تحيط بها أو تعاصرها في الميدان أو الزمان الذي تعيشه، ومن أكثر الذين أفادوا من الحوارات الإعلامية الجماعات والشخصيات المعارضة أو المهمشة، وفي كثير من البلدان العربية والإسلامية يمثل الإسلاميون ذلك الطرف في الصراع، كما أن الشعوب بفطرتها تحرص على معرفة حكم الشريعة وموقفها من هذه القضايا المطروحة على الساحة، مما أعطى للحوارات الإعلامية التي يتواجد فيها الإسلاميون أهمية كبرى، فتحتمت ضرورة المشاركة في هذه الحوارات، كما أن من مقاصد السياسة الشرعية خدمة الناس وتحقيق مصالحهم، ولذا يجب أن يذهب دعاتها وأهلها إلى حيث يجتمع الناس، واليوم الناس يجتمعون حول أجهزة التلفاز والحاسوب وبأيديهم جهاز التحكم، فلا بد أن نذهب بخطابنا الإسلامي إلى البرامج التلفزيونية والمواقع الالكترونية، ومن هنا يتجلى حسن الإعداد لتمثيل

الإسلام في هذه الحوارات، ويمكن أن نحدد مقومات النجاح من خلال مهارات التعامل مع الإعلام[1].

مقدمات لا بد منها قبل التعامل مع وسائل الإعلام:

- الإعلام وسيلة العصر.
- طبيعة الصراع مع الآخرين وحقيقة المعركة معهم هي إعلامية.
- أنت بحاجة إلى الإعلام لتعرض رسالتك وقضيتك وتروج لمواقفك وأفكارك (بضاعتك) والإعلامي بحاجة إليك للحصول على المعلومة والرؤية التي تشد المتلقي وتستقطبه.
- الإعلام علم وفن، فالأول بحاجة إلى اطلاع وإلمام لتحصيله، والثاني بحاجة إلى مهارة وارتياض لإتقانه.
- المهارات الإعلامية شخصية الداعية الأخرى، والتدريب هو الذي يشكل هذه الشخصية.

اولا: مهارات الاتصال في الحوارات الإعلامية:

وتقسم هذه المهارات إلى مهارات ما قبل الحوار وفي أثنائه وما بعده، ولكل قسم حزمة من المهارات على وفق الآتي:

١- **مهارات ما قبل الحوار:** الاستعداد الفكري والنفسي والجسدي.

---

(١) هنالك كتب وأبحاث عدة اهتمت بمسألة مهارات التعامل منها: أفضل طرق الظهور في وسائل الإعلام، ومهارات الاتصال، لراشد علي عيسى، إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية القطرية، كتاب الأمة العدد ١٠٣، ط١/ ١٤٢٥. وكتاب تقنيات الحوار الإعلامي، للدكتور محسن جلوب، دار أسامة، عمان، ط١/ ٢٠١٢، وأساليب الإقناع في المنظور الإسلامي، د. طه السبعاوي، مقومات الحوار الإذاعي الناجح، أنيس فهمي، مهارات الاتصال للإعلاميين والتربويين والدعاة، د. محمد منير حجاب، دار الفجر، القاهرة، ط٦/ ٢٠٠٨.

على المتصدر للخطاب الإسلامي في الحوارات الإعلامية أن يكون مستعداً فكرياً ونفسياً وجسدياً لإجراء الحوار، وهذا الاستعداد يكون عن طريق الممارسة التجريبية قبل الدخول في معتركه.

والممارسة الفكرية للحوار تكون باتباع الخطوات الآتية:

- تقديم استفسارات أولية للجهة المسؤولة عن إجراء الحوار (والإعلامي بشكل خاص) ومن تلك الاستفسارات (مدة برنامج الحوار أو المقابلة ومدة المشاركة - هل هنالك ضيوف آخرون (من هم؟ للوقوف على طبيعة توجههم موافقون أم مخالفون هادئون أم حادون) - معرفة محاور المقابلة او الاسئلة الموجهة - من هو الإعلامي (لمعرفة أسلوبه وطريقته في الحوار) - ما طبيعة الوسيلة الإعلامية التي ستعرض الحوار - ما جمهور هذه الوسيلة - ما طبيعة البرنامج الذي يضم المقابلة التي ستجريها).

- وعند حصولك على أجوبة عن تلك الاستفسارات، تسلح بالمعلومات اللازمة، ولتكن موسعة تغطي مادة الحوار من جوانبها جميعاً.

- تهيئة الأفكار المنتقاة المعبرة عن قضيتك التي تريد طرحها على الجمهور، أو تقصد نصرتها والدفاع عنها ضد الشبهات التي تحيط بها، ولتكن في عبارات مسبوكة ومختصرة، ثم اقرأ هذه الأفكار بصوت مرتفع لا قراءة صامتة لتتعود على إلقائها.

- وأما الاستعداد النفسي فيكون بالتحمس لطرد التردد، من خلال الحضور المبكر إلى مكان إجراء المقابلة، وإلقاء السلام والتحية على الكادر الإعلامي والفني، والتودد إلى بعض العاملين من غير مبالغة، وتذكر أنك قادر على أداء دورك في الحوار واثق من رسالتك التي تحملها.

وعليك أن تكون متحفظاً في مجالستك الإعلامي قبل إجراء الحوار، وتذكر أنه ليس لديك أصدقاء في الوسط الإعلامي.

- وأما الاستعداد الجسدي فيكون بتناول طعام خفيف، والأفضل أن يكون من الفواكه الطازجة، وتجنب المشروبات الغازية لأنها تدفعك للجشاء في أثناء المقابلة، وتجنب تناول السكر الأبيض حتى لا يعترضك الخمول، وكل ذلك يولد عنك انطباعا سيئاً لدى الجمهور.

٢- مهارات في أثناء المواجهة الإعلامية

- كي تكسب المواجهة فأنت تحتاج إلى أربعة أمور: اليقظة وسرعة البديهة والصبر والدبلوماسية.

- التحدي الأول؛ يتمثل في المقدرة على إيصال أفكارك لا أفكار مضيفك والضيوف الآخرين.

- والتحدي الثاني؛ بالقدرة على جعل خطابك مؤثراً يستقطب الجمهور، وذلك يكون من خلال الآتي:

- لتكن إجابتك قصيرة ومعبرة.

- أتقنْ بناء جسور الترابط بين العبارات باستخدام عبارات قصيرة انتقالية حتى لا تكون عباراتك مفككة هائمة.

- لتكن عباراتك قابلة للاقتباس، عميقة تصلح أن تكون مثلاً تتداوله الألسنة، وذلك لتبقى مؤثرة ولها صدى بعد انتهاء الحوار.

- استخدم لغة يفهمها الجميع وتجنب التشدق والتنطع والتقعر في الكلام.

- تجنب الأجوبة المقتضبة جداً، فأنت بذلك تضيع أفكارك ولا تبلورها، وتنفر الإعلامي عن مواصلة الحوار معك.

- استخدم أسلوباً غنياً بالتشبيه والاستعارات: إن هذا طغيان أخشى أن يغرقه الطوفان كما أغرق البحر فرعون،... لقد استوعب مشروعنا كل ما يهم مجتمعنا كأنه سفينة سيدنا نوح عليه السلام.

- احرص على أن تجيب عما يدور في خلد المتلقي: ما الذي يعنيني من كل هذا الحوار؟

- الفكرة الأهم هل تكون في بداية الحوار أم في نهايته؟ هذا الأمر محكوم بقانوني الأولوية والحداثة، وتفصيله:

إن كان أغلب أفكارك مكررة، وفيها فكرة جديدة واحدة، فاجعلها في بداية حديثك، لأن الناس قد يعرضون عن المتابعة إن كانت مكررة، تحت تأثير مقولة لا جديد لديك، وإن سنحت فرصة فكررها قبل نهاية الحوار لتترسخ.

وأما إن كان أغلب أفكارك جديدة، فاجعل أهم أفكارك في آخر الحوار، لأنه عادة يعلق في الذهن آخر ما يدخله، إلا إذا خشيت أن لا يسعفك الوقت فقل الفكرة في أثناء الحوار، وفي آخره.

- اشرح بوضوح موضوع حديثك، وكرر الكلمات التي تريد ترسيخها، فبدل قولك: (نحن) قل: (أهل السنة والجماعة أو الجماعة التي تتحدث باسمها)، وبدل قولك: المجمع أو (مجمعنا) قل: (المجمع الفقهي العراقي) وبدل قولك: (كليتنا) قل: (كلية الإمام الأعظم) ولاسيما ان كان الحوار طويلاً، فتترسخ بذلك هذه المفاهيم، وليدرك مقاصدك من يأتي متأخراً عن أول الحوار.

- اصمت فور تصريحك بفكرتك، كي تترسخ ولا يشوش عليها ما بعدها، وتوقف عن الكلام إن بلغ جمهورك الذروة (كأن يبكي أو يضحك بشدة، أو يصفق لك بشدة).

- لا تكذب لا تتملص، فحبل الكذب قصير لا سيما في الوسط الإعلامي، فضلاً عن كونه إثم وكبيرة من الكبائر.

- تجنب حيل الإعلاميين لا سيما إن كان المحاور لا يتوافق مع خطابك وأفكارك، ومنها:

- الاختلاق وتحريف الوقائع: للإيقاع بك، فعليك أن تصححها إن كنت تعلم أو تتوقف إن كنت لا تعلم بها مع تنويهك بأنك يساورك الشك فيها.

- مهاجمتك بسؤال محرج أو قاتل: الاجابة تكون بهدوء وتجنب الانفعال.

- مهاجمتك بالفرضية الفظيعة (مثل: إن الإسلام السياسي يسقط في الحكم ولا يحسن إدارة البلاد): تجيبه بانه افتراض وهمي، وتبين الشواهد على ذلك.

- المقاطعة: يقاطع جوابك بسؤال جديد حتى لا تكمل فكرتك: تجيبه بهدوء: كنت على وشك أن أقول كذا وكذا، وإذا تكررت المقاطعة، تقول: دعني أقول لك شيئاً، لقد قاطعتني مرات عدة قبل أن أنهي فكرتي، ما أود أن يعرفه الناس...، وهنا سيشعر بالإحراج ولا يستطيع مقاطعتك.

- الإطالة بالكلام والاستئثار بالمقابلة ليمرر أفكاره وليفرض شخصيته: عليك أن تفتش عن اللحظة المناسبة لتعبر عن فكرتك وتسترسل بعرضها.

الوقفة ذات المغزى: ولاسيما عندما يكون الإعلامي مخالفاً لك، وبذلك يريدك أن تسترسل عسى أن تدلو بمعلومة يبتغيها فتكون مدخلاً للنيل منك ونسف أفكارك.

- لا تكرر العبارة السلبية التي ترد في سؤال الصحفي، لأنك ستجعل المشاهد يسمعها مرتين فتترسخ عنده؛ مثلا: سؤاله، ألا تعتقد أن المظاهرات تضر بالصالح العام، فيكون جوابك: إن المظاهرات السلمية حق مشروع كفله الدستور، وجاءت من أجل الحفاظ على الصالح العام.

- أجب عن الأسئلة الصعبة والحرجة وتدرب عليها، واحرص على جمع عدد منها، ولتكن بمشاركة الأصدقاء أو الإعلاميين العاملين معك، وعلى ضوء شخصية المحاور وهوية المؤسسة التي تستضيفك.

- وثق المقابلة أو ليكن لديك شاهد عليها، لاسيما إن كانت غير مباشرة، لكشف التلاعب الذي يمكن أن يمارسه الإعلامي بالحذف أو البتر المخل بالمعنى.

- لا تقل شيئا لا تود نشره، لأنه سيأخذ طريقه للنشر، وقد تفتتح به المقابلة.

- لا تجيب عن سؤال بعبارة: لا تعليق لدي، فإنها صورة من التملص الذي لا يتقبله المتلقي عادة.

- تنبه للمقدمات التي ترد قبل طرح صيغة السؤال، لأنها قد تحمل مدلولات خاطئة يراد تمريرها، وليبدأ جوابك بتوضيحها وتصحيحها، ومن ثم تجيب عن السؤال. مثلاً: في ظل فشل الإسلام السياسي في الحكم، يا ترى ما هو تصورك لمستقبل الحركات الإسلامية؟ فليكن جوابك، إن الإسلام لم يفشل في الحكم، وإنما انقلب الآخرون على أنظمتهم التي تبنوها للعمل السياسي بعد فوز الإسلاميين، فالفشل لهذه الأنظمة وليس للإسلام، وأنا لا أخشى على مستقبل الحركات الإسلامية وإنما على مستقبل الشعوب التي لا تزال إرادتها مسلوبة.

- أعد صياغة السؤال بما يتوافق مع معطياتك! وبذلك تمهد الطريق لتقول فكرتك بشكل سلس منسجم مع صيغة السؤال، بأن تبدأ جوابك بقولك: أفهم من سؤالك التالي... أنك تقصد بسؤالك... ثم تبين فكرتك، مثلاً: هل العنف الذي يصاحب المظاهرات سيؤدي إلى الفوضى، فليكن جوابك: تقصد أن مواجهة المظاهرات السلمية بالعنف سيؤدي بلا شك إلى الفوضى التي يحرص قادتها على تجنبها، ونتمنى من الجهات المسؤولة أن تتعامل بحكمة مع المطالب المشروعة والتصرفات الحكيمة والصبر الجميل الذي يمثل أبرز سمات هذه التظاهرات الحضارية.

٣- مهارات ما بعد المقابلة وانتهاء الحوار:

- لا تتعجل بالمغادرة وابق جالساً حتى تتأكد من إغلاق الكاميرات، وأجهزة التسجيل كافة، وأن يقوم طاقم التصوير بحزم أدواتهم للمغادرة.

- ليكن تصرفك بعد انتهاء المقابلة تصرفاً ودياً وطبيعياً (وإن كنت تشعر بأعماقك بالغضب والاستياء) ولا تتفوه بأية عبارة سلبية، لأنها قد تستخدم ضدك،

واعلم بأن الساحة أمام الإعلامي لا تزال مفتوحة، ويستطيع استخدامها بطريقة ما في المقابلة إن كانت مسجلة، أو بالتعليق عليها في برنامج آخر إن كانت مباشرة.

- وإن كان لديك معلومة يهمك أن تصل وقد غفلت عن ذكرها، فيمكن أن تزود بها مضيفك، وهو قادر على توظيفها وإيصالها بطريقته.

- حاول أن تستفيد من المقابلة لتطوير مهاراتك في المستقبل.

ثانيا: مهارات الاتصال غير اللفظي:

لقد أصبحت العملية الخطابية والحوارية وطريقة إدارتها فناً له أدواته ونظرياته وقواعده، ومن تلكم ما يتعلق بلغة البرمجة العصبية لطرفي الخطاب والحوار، أو ما يتعلق بفهم وإدراك لغة الجسد، والتي تندرج تحت مفهوم عام يدعى «الاتصال غير اللفظي» وهو علم يحظى منذ عقود باهتمام كبير من قبل المنظرين في مسائل الاتصال الجماهيري والخطاب والحوار والإقناع.

ويقصد بالاتصال غير اللفظي: الطرق التي يتأثر فيها الاتصال مع الآخرين من غير اللغة، ويشتمل على حركة الجسم، والهيئة والنظر، وصفات الصوت، والمسافة وترتيب البيئة، والمظهر الشخصي، ويفرق بعض الباحثين بين السلوك غير اللفظي والاتصال غير اللفظي، فكل سلوك لا يدركه المتلقي، أو سلوك لا شعوري من طرف المرسل لا يعتبر اتصالاً غير لفظي[1].

وإذا كان القرآن الكريم يمثل المصدر الأول والأساس في الاتصال اللفظي وما يتضمنه من الخطاب والحوار، فإنه لن يكون غير ذلك في الاتصال غير اللفظي، وقد تضمن القرآن صوراً متنوعة من مهارات الاتصال والتعبير غير اللفظي، سواء بحركة أعضاء من جسد القائم بالخطاب، أو الآخر، أو من خلال تعابير الوجه،

---

(١) الاتصال غير اللفظي في القرآن الكريم، د. محمد الأمين موسى أحمد، إصدارات دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ط١/ ٢٠٠٣، ص ٣٥.

ومستويات الأداء الصوتي، والتأثير المظهري لطرفي الاتصال والخطاب، ومن أبرز الشواهد القرآنية على مهارات الاتصال غير اللفظي في الخطاب والحوار:

حركات الجسم أو بعض أجزائه:

- حركة اللسان: بالتحريف والميل مع التظاهر باستقامة اللفظ للتغطية على الكذب والتخرص، يقول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٨)﴾ [آل عمران:٧٨].

- حركة الخد، للتعالي على المخاطبين، والتكبر والاحتقار، وهو بلا شك أمر مذموم، ويدل على ضعف الشخصية، يقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) ﴾ [لقمان:١٨].

- حركة العنق: بعدم الالتفات طلباً للهرب من الموقف، قال تعالى: ﴿ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ۗ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٥٣)﴾ [آل عمران:١٥٣].

-حركة الرأس: بإمالتها للتعبير عن الصد والاستنكار، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ (٥) ﴾ [المنافقون:٥].

تعابير الوجه :

- النضارة والبسر: للدلالة على حال صاحبها وما يمر به من موقف، يقول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (٢٤) تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (٢٥)﴾ [القيامة:٢٢-٢٥].

- النظر من طرف خفي: للدلالة على قدرة العين على التعبير عن الحالة العاطفية عند الإحساس بالذل، يقول الله تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمۡ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِي عَذَابٖ مُّقِيمٖ ﴿٤٥﴾﴾ [الشورى:٤٥].

- دوران العين: وهي حالة سلوكية تحدث عند الخوف المرتبط باليأس، فتفقد تركيزها وقدرتها على الرؤية الواضحة، يقول الله تعالى: ﴿أَشِحَّةً عَلَيۡكُمۡۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلۡخَوۡفُ رَأَيۡتَهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ تَدُورُ أَعۡيُنُهُمۡ كَٱلَّذِي يُغۡشَىٰ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ سَلَقُوكُم بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلۡخَيۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يُؤۡمِنُواْ فَأَحۡبَطَ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿١٩﴾﴾ [الاحزاب:١٩].

- ارتداد الطرف: دلالة على دوام الشخوص، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهۡطِعِينَ مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ ﴿٤٣﴾﴾ [إبراهيم:٤٢-٤٣].

- ازدراء العين: نظرها بكيفية تدل على التحقير وتقليل الشأن، كأن ينظر من أعلى إلى أسفل مع تعبير وجهي يدل على الاشمئزاز، يقول الله تعالى: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [هود:٣١].

- تقلب الوجه: النظر المتعدد نحو جهة أو عدة جهات بحثاً عن شيء ما دلالة على الانتظار والترقب، يقول الله تعالى: ﴿قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [البقرة:١٤٤].

الإيماءات :

- وشواهدها كثيرة منها: قوله تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾﴾ [مريم:٢٩]، وقوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ [الذاريات:٢٩]. وقوله تعالى: ﴿ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾﴾ [الاسراء:٥١]. وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [السجدة:١٢].

دلالة المسافات والاتجاهات:

- منها قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [النجم:٧-١٠].

- ﴿الم ﴿١﴾ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾ [الروم:١-٣].

- ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [يس:٢٠]، يعني من أطراف المدينة، وهي تحمل في طياتها المجهود الحركي الذي بذل من أجل تقليص المسافة والمجيء.

- ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد:٢٢].

- ﴿ ۞ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾ [الواقعة:٧٥-٧٦].

- ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأنعام:١٥١] وقال: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الإسراء:٣٢]. والنهي عن القربان أبلغ من النهي عن الفواحش لأن القرب من الشيء ينشئ ميلاً إليه.

- ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾ ﴾ [العلق:١٩]، لتبيين أن السجود سبيل لقرب المنزلة من الله.

- ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ ﴾ [البقرة:١١٥]، لتعميق الدلالة على إحاطة الله بكل شيء.

وأما طبقات الصوت:

- يقول الله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل:٥٣]، دلالة على رفع الصوت بالدعاء متضرعين.

- ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا ﴿٩٨﴾ ﴾ [مريم:٩٨]، أي: لا يصدر عنهم الصوت الخفي للتعبير عدم التأثير.

- ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [فاطر:٣٧]، وهو الصوت المرتفع للتعبير عن شدة الألم.

- ﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾ [لقمان:١٩].

وأما المظهر:

- ﴿ ۞ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الاعراف:٣١].

- ﴿ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الإنسان:٢١-٢٢].

- ﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ ﴾ [الحج:١٩]، شبهت النار بالثياب؛ لأنها لباس لهم كالثياب

- ﴿ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ﴾ [نوح:٧]، أي: تغشيهم ثيابهم لئلا يبصروه كراهة النظر الى وجه من ينصحهم في دين الله، وقيل: لئلا يعرفهم.

مهارات لغة الجسد في العمل الإعلامي:

١ – المهارات المتعلقة بالاتصال غير اللفظي :

صاغ بعض المنظرين في الإعلام وصايا تتعلق بالاتصال غير اللفظي يجب مراعاتها في الحوارات الإعلامية منها[(١)]:

- ادخل واثقاً للحوار وحافظ على هيئة جيدة، فقد لا تجد فرصة أخرى لترك انطباع حسن.
- الابتسامة والإيماءات التي تساعد على تعزيز الجو الملائم.
- مد يدك وصافح بثبات وتجنب المصافحة الضعيفة والمضطربة.
- اسع إلى الجلوس بهدوء واتزان، وكنا متحمساً غير مترهل حتى لا تعطي انطباعاً بعدم الاهتمام.
- تحدث بوضوح وتحكم في طبقات صوتك، بتغييرها من وقت لآخر.
- كن قادراً على ضبط انفعالك.

---

(١) الاتصال غير اللفظي في القرآن الكريم، د. محمد الأمين، ص١٠٥، وقد نقلها عن روبي ميلر كابلان، بتصرف.

- استخدم الايماءات لاسيما اليدين التي تجعلك أكثر تعبيراً وحيوية وتجنب لي يديك المتشابكتين وطقطقة أصابعك.
- ارتد زيّاً مناسباً وملائماً لكل حوار.

٢- مهارات المظهر المناسب :

وأما المهارات التي تتعلق بالمظهر المناسب والمؤثر، التي ينبغي مراعاتها للقائم بالخطاب أو الحوار الإعلامي فهي[١]:

- الملابس المناسبة: فلكل مناسبة تناسبها، ولكل شخصية من الثياب ما يلائمها، وينبغي تجنب ارتداء الألوان الفاقعة، والملابس المخططة، وتجنب الملابس التي عليها كتابات، إلا إن كانت شعاراً تروج له.
- الجلسة الصحية: بأن يكون ظهرك مستقيماً، وتجنب الحركات التي تثير عصبية جمهورك، كأن تحرك قدميك باستمرار أو تهزهما بدون توقف، أو أن تحرك كرسيك إن كان دواراً، ويفضل إن رغبت بوضع ساق على أخرى فتكون في منتصف الساق.
- الوقفة الصحية: عليك أن تشد جسدك جيداً في أثناء وقوفك بحيث لا تبدو متراخياً أو مترهلاً، ولا تقف على قدم واحدة أو تتمايل، ولا تضع يديك في جيوبك، أو تعقد يديك أمام جسمك، قف بصورة مستقيمة واترك مسافة قصيرة بين قدميك.
- التحرك الصحيح: إن تحريك اليدين لا بد أن يكون معبراً وعند الضرورة.
- التعابير المناسبة.
- النظرة في الاتجاه السليم: لا تكثر الالتفات بعينيك يمنة ويسرة، وإذا كان المحاور ينظر في عينيك فانظر في جبينه، وإن كان ينظر في أوراقه فانظر إلى

(١) افضل الطرق للظهور في وسائل الإعلام، ص٩٢.

عينيه، ولا تنظر إلى الكاميرا إلا إن كنت تتحدث في غرفة لا يوجد فيها المحاور، أو أردت أن توجه كلمة للجمهور، وهنا تركز عليها ولا تتنقل بينها وبين المحاور.

- التحدث اللائق.
- المغادرة الصحيحة.

٣- مهارات البرمجة العصبية :

فمن أسباب ضعف الحوار هو انزعاج المحاور من حال أو بعض تصرفات من يحاوره فيغضبه ذلك، والغضب لا يأتي بخي،ر بل هو إضعاف للشخصية ولموقفه، فمثلاً يرى محاوره لا ينظر إليه أو يطرق برأسه أو يغمض عينيه أو لا يتأثر عاطفياً بما يطرحه وغيرها، فيظن أنه يتقصدها استهزاء به أو انتقاصاً منه أو تعالياً عليه، والحقيقة غير ذلك، فالمحاور يجهل لغة التلقي عند من يحاوره.

فإن طبيعة الإنسان والأنظمة التخيلية التي يتمتع بها وتمثل المدخل للتلقي والتي يطلق عليها لغة البرمجة العصبية تتباين من شخص إلى آخر، ويقسمها علماء النفس إلى ثلاثة أقسام رئيسية:

- **البصري**: وهو وصف للناس الذين يتخيلون الأشياء في أذهانهم بواسطة الصور أكثر من الأصوات أو المشاعر، ويتميز هؤلاء بسرعة حديثهم بينما تتدفق الصور في أذهانهم، وهم عادة ينظرون إلى الأعلى لاستجلاب الصور، ويحبون في الحوار النظر إلى المخططات والأشكال والأفلام والصور، وتكون حركاتهم سريعة جداً وفجائية، ولذا يفضل من يحاوره أن يكون سريع الكلام ليجاري سرعة حديثه واستعمال الوسائل التوضيحية.

- **الصوتي**: وهم الذين يمثلون الأشياء في أذهانهم بكلمات محكية، ولذا فهم يركزون على حاسة السمع، وقد يصرف نظره عنك ويميل إلى الاعتدال في الحديث،

ولذا لإقناعه عليك أن تعدل سرعة حديثك، وأن تركز على الكلمات، ولا يزعجك إن لم يلتفت إليك فهو يعتمد على أذنيه في التلقي منك لا بصره.

- **الشعوري**: وهم الذين يمثلون الأشياء في أذهانهم عن طريق المشاعر والأحاسيس، وهم يتكلمون ببطء، وتؤثر فيه العبارات العاطفية والهدوء في الحوار[1].

ولذا على المحاور الإسلامي أن ينتبه إلى اللغة العصبية، وكذلك إلى لغة الجسد فيما يتعلق بالآخر ليتمكن من التأثير فيه.

وظائف الاتصال غير اللفظي في الأداء الخطابي:

- التكرار للتوضيح لما صدر من لفظ.

- المناقضة، إذ قد يتناقض السلوك غير اللفظي مع ما يقوله الآخر، وهذا يعين لإدراك حالات الإكراه أو الكذب والتملص.

- الإبدال، تقوم بعض السلوكيات غير اللفظية مقام الحديث، لاسيما في الحالات التي يتعذر فيها الكلام، أو قد تكون أبلغ في التعبير والدلالة.

- التكميل، يستطيع السلوك غير اللفظي تعديل الحديث أو إكماله قصد مواءمته للسياق العام وتحقيق الفعالية التواصلية.

- التوكيد، لما تم في الحديث.

---

(١) (قوة الإقناع: إعداد المهندسة نجوى خباز ص١١٣)، ولو أردنا أن نقرب الصورة فإنك تستطيع أن تلحظ هذه الأنماط من خلال الوسط الذي تعيش فيه، وعلى سبيل المثال عند انتهاء الصلاة ترى بعضهم يلتفت ببصره إلى حركات الآخرين، ويرفع بصره إلى سقف المسجد ويحدق في جدرانه ومحرابه، بينما تجد آخرين ينتبه ويلتفت إلى الذين يتحدثون، وتجد آخرين مطرقين برؤوسهم وملامح وجوههم متأثرة إلى حد البكاء، مع أن عملهم واحد، وهو أداء الأذكار دبر الصلاة.

- الرباط والتنظيم، يستخدم الاتصال غير اللفظي لتنظيم التدفق التواصلي بين المتخاطبين أو المتحاورين.

- التعبير عن الاتجاهات والمواقف.

- إدارة العواطف زيادة ونقصاناً.

الخاتمة

في نهاية هذه الدراسة نقف عند أهم النتائج والتوصيات التي توصلنا إليها ومنها:

- إن الانفتاح الإعلامي يحتم على المسلمين استثماره لتقديم خطابهم إحياءً وتجديداً، وعرض قضاياهم ومواقفهم التي تعرضت للتشويه والتفريط والتزييف، ووجود هامش الحرية في وسائل الإعلام يقتضي صياغة خطاب يغتنم قصر المدة وعمق الفكرة وضرورة التأثير إن لم نقل الحرص على الإقناع، مع مراعاة تجديد الخطاب ووسطيته.
- إن الإسلاميين لابد أن يدركوا أنهم يتبعون النبي محمد ﷺ، في قيامه برسالته العالمية، ويؤدون إحدى وظائف البناء الحضاري للأمة الإسلامية وللإنسانية، وعلى هؤلاء أن يفقهوا ضوابط السياسة الشرعية المتعلقة بأصول تجديد الخطاب وملامح وسطيته التي انتهجها ﷺ وهو يقدم للإنسانية خطابه الإصلاحي.
- الخطاب الإسلامي هو منظومة الأفكار والتصورات المرتبطة منطقياً والمتعلقة بتحليل الواقع الإسلامي وتحديد طرق معالجته والتأثير فيه، أو هو طرق ووسائل تبليغ هذه المنظومة، ويتميز الخطاب الإسلامي بتنوعه إلى خطاب جماهيري ونخبوي وسياسي، ولكل واحد أسلوبه وعباراته وغاياته ورجاله أيضاً.
- تجديد الخطاب الإسلامي هو اعتماد أصوله وتمثل قيمه المعتبرة في الكتاب والسنة، والسعي إلى تقديمه ونشره، للارتقاء بواقع الناس، مع توظيف

التطورات التقنية في وسائل الاتصال وأساليب الخطاب المعاصرة، وتجديد الخطاب يكون في المضمون والرسالة وفي طريقة التعبير والآلة.

- يمكن أن نحدد ثلاث صور لدعاوى التجديد في هذا العصر وهي: الصورة الأصيلة لتجديد الخطاب الإسلامي، والصورة التحريفية والصورة التخريبية، وإن تنوع مصادر الدعوات إلى تجديد الخطاب الديني -الإسلامي بشكل خاص- يدعوننا إلى الانتباه والحذر، في التعامل معها، وأن نراعي الضوابط الشرعية في هذه المسألة، وأن لا نتركها فرصة ينفذ منها الآخرون للنيل من ديننا وعقيدتنا وقيمنا.
- ولا تتكامل الصورة الأصيلة لتجديد الخطاب الإسلامي إلا باجتماع معالم أصوله المتمثلة: بالمبدئية والواقعية والتفاعلية والموضوعية والتواصلية والاستمرارية والبينة، والإيجابية والوسطية والتكاملية المتوازنة، ومواكبة التطور.
- يقصد بوسطية الخطاب الإسلامي التزامه بضوابط الشريعة ومقاصدها المبنية على التيسير والاعتدال والتوازن سواء في الرسالة أو الأسلوب بعيداً عن التنطع والإفراط والتسويف والتفريط، وتتجلى ملامح وسطية الخطاب الإسلامي تتجلى بالتوازن بين الموضوعية والعاطفية، والمبادرة ورد الفعل، والتواصلية والتلميح والتصريح، والعالمية مع الحفاظ على الهوية.
- إن الخطاب الإسلامي ينبغي أن يتوجه به أصحابه إلى حيث يجتمع الناس، ولا خلاف أن الناس يجتمعون اليوم حول وسائل الإعلام وبشكل خاص القنوات التلفزيونية، ولذا لا بد أن نذهب بخطابنا إلى البرامج التلفزيونية وخاصة الحوارات والمقابلات والأحاديث الإعلامية.
- إن تجديد الخطاب الإسلامي من حيث المضمون هو متصل بتجديد الدين بإعادته ورده إلى ما كان عليه أول الأمر، وبتنقيته مما علق به مما ليس منه، ورد ما انتزع منه، وأما من حيث التعبير بتيسير لغته وتنوع أساليبه وتقريبه لذهن

المخاطبين وفهومهم، وتوظيف تقنيات الاتصال والإعلام ولغة البرمجة العصبية من الشد والتشويق والسعة.

- يقوم الخطاب الإعلامي على ثلاثة أركان رئيسة هي الداعية والآخر وموضوع الخطاب، ولكل ركن أسباب وعوامل ومقومات لا بد من الإلمام بها لنجاح الداعية في إيصال رسالته وخطابه للآخرين.
- فيما يتعلق بالداعية والإعلامي الإسلامي فلا بد أن يكون مؤهلاً للخطاب مستوعباً للمسائل التي يتصدى لتقريرها، ملماً بجميع متعلقاتها، فالمؤهلات العقدية والفكرية والعلمية من أهم مقومات نجاحه الذي عليه أن يدرك أنه لا يمثل نفسه وإنما رسالته وقضيته وأمته؛ كما أن عليه أن يكون متهيئاً داخلياً للخطاب فمن لم يقنع نفسه فلن يقنع غيره.
- إن الوسطية في تلقي الأخبار والمعلومات تقتضي التثبت من مصادرها، والصدق في نقلها، ومن الإثم والكذب أن نذيع كل ما نسمعه.
- إن النشر الإعلامي يعتمد الوسطية في ذلك من خلال سياسة الترشيد في النشر «فليس كل ما يعلم مما هو حق يطلب نشره وإن كان من علم الشريعة ومما يفيد علماً بالأحكام، بل ذلك ينقسم إلى عدة أقسام، فمنه ما هو مطلوب النشر وهو غالب علم الشريعة، ومنه ما لا يطلب نشره بإطلاق، أو لا يطلب نشره بالنسبة إلى حال أو وقت أو شخص».
- وحتى يحافظ الإسلام على قيم المجتمعات فإنه قرن حرية التعبير والخطاب والإعلام بالمسؤولية، فالوسطية تجعل الإعلامي الإسلامي مسؤولاً، ومسؤوليته مشتقة من سيادته التي أورثها الله له منذ أن جعله خليفته في الأرض، وهذه المسؤولية تقوم على أسس فردية واجتماعية وقضائية.
- على الأمة الإسلامية أن تهتم بالخطاب الإسلامي - الإسلامي، من أجل صيانة البناء الإسلامي من الداخل، وتقوية الجبهة الداخلية مقدم على مواجهة الجبهات الخارجية، وقانون الهوية يسبق قانون الاختلاف.

- لكل من خطاب الذات وخطاب الآخر مسار خاص به، فالخطاب مع الذات ينطلق من إخبار ولفت نظر، وينتهي إما إلى اعتقاد يثمر بذلاً وعطاء، وإما إلى تعاون يؤدي إلى وحدة أو شراكة؛ أما مسار الخطاب مع الآخر فينطلق من إطلاق أفكار وانطباع، وينتهي إما بتوليد قناعة تثمر اعتقاداً أو تعاوناً، أو عدم توليدها فيؤدي إلى حيادية من الآخر أو بقاء الخصومة.

- ومن مقومات نجاح الخطاب الإسلامي أن يحسن الإعداد للخطاب والحوار، وأن يهتم به مسبقاً لتكون الرؤية لديه واضحة، وأن يكون مستوعباً للموضوعات التي يتحدث بها والأمراض الفكرية والمنهجية التي يقصد معالجتها وعارفاً بأولويات ذلك.

- من أسباب فشل الخطابات، هو تجاهل الآخر أو جعله واحداً، أو إطلاق حكم واحد عليه، فيوجه إليه خطاباً واحداً من غير تمييز ولا تفريق، وهذا ينتج إما موقفاً متشدداً، أو موقفاً متميعاً بتغليب مفهوم الأخوة والصداقة مع جميع الآخرين وكأنه ليس في الإسلام أحكام كفر أو شرك أو ردة.

- الأصل في الخطاب أن يتعلق بموضوع الحوار لا بشخصية الآخر، إلا إذا كان الأمر الشخصي يتعلق بموضوع الخطاب أو أن للآخر مواقف أو آراء تناقض أقواله في الخطاب أو أراد بكلامه التقية العقدية أو السياسية فهذه يمكن الاستشهاد بها بما يضعف حجة الآخر.

- لقد أصبح الخطاب فناً له أدوات ونظريات، وعلى الداعية أن يدرك لغة البرمجة العصبية للآخر، كما أن عليه أن يجيد فهم لغة الجسد، مع أننا ننبه على عدم الاستغراق في ذلك.

- وأما ما يتعلق بموضوع الخطاب فلا بد للداعية أن يهتم بتوثيق المعلومات وتوظيف التقنيات، والبدء من المتفق عليه لكسب الثقة وإفشاء روح التفاهم، مما يفتح آفاقاً من التلاقي والإقبال، وتجنب النقاط الحادة والساخنة،

على أن الخطاب يبدأ من المشترك ليعالج المختلف فيه دون الاكتفاء بالمشتركات فيكون مجاملة.

- وحتى يتم الارتقاء بالحوارات وأن تحقق المقاصد المرجوة منها، لا بد أن يلتزم المتحاورون بأخلاقيات الحوار، من استعمال العبارات المهذبة ولين الكلام، وحسن الإنصات.

- تعد الخطبة المنبرية من أهم صور الخطاب الإسلامي، والقائم بالخطاب من على المنبر الإسلامي (الخطيب) هو قائد جماهيري، فهو فارس ميدان وبيان، وهذا يستلزم توفر مقومات القيادة الجماهيرية (الفروسية) في شخصه، ومقومات الخطاب الجماهيري في خطبته، باستجماع معاني القوة البيانية فيها، ليؤدي حق رسالته.

- ومن أبرز مقومات الخطبة الجماهيرية: التحضير الجيد لموضوع الخطبة، والإعداد المتقن للخطبة، واتقان الخطبة، وحسن الإلقاء.

- يشكل الحوار في وسائل الإعلام منبراً مهماً للحركات والجماعات والشخصيات في التعبير عن مواقفها، وعرض رؤاها، وقراءتها تجاه الأحداث التي تحيط بها أو تعاصرها في الميدان أو الزمان الذي تعيشه، ومن أكثر الذين أفادوا من الحوارات الإعلامية الجماعات والشخصيات المعارضة أو المهمشة، وفي كثير من البلدان العربية والإسلامية يمثل الإسلاميون ذلك الطرف في الصراع، كما أن الشعوب بفطرتها تحرص على معرفة حكم الشريعة وموقفها من هذه القضايا المطروحة على الساحة مما أعطى للحوارات الإعلامية التي يتواجد فيها الإسلاميون أهمية كبرى.

- الإعلام علم وفن، فالأول بحاجة إلى اطلاع وإلمام لتحصيله، والثاني بحاجة إلى مهارة وارتياض لإتقانه، والمهارات الإعلامية شخصية الداعية الأخرى والتدريب هو الذي يشكل هذه الشخصية.

- تقسم مهارات التعامل مع وسائل الإعلام إلى مهارات الاتصال اللفظي، والاتصال غير اللفظي، وقد اهتم القرآن الكريم بكلا المهارتين، وعرض شواهد عدة تأكيداً على أهميتها في الخطاب القرآني ودورها في التأثير الجماهيري، وعلى ضوء ذلك ينبغي للقائم بالخطاب الإلمام مع الإتقان لتلك المهارات أداء لمسؤولية البلاغ المبين.

- إن إدراكنا لأهمية الحوارات ودورها في دعم العمل الإسلامي يجعلنا نوصي المؤسسات والحركات الإسلامية، أن تبادر بفتح مراكز لتطوير قياداتها والمتحدثين الرسميين والناطقين باسمها في مجال إدارة الحوار والتعامل مع وسائل الإعلام، كما نوصيها بإنشاء مراكز للمعلومات وبحوث استطلاع الرأي لتزويد هؤلاء جميعاً بالمعلومات الموثقة والإحصائيات الدقيقة والوقوف على الرأي العام.

- ونوصي مؤسسات ديوان الوقف السني، بإعداد برنامج تطويري جاد ومتجدد للأئمة والخطباء والدعاة من أجل الارتقاء بمهاراتهم الخطابية وتنمية شخصيتهم الدعوية، ترسيخاً لدورهم الجماهيري الفاعل في إصلاح المجتمعات.

- إن وسائل الإعلام الإسلامي تتحمل مسؤولية كبيرة في ترسيخ مفهوم الوسطية في المجتمعات، ولذا نوصي القائمين عليها، بالترويج لها والحث عليها في مادتها الإعلامية وفنونها الصحفية، والتزامها في سياساتها ودستورها الإعلامي ومواثيق العمل الصحفي، لتكون قيمة عليا في مؤسسات مجتمعاتنا جميعاً، وما أحوجها إليها في ظل ثقافة العنف والإقصاء التي تشهدها بلادنا.

ومع شدة الخطوب التي تواجهنا، وكثرة التحديات والمصاعب التي تحيط بنا، فإننا متفائلون ومستبشرون بأن التمكين للمسلمين قادم، والظهور الإعلامي لدين الله آتٍ، وعلو الرسالة الإعلامية للإسلام على رسائل التيارات الدينية والفكرية

الأخرى متحقق بإذن الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [التوبة:٣٣] وقد كررها سبحانه أكثر من مرة في كتابه العزيز، تأكيداً على تحقق الظهور الإعلامي لرسالة الإسلام، ولكن السؤال الذي ينبغي أن نتوجه به إلى أنفسنا، ما دورنا لتحقيق ذلك؟ وأين مكاننا في قافلة التمكين؟.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر
بعد كتاب الله تعالى

الكتب:

١- الاتصال غير اللفظي في القرآن الكريم، د. محمد الأمين موسى، الشارقة، دائرة الثقافة والإعلام، ط١/ ٢٠٠٣.

٢- الاجتهاد للتجديد سبيل الوراثة الحضارية، د. عمر عبيد حسنة.

٣- الإحكام في أصول الأحكام، سيف الدين بن الحسن الآمدي، بيروت، دار الكتب العلمية.

٤- الإسلام، الخطاب العربي وقضايا العصر، محاورات فكرية أجراها وحيد تاجا، سوريا، فصلت للدراسات والترجمة والنشر ط١، ٢٠٠٠.

٥- أصول الإعلام الإسلامي: د. إبراهيم إمام، القاهرة: دار الفكر العربي ١٩٨٥.

٦- إضاءات حول الإعلام الإسلامي للدكتور عبد القادر طاش دراسة ضمن كتاب مقالات في الدعوة والإعلام

٧- الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية: النظرية والتطبيق: اللقاء الثالث للندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض ط٢، ١٣٩٦.

٨- إعلام الموقعين عن رب العالمين، تأليف: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، بيروت، دار الجيل، ١٩٧٣.

٩- افضل الطرق للظهور في وسائل الإعلام، جورج ميرلس، ترجمة: د. حنان الغفري، دمشق، الجمعية السورية، ط١/ ٢٠٠٥.

١٠- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن تيمية، تح: ناصر العقل، ط١/ ١٤٠٤.

١١- البحث الإعلامي مفهومه، إجراءاته، ومناهجه، د. السيد أحمد مصطفى، الكويت مكتبة الفلاح، ط٢، ٢٠٠٢.

١٢- بحوث ندوة أثر القرآن الكريم في تحقيق الوسطية ودفع الغلو، مجموعة من الباحثين، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، ط٢،١٤٢٥.

١٣- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع لعلاء الدين الكاساني، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٣/ ٢٠١١.

١٤- البداية والنهاية، الحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير، بيروت، مكتبة المعارف، ط١، ١٩٨٨.

١٥- تجديد الخطاب الإسلامي... الرؤى والمضامين، د، عبد الكريم البكار، الرياض، مكتبة العبيكان، ط٢/ ٢٠١١.

١٦- تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف، محمد بن شاكر الشريف، الرياض، مجلة البيان، ط١/ ٢٠٠٤.

١٧- التجديد في الإسلام، إصدارات المنتدى الإسلامي، ط٤/ ٢٠٠١

١٨- التجديد في الفكر الإسلامي، د. عدنان محمد أمامة، الرياض، دار ابن الجوزي، ط١/ ١٤٢٤هـ.

١٩- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي. محمد عبد الرحمن المباركفوري، بيروت، دار الكتب العلمية

٢٠- تحليل الخطاب الإعلامي (أطر نظرية ونماذج تطبيقية)، د. محمد شومان.

٢١- تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، محمد بن جرير الطبري، ضبط وتعليق: محمود شاكر، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١.

٢٢- تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، دار الحديث، القاهرة، ط١/ ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.
٢٣- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، القرطبي، راجعه: د. محمد إبراهيم الحفناوي ود. محمود حامد عثمان، مصر، دار الحديث، ٢٠٠٢.
٢٤- تقنيات الحوار الإعلامي، د. محسن جلوب الكناني، عمان، دار اسامة، ط١/ ٢٠١٢.
٢٥- جولات في فن الخطابة، ناصر مصطفى إدلبي، عمان، دار الفتح، ط١/ ١٩٩٥.
٢٦- حاشية ابن عابدين، بيروت، دار المعرفة، ط٣/ ٢٠١١،
٢٧- حاشية إعانة الطالبين لأبي بكر عثمان الدمياطي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٤/ ٢٠٠٩
٢٨- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، لمحمد بن أحمد الدسوقي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٣/ ٢٠١١
٢٩- الحديث التلفزيوني، د. أديب خضور، دمشق، المكتبة الإعلامية.
٣٠- الحديث الصحفي د. أديب خضور، دمشق، المكتبة الإعلامية.
٣١- الحرية الإعلامية في ضوء الإسلام سعيد بن علي بن ثابت، ط٢، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣.
٣٢- حفريات المعرفة، ميشيل فوكو، ترجمة سالم يقوت، الدار البيضاء، المركز الثقافي،: ط٢/ ١٩٨٧
٣٣- الحقوق والحريات السياسية في الشريعة الإسلامية، د. رحيل محمد غرايبة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن، ١٩٨٤.
٣٤- الحوار أصوله وآدابه السلوكية:الشيخ أحمد عبدالله الصويان، الرياض،دار الوطن، ط/ ١، ١٤١٣هـ
٣٥- الخطاب العربي المعاصر، د. محمد عايد الجابري، بيروت: دار الطليعة، ط٢/ ١٩٨٢
٣٦- الحوار مع الذات: باحثون عدة؛ مراجعة صالح أبو أصبع وعز الدين المناصرة ومحمد عبيدالله، عمان، دار مجدلاوي، القا٢٠٠٤.
٣٧- الخطاب الإسلامي في الصحافة العربية د. محمد أحمد يونس؛دبي دار القلم للنشر ط١، ٢٠٠٤
٣٨- الخطاب الإسلامي في عصر الإعلام والمعلوماتية، لمجموعة من الباحثين، دار الفجر،بغداد، دار النفائس، عمان، ط١/ ٢٠١٠.
٣٩- الخطاب السياسي: الدكتور باتريك شارودو، الناشر: فويبير ـ باريس ٢٠٠٥.
٤٠- دعوة الجماهير، مكونات الخطاب وسائل التسديد، عبد الله الزبير عبد الرحمن، سلسلة كتاب الأمة،، قطر: وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية، العدد ٧٦، ط١/ تموز ٢٠٠٠
٤١- الرقابة في الإعلام الإسلامي، دراسة مقارنة: محمد أحيدب عمر، الرياض: دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٢.
٤٢- سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد بن ماجة القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار الفكر.
٤٣- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الفكر.
٤٤- سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
٤٥- سنن الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلي، بيروت، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٧.
٤٦- سنن النسائي (المجتبى)، أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، حلب، مكتبة المطبوعات الإسلامية، ط٢، ١٩٨٦.

٤٧- السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، د. علي محمد الصلابي، بيروت، دار المعرفة، ط٣، ٢٠٠٥.
٤٨- السيرة النبوية لابن هشام، تح: مصطفى السقا وآخرون، بيروت، دار الفكر.
٤٩- شرح النووي على صحيح مسلم، يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢/ ١٣٩٢
٥٠- الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، د. يوسف القرضاوي،.
٥١- صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، الشيخ ناصر الدين الألباني، دار الصدّيق، ط١: ١٤٢١هـ.
٥٢- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، بيروت، دار ابن كثير، اليمامة، ط٣، ١٩٨٧.
٥٣- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
٥٤- الطبقات الكبرى، محمد بن سعد الزهري، بيروت، دار صادر
٥٥- العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب، محمد حامد الناصر
٥٦- العلاقات العامة والمجتمع، د. إبراهيم إمام، القاهرة مكتبة الأنجلو مصرية، ١٩٩٠.
٥٧- عون المعبود شرح سنن أبي داود
٥٨- فتح الباري، شرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر العسقلاني، تعليقات الشيخ عبد العزيز ابن باز ومحب الدين الخطيب، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، ط١.
٥٩- فقه السيرة. د. محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م
٦٠- فن الحوار والإقناع: د. فهد خليل زايد، دار النفائس، عمان ط١، ٢٠٠٧.
٦١- فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي، بيروت
٦٢- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط٣٤/ ٢٠٠٤.
٦٣- القاموس المحيط، لمجد الدين الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٥/ ١٩٩٦.
٦٤- قوة الإقناع: إعداد المهندسة نجوى خباز، دار النفائس، ٢٠٠٨.
٦٥- كشاف اصطلاحات الفنون، محمد علي التهانوي، تحقيق لطفي عبد البديع، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة،١٩٧٢.
٦٦- كشاف القناع لمنصور بن يونس البهوتي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢/ ٢٠٠٩.
٦٧- كيف نفهم الإسلام، محمد الغزالي. دار الشروق، ١٩٩٨.
٦٨- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ط١.
٦٩- مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه، مكة المكرمة، دار النهضة الحديثة، ١٤٠٤.
٧٠- المرجعية الإعلامية في الإسلام، د. طه احمد، دار الفجر،بغداد، دار النفائس، عمان، ط١/ ٢٠١٠.
٧١- المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله الحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية ط ١، ١٤١١، ١٩٩٠ م.
٧٢- المسؤولية الاخلاقية للإعلام الإسلامي، د. طه أحمد، عمان، دار النفائس ودار الفجر، ط١/ ٢٠١٣.
٧٣- معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، نشر الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ١٩٩٦م.
٧٤- معجم مصطلحات الدعوة والإعلام الإسلامي، د. طه احمد، دار الفجر،بغداد، دار النفائس، عمان، ط١/ ٢٠١٠.
٧٥- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة.

٧٦- المعجم الوسيط، أحمد حسن الزيات وآخرون، دار الدعوة، اسطنبول ط١/ ١٩٨٩.
٧٧- من مرتكزات الخطاب الدعوي في التبليغ والتطبيق، عبد الله الزبير عبد الرحمن، سلسلة كتاب الأمة، قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط١نيسان ١٩٩٧م
٧٨- مهارات الاتصال، لراشد علي عيسى، إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية القطرية، كتاب الأمة العدد ١٠٣، ط١/ ١٤٢٥.
٧٩- مهارات الاتصال للإعلاميين والتربويين والدعاة، د. محمد منير حجاب، القاهرة، دار الفجر، ط٦/ ٢٠٠٨.
٨٠- هكذا ظهر جيل صلاح الدين، د. ماجد عرسان الكيلاني، دار القلم، ط٣/ ٢٠٠٢.
٨١- وسائل الإعلام وأثرها في وحدة الأمة، د. مصطفى للغلاييني، دار المنارة،جدة ط١/ ١٩٨٥.
٨٢- وسطية الإسلام ودعوته إلى الحوار، د.عبد الرب نواب الدين، ص ٢٨، النسخة الالكترونية.
٨٣- وسطية الإسلام وسماحته ودعوته للحوار؛ د. عبد العزيز بن عثمان التويجري ١/ ٢٤٢، ووسطية الإسلام وسماحته، للدكتور وهبة الزحيلي، النسخة الالكترونية.
٨٤- الوسطية في الإسلام، محمد عبد اللطيف الفرفور، بيروت، دار النفائس، ط١/ ١٩٩٣
٨٥- الوسطية في ضوء القرآن الكريم، د.ناصر بن سليمان العمر، الرياض، دار الوطن، ط١/ ١٩٩٣
٨٦- الوسطية في القرآن الكريم، د. علي محمد الصلابي، بيروت، دار المعرفة، ط١/ ٢٠٠٥.

الدوريات والمجلات:

١- استراتيجية المقاومة الشاملة، القاهرة، المركز العربي. ط١/ ٢٠٠٦.
٢- التقرير الاستراتيجي السنوي لمجلة البيان ج٢/ ١٤٢٩.
٣- مجلة البيان، العدد [١٠٠] ذو الحجة ١٤١٦/ مايو ١٩٩٦
٤- مقال الخطاب السياسي الإسلامي(رؤية نقدية): بقلم: د. سعد الدين العثماني، مجلة البيان السعودية.
٥- مقال ملامح كبرى في الخطاب السياسي الإصلاحي النبوي: د. إدريس بووانو، مقال على شبكة الانترنت.

المواقع:

١- موقع الإسلام، http://www.al-islam.com
٢- موقع الاتحاد ١٢،٩، ٢٠٠٧
٣- موقع الاتحاد ٨، ٢٠٠٧،٨
٤- موقع المسلم اليوم في ١٠، ٥، ٢٠٠٣

البرمجيات:

١- الموسوعة الشاملة
٢- مصحف المدينة المنورة

فهرس